

المؤلفون في القرن العشرين

تأليف الأستاذ
الشيخ محمد

مكتبة
الطبريات

CORNELL
UNIVERSITY
LIBRARY

BP
134
R35
S56
V.1

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

77-961598

(Vol. 1)

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 092 315 716

كتاب شيخ

المؤمنون في القرآن

تأليف

السيد قاسم شبر

الجزء الاول

الطبعة الأولى

طبعة الازاب في النجف الاشرف

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م

Shubbar, Qāsim.
al-Mu'minūn fī al-Qur'ān.

X NB.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد فان من منن الله عز وجل ان اقام علماء اجلاء لحراسة المجتمع الاسلامي من عليهم الفاتكة ليحيي من حيي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

ومن هؤلاء الافذاذ الاجلاء حضرة العالم الفاضل النبيل فضيلة العلامة الحجة السيد قاسم الشبر فانه صانه الله وحماه لم يأل جهداً في موسوعته التي اسمها (المؤمنون في القرآن) فيما يعم المجتمع الاسلامي افراداً أو جماعات وعلى الخصوص الناشئة العصرية وقد اجلت نظري فيها فوجدتها ينتقل القاري فيها من روضة غناء ذات ازهار فيحاء الى مثلها في ربيع دائم يجد فيها روحاً وريحاناً وما يوصله الى دار النعيم جزى الله سبحانه وولفها خيراً ولا اراه شراً ولا ضيراً فانه قام بواجب عظيم حق القيام في زمن طغت وبغت فيه الموبقات حتى استغوت كثيراً من الصالحين والصالحات وانا اسأل الله تعالى ان يأخذ بعصده لخدمة العلم والفضيلة ما كره الجديدان وتعاقب الملوان :

(محمد الجواد الطباطبائي التبريزي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .
وبعد فان جماعة من شباب النعمانية رغبوا ان ادرسهم بعض الآيات
القرآنية التي يلتفتون بها لتعلقها بأحكام شرعية ، أو لأشغالها على موعظة أو
نصيحة وقد أجبتهم إلى ذلك واخترت من المواضيع الآيات التي تذكر
صفات المؤمن حتى يتصفوا بها (١) وهذا القسم الأول ثم بعد ذلك نذكر
الآيات التي تصف الكافرين والمنافقين ، ان شاء الله تعالى ، وبالله نستعين وعليه نهوكل
ونسأله التوفيق والارشاد وانا الاجقر قاسم بن المرحوم السيد محمد شير
زبل النعمانية .

بسم الله الرحمن الرحيم

روي عن الإمام الحسن العسكري (ع) عن آبائه الطاهرين عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : حملة القرآن المخصوصون برحمة
الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله المقربون من الله من والاهم فقد
والا الله ، ومن عاداهم فقد عادا الله ، ويرفع الله عن مستمع للقرآن بلوى
الدنيا ، وعن قاربه بلوى الآخرة ، والذي نفس محمد بيده لسامع آية من
كتاب الله عز وجل وهو معتقد ان المورد له عن الله تعالى محمد الصادق في
كل اقواله ، الحكيم في كل افعاله ، المودع ما أودعه الله من علومه أمير
المؤمنين علياً ، المعتقد للإتياد له فيما يأمر ويرسم اعظم اجراً من صرة
ذهب يتصدق به من لا يعتقد هذه الأمور بل صدقته وبال عليه .

(١) سميته بـ « المؤمنون في القرآن » .

ولقاري آية من كتاب الله معتقداً لهذه الأمور افضل مما دون
 العرش إلى اسفل التخوم يكون لمن لا يعتقد هذا الاعتقاد فيصدق به ،
 بل ذلك كله وبال على هذا المتصدق ، ثم قال : أتدرون متى يتوفر على
 هذا المستمع وهذا القاري هذه المثوبات العظيمة إذا لم يقل في القرآن ولم
 يحف عنه ولم يستأكل به ولم يراء به ، وقال (ص) : القرآن مآذبة الله
 فتعلموا مآذبه ما استطعتم ان هذا القرآن هو حبل الله وهو المنذر المبين
 والشفاء النافع فاقرأوه فان الله عز وجل ياجرکم على تلاوته بكل حرف
 عشر حسنات ، اما اني لا أقول (الم) حرف واحد ولكن الف ولام
 وميم ثلاثون حسنة ، وقال (ص) : يرفع الله بهذا القرآن والعلم بتأويله
 وبمعالمتنا أهل البيت ، والتبري من اعدائنا اقواماً فيجعلهم في الخير قادة
 وأئمة تقتص آثارهم وترمق اعمالهم ويقتدى بافعالهم وترغب الملائكة في
 خلهم ، وباجنحتها تمسحهم وفي صلاتها تبارك عليهم ويسقفر لهم كل
 رطب ويابس حتى حيطان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها
 ثم قال الإمام الحسن العسكري (ع) : بعد ذكره هذه الرواية اما
 قوله الذي تدبك اليه وامرك به عند قراءة القرآن (اعوذ بالله السميع العليم
 من الشيطان الرجيم)

مقدمة في معنى الاستعاذة :

لو ان شخصاً له عدو لدود خبيث يريد ان يوقعه في المهالك ويترقب
 الفرصة في ذلك فاذا ظفر به واستولى عليه ذلك العدو لا يمكنه التخلص
 منه فاراد ان يلجئ الى هذا الرجل إلى من يجبره من هذا العدو فقال الملك
 قوي اني أريد ان تحميني وتمنعني من هذا العدو فقال له الملك : اني احملك
 واحفظك منه ولكن اياك ان تقترب اليه فيخذلك ويأمرك بارتكاب بعض

الاشياء التي امنعك عنها فانك إذا فعلتها سوف اغضب عليك وغضبي عليك
يكون سبباً لهلاكك ودمارك فلا تطعه في شيء بأمرك به كان لك فيه شيء
من لذة أو أنس أو مسرة ، ثم بعد ما عاهد الرجل ذلك الملك على ذلك
جاءه ذلك العدو فخدعه وخره واغواه ففعل ما نهاه عنه ذلك الملك مراراً
عديدة ، فهل يستحق الرأفة والرحمة من ذلك الملك بعد ان اعطاه العهود
المؤكددة ان لا يقرب من العدو ولا يطيعه ؟ إذا عرفت ذلك فاعلم ان العبد
إذا قال : (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فعناه اني احترم وامتنع بالله
الخالق القدير العزيز من ان يغويني الشيطان واطلب من الله ان يغيرني منه
وان يبعده عني ولا يجعل له علي سلطة بأن يجعلني من المؤمنين الذين وصفهم
بقوله : (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) :
وبعد هذا الطلب من الله عز وجل إذا طواع الشيطان وارتكب بعض
المحرمات أو ترك بعض الواجبات يكون حاله كحال ذلك الرجل لا يستحق
من الملك إلا الطرد على اقل التقدير ، ولكن الله سبقت رحمته غضبه فاذا
تاب العبد وناب وترك اطاعة الشيطان فالله هو التواب الرحيم ، فاذا قال
العبد : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فليقل عن تدبر وتأمل ، ونية
صادقة حتى يعرف معناها فيخاطب بها الله .

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك
نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم *
غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

اتفقت الإمامية على ان البسملة آية من سورة الحمد ومن كل سورة
وان من تركها في الصلاة بطلت صلاته (١) .

وروي عن الصادق (ع) انه قال : ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى اعظم
آية في كتاب الله فزعموا انها بدعة إذ اظهروها وهي (بسم الله الرحمن الرحيم)
فعند الشيعة ان البسملة يجب الجهر بها في الصلاة ويستحب الجهر بها في
الصلاة الاخفائية :

وروي عن الرضا (ع) انه قال : البسملة اقرب إلى اسم الله الاعظم
من سواد العين إلى بياضها :

وروي عن النبي (ص) انه قال : إذا قال المعلم للصبي قل بسم الله
الرحمن الرحيم وقالها الصبي كتب الله براءة للصبي وبراعة لابويه وبراعة للمعلم
وعن ابن مسعود قال : من أراد ان ينجيّه الله من الزبانية التسعة عشر
فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كل حرف
منها جنساً من واحد منها :

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٢١ مطبعة العلمية قم .

قال العلامة المرحوم المراغي في تفسيره ج ١ ص ٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

يرى بعض الصحابة كابي هريرة وعلي وابن عباس وابن عمر وبعض التابعين كسعيد بن جبير وعطاء والزهري وابن المبارك وبعض فقهاء مكة وقرائها ومنهم ابن كثير وبعض قراء الكوفة وفقهائها منهم عاصم والكسائي والشافعي واحمد ان البسمة آية من كل سورة من سور القرآن الكريم ومن ادلتهم على ذلك :

(١) اجماع الصحابة ومن بعدهم على اثباتها في المصحف اول كل سورة عدا سورة براءة مع الامر بتجريد القرآن من كل ما ليس منه ومن ثم لم يكتبوا (امين) في آخر الفاتحة .

(٢) ما ورد في ذلك من الاحاديث فقد اخرج مسلم في صحيحه عن انس (رض) انه قال : قال رسول الله (ص) : « انزلت علي انفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم » وروى ابو داود عن ابن عباس ان رسول الله كان لا يعرف انقضاء السورة حتى ينزل عليه « بسم الله الرحمن الرحيم » وروى الدارقطني عن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال : « اذا قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها » .

(٣) اجمع المسلمون على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والبسمة بينهما فوجب جعلها منه انتهى .

هذا ما يتعلق بالبسمة واما بالنسبة إلى مجموع الفاتحة فانها مكية وقبل نزلت مرة ثانية بالمدينة واسماؤها :

الحمد ، الفاتحة أو فاتحة الكتاب ، أم الكتاب ، السبع المثاني ، الكافية ،

الشفاء وغير ذلك .

فضلها : -

من قرأها يعطى اجر من قرأ ثلثي القرآن ، وما قرئت الحمد على
وجع سبعين مرة إلا سكن .

وعن الباقر عليه السلام من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شي .

وعن الصادق عليه السلام لو قرئت الحمد على ميت سبعين مرة ثم
ردت فيه الروح ما كان عجباً .

قال سبحانه وتعالى (وانزلنا عليك الكتاب تبلياً لكل شي) مما
ارشدنا اليه انا إذا أردنا عمل شي ان نبدأ باسمه ليكون العمل مباركا ويتم
على احسن الصور واكملها . والباء للاستعانة أي استعينوا على اكمال اعمالكم
بالباء باسمه تعالى :

وقد روي عن النبي (ص) انه قال : كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه
باسم الله فهو أبتر . ثم ان كلام الله كأنه على لسان عبده فيكون كلام العبد
بعد البسملة هو الحمد لله تعالى على الخلق والرزق وتدبير الأمور وحفظهم
من المهالك ومن شر الجن والشياطين .

« رب العالمين » يعني انه خالق لجميع الاصناف والانواع من الحيوان
والنبات والجماد وغيرها . ونقل عن الراغب الاصفهاني انه قال : عند قوله
تعالى الحمد لله رب العالمين ان الذي يحمد ويمدح ويعظم في الدنيا انها يكون
كذلك بأحد وجوه أربعة :

١ - اما ان يكون كاملاً في ذاته وصفاته منزهاً عن جميع النقائص

والمعائب وان لم يكن منه احسان اليك .

٢ - واما لكونه محسناً اليك منعماً عليك .

٣ - واما لأنك ترجو فضل احسانه اليك في المستقبل من الزمان .

٤ - واما لأجل ان تكون خائفاً من قهره وقدرته وكمال سطوته :
فهذه الجهات الموجبة للتعظيم فكأنه تعالى يقول ان كنتم تعظمون للكمال
الذاتي فاحمدوني فاني انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان والتربية والانععام
فاني انا رب العالمين وان كنتم تعظمون للطمع في المستقبل فانا الرحمن
الرحيم ، وان كنتم تعظمون الخوف فانا مالك يوم الدين . ثم بعد ما يعترف
العبد بهذه الصفات ويثبتها لله تعالى ويحمده على هذه النعم يلتفت من الغائب
إلى المخاطب فيخاطبه بقوله « اياك نعبد واياك نستعين » ويطلب منه الهداية
والارشاد إلى الصراط المستقيم :

العبادة هي اعلى مراتب الخضوع والتذلل ولذا لا يستحقها إلا المولى
لأعظم النعم من الوجود والحياة وتوابعها ، وتقديم المفعول به لأجل حصر
العبادة به ، وحيث انها لا تكون عبادة إلا إذا كانت خالصة من كل شائبة
دنيوية يطلب العبد من الله اعانته على مثلها حتى تكون مقبولة لدى المعبود
يستحق عليها الجزاء من المعبود ، وتكرار الضمير لبيان ان الاستعانة لا تكون
إلا منه ، فلا يمكن الاستعانة بغيره ، وتقديم العبادة لكونها هي الوسيلة
لطلب الحاجة من المعبود ، ولتناسبة تقديم مطلوبه على مطلوبهم وانما جاء
بصيغة الجمع ، مع ان الأنسب في مقام التذلل الافراد اشعاراً بحقارة عبادة
الفرد فجمعها مع غيرها يجعلها كبيع الصفقة ، اما ان يقبل الجميع أو يرد
الجميع ، والله تعالى اكرم من ان يرد الجميع إذ لا يهد من وجود عبادة
مقبولة فيها كعبادة امام الزمان ، فالانسب بالمتعبد ان يجعل عبادته في أول
وقتها الذي يصلي فيه الامام لكي تصعد معها وتقبل بقبولها ، وذكروا في
وجه الالتفات أيضاً ان المدح والثناء انما هو اظهار مزايا الحمود للغير ولذا جيء
به بصيغة الغائب ، واما العبادة فينبغي اخفائها عن الغير لتكون خالصة
لوجه المعبود فجيء بها بصيغة الخطاب ، وهذا ما اشار اليه الامام امير المؤمنين

عليه السلام : أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك :
وعن الصادق عليه السلام : لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا
يبصرون :

« اهدنا الصراط المستقيم »

بعد ان اعترف العبد بالعبودية الخالصة وطلب منه الاعانة عليها وعلى
سائر الاشياء ، طلب منه الهداية وهي الدلالة والارشاد إلى الطريق السذي
يوصله إلى الله ، ويجعله مقرباً لديه ، فان الطريق المستقيم هو طريق الحق ،
وهو ملة الاسلام التي جاء بها النبي من عند الله ، من غير تبديل ولا تغيير
البرخاني في تفسيره مفتاح الجنان في حل رموز القرآن ج ١ ص ٢٩
قال البهائي : هداية الله على اربعة أنحاء :

اولها : الهداية إلى جلب المنافع ودفع المضار بافاضة المشاعر الظاهرة
والمدارك واليه يشير قوله تعالى « واعطى كل شيء خلقه ثم هدى » :
وثانيها : نصب الدلائل العقلية الفارقة بين الحق والباطل ، والصالح
والفساد واليه يشير قوله تعالى : « وهديناه النجدين » .
وثالثها : الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واليه يؤمى قوله تعالى
« اما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » .

ورابعها : الهداية إلى طريق حضائر القدس والسلوك إلى مقامات الانس
بانطماس آثار التعلقات البدنية واندراس اكدار الجلايب الجسمية والاستغراق
في ملاحظة اسرار الكمال ومطالعة انوار الجمال وهذا النوع يختص به الاولياء
ومن يحذو حذوهم فاذا تلا هذه الآية اصحاب المرتبة الثالثة أي أرادوا بالهداية
المرتبة الرابعة وإذا تلاها اصحاب المرتبة الرابعة أرادوا الثبات على ما هم عليه
من الهدى انتهى :

والصراط صراطان احدهما في الدنيا والاخر في الآخرة :

اما الصراط في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا
واقتمدى به مر على الصراط الثاني وهو جسر جهنم في الآخرة ومن لم
يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم يقول
الامام عليه السلام في تفسير اهدنا الصراط المستقيم أي أدِّم لنا توفيقك الذي
به اطعنك فيما مضى من ايماننا حتى نطيعك كذلك في مستقبل اعمارنا .
وروي عن الصادق (ع) في تفسيرها قال : ارشدنا للزوم الطريق
المؤدي إلى محبتك والمبلغ دينك والمانع من ان نتبع هوانا فننضب أو نأخذ
بأرائنا فنهلك :

« صراط الذين انعمت عليهم »

أي اهدنا صراط الذين انعمت عليهم ، يقول الامام : وهم الذين
ذكرهم الله بقوله « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » :
ثم قال عليه السلام ليس المراد بالمنعم عليهم هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وان
كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة ألا ترون ان هؤلاء المنعم عليهم بالمال
قد يكونون كفاراً وفساقاً فما ندبتم ان تطلبوا من الله بان ترشدوا إلى صراطهم
وانما امرتم بالدعاء لأن ترشدوا إلى صراط الذين انعم عليهم بالايمان بالله
وتصديق رسوله وبالولاية لمحمد (ص) وآله الطيبين .

قال بعض العلماء : ان نعم الله وان كانت لا تحصى ولا تعد ولكن
انواعها ثمانية :

اما دنيوي موهبي روحاني كإفاضة العقل ، واما دنيوي وهبي جسماني
كخلق الاعضاء ، واما دنيوي كسبي روحاني كتحلية النفس بالاخلاق
الزكية ، واما دنيوي كسبي جسماني كتزيين البدن بالهياث المطبوعة ، واما
اخروي موهبي روحاني كغفران ذنب من لم يتب ، واما اخروي موهبي

جسماني كأنهار العسل ، واما اخروي كسبي روحاني كغفران ذنب التائب ،
واما اخروي كسبي جسماني كاللذات الجسمانية المستجلمة بالطاعات ، والمراد
هنا الاربعة الأخيرة وما يكون وصلة اليها من الاربعة الاوكل لاشترك المؤمن
والكافر فيما عدا ذلك :

« غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

روي عن الصادق (ع) قال : قال الخواريون لعيسى بن مريم
يا معلم الخير اعلمنا أي الاشياء اشد ؟
فقال : اشد الاشياء غضب الله عز وجل ، قالوا فيم يتقى غضب
الله ؟ قال : ان لا تغضبوا ، قالوا : وما بدء الغضب ؟ قال : الكبر
والتعجب ومحقرة الناس .

وقد ذكر المفسرون ان المغضوب عليهم هم اليهود بقوله تعالى « منهم
من لعنه الله وغضب عليه » وان الضالين هم النصارى لقوله تعالى فيهم
« قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً » فيكون المقصود من المنعم عليهم هم
الذين سلموا من الغضب والضلال وقال بعض المفسرين ان المقصود مطلق
من اتصف بذلك من الكفار وغيرهم .

قال أمير المؤمنين (ع) في هذه الآية : ان الله امر عباده ان يستعينوا
به من طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الذين قال الله فيهم « قل هل
اثبتكم بشر من ذلك مشوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه » وان يستفيدوا
من طريق الضالين وهم الذين قال الله فيهم « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً
وضلوا عن سواء السبيل » وهم النصارى ، ثم قال عليه السلام كل من
كفر بالله فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل الله .

روي عن النبي (ص) انه قال : انا اخاف على امتي من ثلاثاً شحاً

مطاعاً ، وهوى متبعاً ، واماماً ضالاً ، والمقصود من الامام الضال هو كل رجل ضال عن طريق الحق ويدعو الناس إلى سلوك طريقه وهم يتبعونه ويسلكون طريقه فيكون على الامام وزره ووزر من اتبعه .

كما روي عن الصادق (ع) قال : كان رجل في الزمن الاول طاب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها ، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها ، فاتاه الشيطان ، فقال له : يا هذا انك طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها ، وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها ، أفلا ادلك على شيء تكثر به دنياك ويكثر به تبعك قال : بلى ، قال : تبدع ديناً وتدعو اليه الناس ، ففعل فاستجاب له الناس ، واطاعوه واصاب من الدنيا ثم انه فكر في نفسه وقال : اني ابتدعت ديناً ودعوت الناس اليه فما ارى لي توبة إلا آتي من دعوته اليه ، فاردته عنه فجعل يأتي اصحابه الذين اجابوه فيقول : ان الذي دعوتكم اليه باطل ، وانا ابتدعته من نفسي فجعلوا يقولون كذبت في قولك هذا وهو الحق ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه ، فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوجد لها وتداً ثم جعلها في عنقه ، وقال : لا احلها حتى يتوب الله عز وجل عليّ ، فاوحى الله إلى نبي من انبيائه قل لفلان وعزتي لو دعوتني حتى تتقطع اوصالك ما استجبت حتى ترد من مات على ما دعوته اليه فيرجع عنه .

وروي عن سماعة قال قلت لابي عبد الله (ع) : قول الله تبارك وتعالى « من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً » فقال (ع) : من اخرجها من ضلال إلى هدى فقد احياها ومن اخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها ، ويؤيد الخبر المروي عن الصادق (ع) ما روى عن النبي (ص) انه قال : ابي الله لصاحب البدعة بالتوبة وابي الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة ، فقيل يارسول الله

وكيف ذلك ؟ قال : اما صاحب البدعة فقد اشرب قلبه حبها واما صاحب الخلق السيء فاذا تاب من ذنب وقع في ذنب اعظم من الذنب السني تاب منه .

وعن الحلي قال قلت لابي عبد الله (ع) ما ادنى ما يكون به للعبد كافراً ؟ قال : ان يبتدع شيئاً فيتولى عليه ويبرأ ممن خالفه . وانما تعرضنا للبدعة لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، فيكون صاحب البدعة من الضالين المضلين الذين نستعين بالله منهم في كل يوم وليلة عشر مرات في صلواتنا المفروضة بامر من الله . ومن ترك الاستعاذة منهم بترك الصلاة صار منهم ودخل في زميرهم فيلزمنا الاستعاذة منه ايضاً .

فيا اخي المسلم احذر هذا الزمان واهله فان البدع قد كثرت فيه وتنوعت ، إذ ان هذه الاحزاب التي تدعو اليها جماعات المسلمين وكل فرقة تعتنق حزباً منها كلها بدع تدعو إلى الضلالة .

وان البدعة هي احداث امر في الشريعة لم يرد فيه نص ، فالدخول فيها والانتساب اليها دخول في الضلالة .

تنبيه : -

ومن شجون الحديث ما رواه الفريقان العامة والخاصة عن النبي (ص) حيث قال : « اني مخلص فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » .
أخي المسلم : - تأمل في هذا الحديث فانه بلسان عربي مبين ليس فيه اجمال ولا تعقيد فانه صريح واضح بان من لم يتمسك بالثقلين فهو ضال ، اخي اقرأ سورة الفاتحة وتدبر في قوله تعالى الذي تقوله انت « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ثم بعد ما تقرأها تأمل في حديث الثقلين ثم انظر هل تنطبق الآية والحديث

نفسك أو ان كلامك بوادٍ وعملك بوادٍ اخر فلا يغررك الشيطان ولا يخذلك
عن نفسك فانها اعز الانفس عليك .

تمة : -

روي عن النبي (ص) قال : قال الله عز وجل قسمت الحمد بيني
وبين عبدي نصفين فنصف منها لي ونصفها لعهدي ولعهدي ما سألت فاذا
قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم قال : الله عز وجل بدأ عبدي بأسمي
حق علي ان أتم له اموره وبارك له في امواله ، فاذا قال : « الحمد لله
رب العالمين » قال الله عز وجل : حمدني عبدي وعلم ان النعم التي له من
عندي وان البلايا التي اندفعت عنه فبطولي اشهدكم باملائكتي اني اضيف له
نعم الدنيا إلى نعم الآخرة وادفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا
الدنيا ، وإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله عز وجل : شهد لي عبدي
باني الرحمن الرحيم اشهدكم لاوفرن من رحمتي حظه ولاجزلن من عطائي
نصيبه . وإذا قال : « مالك يوم الدين » قال الله تعالى : اشهدكم كما اعترف
باني الملك يوم الدين لاسهلن يوم الحساب عليه حسابه ولأثقلن حسناته ولأتجاوزن
عن سيئاته فاذا قال العبد : « اياك نعبد » قال الله : صدق عبدي اياي
يعبد اشهدكم لاثيبينه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي ،
فاذا قال العبد : « واياك نستعين » قال الله عز وجل بي استعان عبدي
ولي التجأ اشهدكم لاعيننه في شدائده ولأخذن بيده يوم نوائبه ، فاذا قال :
« اهدنا الصراط المستقيم ... الخ » قال الله عز وجل : هذا لعهدي ولعهدي
ما سألت قد استجبت لعهدي واعطيته ما امسّل وامنته مما منه وجل انتهى .

أيها المسلم : إذا قرأت الحمد بنية صادقة خالصة فإن الله قد تعهد
لك ان يرشدك إلى الصراط المستقيم ، وقد فعل ذلك جلّت عظمته حيث
دلنا على الطريق وامرنا ان نسير فيه بخط مستقيم ، ولكن بعض العباد يميل

مرة إلى الغرب ومرة إلى الشرق وتارة يقطع نصف الطريق أو ثلثي الطريق ، ثم يرجع القهقري ومرة اخرى يقطع هذه المسافة ويقف في مكانه متحيراً وكلمة يؤمر بالسير يمتنع ويصر على العصيان ، مع ان الوصول إلى الغاية لا يتم إلا بقطع الطريق إلى نهايته .

أيها المسلم : - سواء اكنت جليلاً أو حقيراً أو غنياً أو فقيراً أو تاجراً أو غير ذلك من سائر الاصناف حيث ان اغلب الناس قد خالف القرآن والسنة فلو انك تعمل بسورة الفاتحة وحدها لهدتك إلى ما ينتظم به دينك ونيابك ، نحن الآن في سنة ١٣٨٨ هجرية وان البلاد الاسلامية كلها في اضطراب وتشويش ونرى كل فرقة منها قد اعتنق مبدأ مخالفاً للدين فبين متظاهر به وبين مخنف مستتر به والله يخاطب نبيه بقوله : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » انها امرهم إلى الله ثم ينبتهم بما كانوا يعملون « (١) .

أيها المسلم ارجع إلى دينك وكتابك واعمل بما امرك به نبيك وسر على الطريق الذي امرك به الله « انما المؤمنون اخوة » وتنبهوا لما دسه العدو الاجنبي الذي يريد استعماركم فانكم لا تحصلوا على شيء ما لم تتقوا وتكونوا اخوة ، أيها المسلم المصلي سر على الطريق المستقيم الذي تطلبه من الله في كل يوم عشر مرات ولا تخرج عنه مغرباً أو مشرقاً .

هذا آخر الكلام في سورة الفاتحة وقد ذكرنا في اول الامر ان المقصود هو العرض الآيات التي تصف المؤمن وتذكر شروطه وانما ذكرنا الفاتحة لأنها ام الكتاب وهي التي توجد حقيقة المؤمن فمن اتصف بما فيها من وصف فهو من سادات المؤمنين وهو الذي يلزم المؤمنين الاقتداء به ونسأله تعالى ان يجعلنا منهم .

(١) سورة الانعام آية ١٥٩ .

الكلام في سورة البقرة من الآية ١ إلى الآية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

« الم • ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »

لقد اختلف العلماء في معنى الحروف المقطعة التي تكون في اوائل السور وذكرها وجوهاً كثيرة ونحن نذكر قولاً واحداً هو ان المراد منها ان هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته ولم تقدرُوا على الاتيان بمثله هو من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في كلامكم وخطابكم ، فحيث لم تقدرُوا عليه فاعلموا انه من فعل الله تعالى وتكرارها في مواضع عديدة تأكيداً للحجة والأولى ان نقول ان هذا من قسم المتشابه « الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » كما روى ذلك في اخبارنا الواردة عن الأئمة عليهم السلام . قوله « ذلك الكتاب » اشارة إلى « الم » فيكون « الم » مبتدأ وذلك مبتدأ ثانٍ والكتاب خبر للمبتدأ الثاني والجملة خبر للمبتدأ الأول « لا ريب فيه » قال الامام يعني ان القرآن الذي افتتح به - « الم » هو ذلك الكتاب الذي اخبر به موسى ومن بعده من الانبياء وهم اخبروا بني اسرائيل اني سأنزله عليك يا محمد لاشك فيه لظهوره عندهم فهو خبر بمعنى الأمر أي لا ترتابوا فيه .

« هدى للمتقين » :

الهدى هو الارشاد والدلالة والبيان بما ينفعه ويوصله إلى الحق حتى يصل إليه والردع عما يضره وهو عام لكل احد ، وانما خص المتقين لانهم هم المستفوعون به قبل غيرهم ، والتقوى عبارة عن التحرز والتحفظ عما يضره فانها مأخوذة من الوقاية وهي في اللغة فرط الصيانة وفي العرف الشرعي صيانة النفس عما يضرها في الآخرة وقصرها على ما ينفعها فيها ، والتقوى صفة جامعة لكل ابواب الخير وهي احسن صفة يتصف بها العبد لتقربه

إلى الله ، فقال تعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ان اتقوا الله) فقد اقتصر سبحانه على هذه الكلمة ولا شك انه تعالى اعلم بصلاح العبد من كل احد ، ورحمته ورأفته اجل من كل رحمة ورأفة ، فلو كان في عالم النصح والأرشاد كلمة أو خصلة هي اصلح للعبد واجمع للخير من هذه الخصلة لكانت أولى بالذكر واحرى بأن يوصي بها عباده ، وقد كرر الله ذكرها في القرآن وعلق عليها فوائد كثيرة عظيمة .
 قال بعض العلماء : ان خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهي التقوى انظر إلى ما في القرآن الكريم من ذكرها فكم علق عليها من خير ووعد لها من ثواب واصناف اليها من سعادة دنيوية وكرامة اخروية ولنذكر لك من خصالها وآثارها الواردة فيه :-

١ - المدحة والثناء : قوله « وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » :

٢ - الحفظ والحراسة : قوله « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً » :

٣ - التأييد والنصر : قوله « ان الله مع الذين اتقوا » .

٤ - النجاة من الشدائد والرزق الحلال : قوله « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وحيث ان النبي (ص) والأئمة عليهم السلام قد ذكروا في بيان هذه الآية كثيراً من الأمور رأيت الانسب ذكر بعض ما ورد عنهم ، ثم نأتى على بقية ما ذكره هذا العارف ، قال في التفسير « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » من كل كرب في الدنيا والآخرة .

وعن النبي (ص) قال : يجعل له مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وقال امير المؤمنين (ع) يجعل له مخرجاً

من الفتن ونوراً من الظلم ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من وجه لم يخطر
بباله ، وقال رسول الله (ص) في وصيته لابي ذر : لو ان الناس اخذوا
بهذه الآية لكفتمهم « ومن يتق الله » .

وقال للصادق (ع) في جواب رسالة النجاشي : ثم انى اوصيك
بتقوى الله ، ولما ثار طاعته ، والاعتصام بحمله الى ان قال : واعلم ان الخلائق
لم يوكلوا بشي اعظم من التقوى ، فانه وصيتنا أهل البيت .

وقال الحسين بن علي (ع) في بعض مواعظه : « اوصيكم بتقوى الله
فان الله قد ضمن لمن اتقاه ان يحوله عما يكره الى ما يحب ويرزقه من حيث
لا يحتسب ، فاياك ان تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويامن العقوبة
من ذنبه فان الله تبارك وتعالى لا يخذع عن جنته ولا ينال ما عنده إلا
بطاعته » . فلنرجع الى كلام من عدد فوائد التقوى قال :

٥ - صلاح العمل : قوله « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً
سديداً يصلح لكم اعمالكم » .

٦ - غفران الذنوب : قوله بعد قوله « يصلح لكم اعمالكم ويغفر
لكم ذنوبكم » .

٧ - توجب محبة الله : قوله « ان الله يحب المتقين » ،

٨ - قبول الاعمال : قوله « انما يتقبل الله من المتقين » .

٩ - الاكرام والاعزاز : قوله « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

١٠ - البشارة عند الموت : قوله « ان الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم
البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » . وقد فسرت البشارة في الحياة الدنيا
بكونها عند الموت .

١١ - النجاة من النار : قوله « ثم لننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين
فيها جثياً » .

١٢ - الخاود في الجنة : قوله « اعدت للمتقين » .

فقد ظهر لك ان سعادة الدارين منظوية فيها ومندرجة تحتها وهي كنز عظيم وغنم جسيم وخير كثير وفوز كبير ، انتهى .

ومما يتعلق بالتقوى قول النبي (ص) لبني هاشم : لا تقولوا ان مجدأ منا فوالله ما اوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون .

ومن جملة كلام أمير المؤمنين (ع) لابي ذر : ولو ان السماوات والارض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً ولا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل ،

وستل الصادق عن تفسير التقوى فقال (ع) : « ان لا يفقدك الله حيث امرك ولا يراك حيث نهاك » .

وقال رجل لبعض الناسكين : صف لنا التقوى ، فقال : إذا دخلت ارضاً فيها شوك كيف كنت تعمل ؟ قال : اتوقى وأحترز ، قال : فافعل في الدنيا كذلك فهي التقوى .

وذكروا ان للتقوى مراتب ثلاث :

الأولى : وقاية النفس عن العذاب وهذا يحصل بالتوقي عن الشرك .
الثانية : التجنب عن كل ما فيه اثم ، من ترك الواجب وفعل الحرام وهو اجتناب المعاصي .

الثالثة : التوقي عن كل ما يشغل القلب عن الحق ويدخل في هذه المرتبة اجتناب المكروهات بل اجتناب المباحات المشغلة للقلب ، فمحصّل مما ذكرنا ان المتقي هو السذي اتقى انواع الكفر فتركها واتقى انواع الذنوب الموبقات فرفضها واجتنبها واتقى كل ما يلهيه عن ذكر الله فتباعد عنها .
« الذين يؤمنون بالغيب وبقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .

هذه صفات المتقين التي وصفهم الله بها فان التقوى لما كانت من

صفات النفس الباطنة ولم يكن لها وجود خارجي دلنا الله على اثارها
الخارجية التي تعرف بها فذكر لها خمس صفات :

الأولى : الايمان بالغيب وهو الشيء الغائب الذي لا يدرك بأحد
الحواس وذلك مثل التصديق بالبعث والنشور والصراط والجنة والنار وقيام
المهدي (عجل) .

الثانية : اقامة الصلاة ، والمقصود ان يأتون بها تامة الأركان والشرائط
وان يصونها عما يفسدها أو ينقصها .

الثالثة : الانفاق مما رزقهم الله من الاموال والابدان والقوى والجاه
والعلم فان الرزق هو كل ما يحتاج اليه الانسان فيشمل هذه الامور كلها
وقد اسند الله الرزق اليه تنبيهاً على ان الحرام منه ليس من عنده وينهى
عن اخذه وان المنفق منه لا يستحق المدح . والاشارة بـ (من التبعيضية)
الى المنع عن التبذير وصرف جميع المال فيبقى صاحبه كلاً على الناس والانفاق
من المال يشمل الحقوق الواجبة وغيرها (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما
انزل من قبلك والآخره هم يوقنون) هذه الصفة الرابعة من صفات المتقين
انهم يصدقون بما انزل اليك من القرآن ويعترفون انه من عند الله عز وجل
وان شريعتك من عند الله ويؤمنون بان ما انزل من قبلك من الكتب كالتوراة
والانجيل والزبور وغيرها انها من الله عز وجل .

الخامسة : من صفات المؤمنين انهم يوقنون بالآخره وهي الدار التي
تكون بعد الدار الدنيا فهم يوقنون بها لا يشكون فيها ولا يعتربهم الريب
والزيف . فهذه الصفات الخمس هي علامات المتقين وهي :

١ - الايمان بالغيب .

٢ - اقامة الصلاة .

٣ - الانفاق من الرزق .

٤ - للتصديق بانزال الكتب ة

٥ - اليقين بالدار الآخرة ة

وبعدما علمنا الله بصفاتهم اعلم الملائكة والبشر المتقين انهم على صواب وعلى علم من اوامر ربهم بخلاف غيرهم ممن يجهل اوامره أو يشك فيها ثم بشرهم باعلام غيرهم ان هؤلاء القوم هم المفلاحون والفلاح هو النجاح والفوز بما يؤمله الانسان من الجوائز والثواب الذي لا تخطر على بال احد فقد حث سبحانه سائر العباد على الالتحاق بهؤلاء القوم والاتصاف بصفاتهم حتى يعدوا من المتقين ويكونوا من المفلحين :

(آية ٢١ سورة البقرة)

« يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم وللذين من قبلكم لعلكم تتقون لما ذكر الله الاية التي وصف بها المتقين عقبها بذكر غيرهم من الفرق واختلافهم في العبادة ثم التفت بهذه الاية اليهم وناداهم وخاطبهم جميعاً لتعلم كل فرقة بل كل فرد انه معني ومقصود بالخطاب وامرهم ارشاداً وهداية لهم ودلالة على ما ينفعهم فقال (اعبدوا ربكم) فان الرب الخالق والذي بيده جميع الامور من الرزق والموت والحياة هو الاولى بالعبادة والمستحق لها دون غيره الذي هو مخلوق له والمقصود من العبادة ان يخضعوا له غاية الخضوع ويطيعوه في كل ما يأمرهم به ولا يشركوا به احداً ثم قال (لعلكم تتقون) فاذا عبد الانسان خالقه لا يكون من المتقين حتماً بل يمكن ان لا يكون من المتقين لسوء اختياره فاذا اتصف العابد بالصفات المتقدمة كان من المتقين فالمطلوب من الناس في الاية هي عبادة الله الخالصة لوجهه الكريم فاذا عبده كذلك راجين وصولهم الى درجة التقوى وفقهم الله لها .

« اذا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن اصحاب الجحيم »

آية ١١٩ سورة البقرة

ان في هذه الآية تسلية من الله لنبيه (ص) على مخالفة من خالفه وعدم قبولهم لما جاء به من عند الله إذ يقول له « انا ارسلناك بالحق وهو القرآن ودين الاسلام المتكفل لمصالح الدنيا والاخرة ، « بشيراً ونذيراً » لتبشّر المؤمنين الذين اتبعوك وصدقوك بالنعيم الدائم وتنذر الذين كذبوك وخالفوك بأن مصيرهم الى الجحيم وانت غير مسؤول عنهم بعد ما أدبت ما عليك من ابلاغ الرسالة ، فليس عليك اجبارهم على قبول ما جئتهم به من الله ولا تؤاخذ بدينهم ، وهذه الالاهة وان لم يكن فيها بعض ما على المؤمن من التكليف لكنها مقدمة للآية التي بعدها وهي قوله تعالى « ولن رضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير » : آية ١٢٠ سورة البقرة

كان اليهود والنصارى يطلبون من النبي (ص) الهدنة ويظهرون له انه ان هادنهم وامهلهم اتبعوه وكان هو (ص) يجتهد في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الاسلام فاخبره الله انهم لا يسلّمون أبداً وامره بترك ما يرضيهم والرجوع الى جهادهم وأعلمه انهم لا يرضون إلا بما تبتعتهم في دينهم وهذا من الرسول لا يمكن ان يصدر وانما هو اعلام لامته ، وأمره الله ان يقول لهم « ان هدى الله هو الهدى » أي قل لهم ان دين الاسلام المنزل في القرآن هو الهدى الحق وعليه الطريق المستقيم وهو الذي يرضى به الله وهو الموصل الى الجنة حيث انه بدلالة من الله وهذا اعلام بعدم اسلام اليهود فليس معه امل أو احتمال في اسلامهم وعدم رضاهم عن المسلم إلا باتباعهم ثم بين سبحانه حكم من يتبعهم بقوله « ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم

ما لك من الله من ولي ولا نصير « اسمعوا ايها المسلمون وتأملوا جيداً في هذه الاية الشريفة فان من أراد منكم ان يرضي اليهود والنصارى باتباعهم فيما يهوون به بعد ما جاءكم من القرآن والسنة النبوية فليس لهم ولي يحفظهم من عقاب الله وليس لهم نصير يعينهم أو يدفع عنهم العقاب الذي يستحقوه جزاء لارضاء اعداء الله :

فيا أيها المؤمنون : يا أيها المسلمون ، يا أولي الامر ، التزموا بكتاب الله وشريعته واحكموا بما انزل الله فقد قال تعالى في محكم كتابه :

« ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون »
« ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون »
« ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون »
ولا تكولوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فيعصمكم بعقاب من عنده ويجري عليكم سنته فيمحقكم محقاً .

ثم تأملوا جيداً في الاية فانه تعالى قال « ولئن اتبعت أهواءهم » أي ان الذي يدعونكم اليه اليهود والنصارى هو ناشئ عن أهوائهم غير مستند الى شريعة سماوية وان الذي انتم عليه معلوم لديكم انه نازل من الله فلا تتركوا ما تعلمون انه حق وتأخذوا بالذي هو ناشئ عن الهوى أي هوى اعدائكم واي انسان يفعل هذا الفعل أي بترك الحق المعلوم ويأخذ بهوى عدوه ، فهو في غاية من السفاهة والسقوط ، فكل رجل فقير مسلم أو زعيم مسلم إذا ترك حكم القرآن واخذ باحكام النصارى فقد ارتكب اموراً خطيرة كل واحد منها موجب لكفره :

- ١ - نبذه لاحكام القرآن :
- ٢ - اخذه واتباعه هوى اعداء الاسلام :
- ٣ - خيانة المسلمين من أهل شعبه :

٤ - ترجيح منفعة الكافر العدو على منفعة نفسه ومنفعة سائر المسلمين وهو يظن ان هؤلاء الأعداء ينفعونه ويغفل عن ان الامور كلها بيد الله وانه يتمكن على اهلاكه في اقل من طرفة عين كما جرى ذلك في التاريخ بالنسبة للطغاة والمارقين قال رسول الله (ص) : صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والامراء : فالواجب على العلماء القول والواجب على الامراء التنفيذ .

« كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »

آية ١٥١ سورة البقرة

قد ذكر الله في الايات السابقة على هذه الآية كيفية تحويل القبلة الى الكعبة وعرف المسلمين انه قد انعم عليهم بأن جعل لهم البيت الذي بناه ابراهيم ودعا له بما دعا من الخيرات والبركات قبلة فهذه منة من الله عليهم ثم ذكر لهم منة اخرى وهي الايمان عليهم بأن ارسل لهم رسولا يتلوا عليهم آياته ... الخ . فهذا الخطاب من الله الى العرب يعرفهم انه ارسل لهم رسولا منهم وهو محمد بن عبد الله (ص) فهذا شرف عظيم شرف الله به العرب فيكون ادعى لهم الى الايمان به واتباعه مضافاً الى المنافع الجليلة التي جاء بها وقد ذكرها بقوله « يتلوا عليكم آياته » وهي آيات القرآن المشتملة على الاداب والاحكام ونظام الدنيا والاخرة . « يزكيكم » أي يعرضكم لما تكونوا به ازكيا حيث يأمركم بطاعة الله واتباع مرضاته . « ويعلمكم الكتاب والحكمة » أي القرآن والوحي من السنة . « ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » أي يعلمكم اشياء لا يمكن العلم بها إلا من طريق الوحي .

تنبه : -

ان الله قد شرف العرب وفضلهم بهذه الايات بانواع من الفضل والكرامة ولو ان الخطاب في هذه الاية كان لامة اخرى غير العرب لكتبوها بالذهب ولعلقوها في المحافل والنوادي والطرق العامة افتخاراً بها امام للعالم ومع كل الاسف ان العرب ما عرفوا هذا الشرف وما قدروه وما شكروا الله على هذه النعمة وما عملوا بمضامين الايات فكأن المخاطب غيرهم والمقصود سواهم ، ايها العربي المسلم التفت الى النعم وعددها

١ - ان الله انعم علينا بتحويل القبلة الى الكعبة حيث ان اليهود كانوا يعيرون النبي والمسلمين بأنهم اتبعوا قبلتهم فحول الله القبلة :
٢ - ان الله ارسل لكم رسولا منكم عربياً يكلمكم بلغتكم فتفهمون منه بلا واسطة :

٣ - ان هذا الرسول يتلو عليكم آيات الله وهي آيات القرآن المشتملة على اعلى درجات الفصاحة والبلاغة حيث اعجزت جميع البشر ان يأتوا بآية مثلها :

٤ - يعلمكم الكتاب والتعليم شيء آخر غير التلاوة فان التعليم عبارة عن تفسير كلماته وكشف غوامضه وغير ذلك مما يخفى على الناس .
٥ - ويزكيكم أي ينمي في علومكم ومعارفكم ويطهركم من الاعتقادات الفاسدة كالشرك والكفر ومن الاخلاق الرذيلة كالشح والكبر ومن الافعال القبيحة الشنيعة كالقتل والزنا وشراب الخمر والمقامرة .

٦ - يعلمكم الحكمة وهي ما أوحى اليه من السنة :
٧ - يعلمكم ما لم تعلمون وهو كل شيء لا يعلم إلا بالوحي :
٨ - وهو اعلاها واشرفها وفضلها وهو توجيه الخطاب اليكم ولو عقلتم علو هذا الشرف والفضل لتهاقتم عليه تهافت الفراش على النور

اللامع فانه تعالى أراد سوقكم الى اقصى مراتب الكمال وافضل صفات
الانسانية وانعم عليكم بنعمة ليس لها ثمن ولو طبقتكم ما أمركم به النبي (ص)
لارتفعتم الى اعلى مراتب العز والشرف في الدنيا والاخرة ولسدتم به العالم
باجمه ولكنكم رغبتم عن هذه الرتب العالية ولم تتق لها نفوسكم ثم انه
سبحانه بعدما لفت نظركم الى هذه النعم الجسيمة والفضائل العظيمة التي
فضلكم بها امركم بشئ واحد ووعدكم انكم إذا فعلتم هذا الشئ وداومتم
سوف يبقي هذه النعم عليكم ولا ينقص منها شيئاً ، فقال عز وجل :
« فاذكروني اذكركم » آية ١٥٢ سورة البقرة »

تكليف يسير ما أخفه وما اسهله وجزاء عظيم جزيل ما أنفعه وما
افخمه ، ايها المسلم ان الله عز وجل يخاطبك بلا واسطة ويقول لك اذكروني
اذكرك فاذا ذكرك الله الذي بيده الامور كلها قضى لك امورك كلها
الدنيوية والاخروية والمقصود من الذكر في الاية الشريفة ليس الذكر باللسان
بل هو الذكر الذي يقابله التسيان والغفلة .

قال رسول الله (ص) في وصيته لعلي (ع) يا علي ثلاث لا تطيقها
هذه الأمة ، المواساة للأخ في ماله وانصاف الناس من نفسه وذكر الله على
كل حال وليس هو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولكن
إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عز وجل عنده وتركه . وقال (ص)
يوماً لاصحابه ألا اخبركم بخير اعمالكم وازكاها عند مليكم وارفعها في
درجاتكم وخير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من ان تلقوا عدوكم
فتقتلونهم وهقتلونكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله كثيراً ، فيكون
المقصود من الذكر هو التذكر بالقلب .

وقد روي عن الباقر (ع) قال ثلاث من اشد ما عمل العباد انصاف
المرء من نفسه ، ومواساة الأخ وذكر الله على كل حال ، وهو ان يذكر

الله عز وجل عند المعصية بهم بها فيحول ذكر الله بينه وبين تلك المعصية وهو قول الله عز وجل « ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » .

وروي عن الصادق (ع) قال : ان الله تبارك وتعالى يقول : من شغل بذكرني عن مسألتي اعطيه افضل ما اعطي من سألني .

وروي عن الصادق (ع) قال : قال الله تعالى ابن آدم اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي ، ابن آدم اذكرني في خلاء اذكرك في خلاء ، اذكرني في ملأ اذكرك في ملأ خير من ملئتك .

وقال عليه السلام : ما من عبد يذكر الله في ملأ من الناس إلا ذكره الله في ملأ من الملائكة .

أيها المسلمون : فكروا جيداً وتأملوا في قول الله عز وجل « فاذكروني اذكركم » حتى تعرف ما ذكرك له وما ذكره لك ، اما ذكرك له بأن يكون قلبك ذاكراً له في كل الأحوال والازمان فاذا ذكرت لك اوامره فان قلبك ينشرح لها ويأنس بها ويقبلها حتى قبولها .

وقد روي عن النبي (ص) انه قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ، ومن عصي الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن . فعلى هذا من يكون ذاكراً لله في كل وقت فهو مطيع له في جميع الأوامر والنواهي وان المعصية كما يفيد الحديث النبوي لا تصدر من العبد إلا بالغفلة عن ذكر الله فان العبد إذا أراد ارتكاب المعصية ثم التفت إلى أثرها السيء الموجب للبعد عن الله ارتدع منها وتركها « إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » اما ذاك بهم بالمعصية فيذكر بالله أو هو يذكره فلا يرتدع عن معصيته فهو طاغ جهول لا يعرف مقام ربه وعلو كبريائه واحاطته بمخلوقاته . فالقلب

الذاكر يكون صاحبه مطيعاً لله في كل الاحوال ما دام القلب ذاكراً وهذا هو السني امرنا به الله بقوله « اذكروني » فان الامر مطلق من جميع الوجوه وهذا القلب هو اعلى القلوب مقاماً ورتبة .

قال الامام الصادق عليه السلام : اعراب القلوب على أربعة أنواع : رفع وفتح وخفض ووقف فرفع القلوب في ذكر الله ، وفتح القاب في الرضا عن الله وخفض القلب في الأشتغال بغير الله ووقف القلب في الغفلة واما ذكره لك فقد قيل في تفسيره

١ - عن سعيد بن جبیر اذكروني بطاعتي اذكرکم برحمتي ،

٢ - عن ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكرکم بمعونتي «والذين جاهدوا

فيما لنهدينهم مبلغنا» .

٣ - عن بعضهم اذكروني على ظهر الارض اذكرکم في بطنها :

٤ - ما قيل اذكروني في الدنيا اذكرکم في العقبى .

٥ - اذكروني في النعمة والرخاء اذكرکم في الشدة والبلاء ، وفي الخبر

تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .

٦ - اذكروني بالدعاء اذكرکم بالاجابة ، قوله « ادعوني استجب لكم»

٧ - روي عن الباقر عليه السلام قال : قال النبي (ص) : ان الملك

ينزل الصحيفة من أول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فاملوا في

أولها خيراً وفي اخرها خيراً فان الله يغفر لكم ما بين ذلك ان شاء الله

فان الله يقول اذكروني اذكرکم . هذا ما قيل في تفسيرها وهناك اقوال

غير ما ذكر ولكن إذا رجعنا إلى كلام الله نراه يقول « اذكروني اذكرکم»

هلا قيد أو شرط أو زمان أو مكان أو حال فقد وعدنا ان يذكرنا إذا

ذكرناه فاذا كان للعبد على ذكر من ربه في كل وقت ذكره الله كذلك

ان الله لا يخلف الميعاد ثم ان ذكر الله لعبده يكون مطابقاً لذكر العبد

لربه فان ذكر العبد ربه ذكر خضوع وخشوع وتذلل ذكره الله ذكر رحمة

ورأفة ، اما إذا ذكر ربه وهو مصر على معصيته ولم يردعه ذكر الله عن
عصيانه فسوف يكون ذكر الله له ذكر مقت ولعن وطرد .

ارشاد : -

قد يكون العبد ذاكراً لربه وهو خاشع خاضع ذليل متضرع غير
متلبس بمعصية في تلك الساعة ولكن مع ذلك لم يكن اهلاً لأن يذكره الله
ذلك الذكر الذي يدخله تحت عناية الله والذي يوجب له نعيم الابد الذي
لا انقطاع له . وبدل على هذا ما ذكره في عدة الداعي عن النبي (ص)
قال اوحى الله تعالى إلي ان يا أخا المرسلين ويا أخا المنظرين انذر قومك لا
يدخلوا بيتاً من بيوتى ولأحد من عبادي عند احدهم مظلمة فاني عنه ما
دام قائماً يصلي بين يدي حتى يرد تلك المظلمة . الخ .

فانكشف لنا من هذا الحديث ان الله انما تعهد ان يذكر عبده الذاكر
له بقوله « اذكروني اذكركم » ان المقصود أو المتيقن هو العبد الذاكر لله
في جميع حالاته بحيث لا يتعمد معصيته أما الذي ينهب مال الناس ويظلمهم
ثم يأكل ويشرب ويلبس من هذا المال فيأتي إلى بيت الله فيقف وقوف
الاتقياء ويصلي بخضوع وخشوع فهذا لا يذكره الله إلا باللعن فلا يخدع
الانسان نفسه « انما يتقبل الله من المتقين » ولكن لا يمنعه الله رزقه في
الدنيا فان هذا الرزق منقطع لا دوام له ويعطيه الله للمؤمن والكافر .

وقد روي عن الصادق (ع) في قوله تعالى « وقد منا إلى ما عملوا من
عمل فجعلناهم هباءً منثوراً » قال اما والله ان كانت اعمالهم اشد بياضاً من
القباطى ولكن كانوا إذا عرض لهم حرام لم يدعوه .

قوله « واشكروا لي ولا تكفرون »

لا ريب ان شكر المنعم مما يحكم العقل بوجوبه لا سيما إذا كانت
النعمة من القوي المتمكن من سلبها ممن انعم بها عليه وقد سمي الله غير

الشاكرين بالكافرين في آيات عديدة من القرآن فيكون الشكر واجباً شرعاً وعقلاً ، وحيث ان الشكر موقوف على معرفة النعمة وهرفة المنعم فقد حدد الله النعم التي تفضل بها علينا في الآية (١٥١) ثم امرنا بمعرفته بقوله « أذكروني » ثم عرفنا بأن شكره واجب علينا فقد نبهنا وعرفنا مقدمات الشكر وهذه أيضاً نعمة عظيمة يجب الشكر لها ، واما حقيقة الشكر فهي ان يعترف العبد بأن النعم من عنده ، وان من جرت على يده بعض المقدمات من البشر فهي أيضاً من الله فان هذه المعرفة هي أول مراحل الشكر ، وبعد ان يحصل العبد هذه المرحلة يظهرها إلى الخارج بواسطة لسانه ، فيشكر الله ويحمده فهذه المرحلة الثانية ، والمرحلة الأولى والثانية هما نعمتان من الله على عبده .

المرحلة الثالثة : ان يصرف النعمة التي حصل عليها في الوجه الذي أمره الله به ، ولا يصرفها فيما لا يرضي الله ، والهداية والتوفيق في هذه من الله أيضاً . فتبين من هذا ان حقيقة الشكر لا تحصل إلا باستعمال النعم في المحل الذي أمرنا الله به وهذا يشمل النعم العامة من الخلق والخلق والعقل والصحة وسلامة الاعضاء وغيرها مما لا تحصى ولا تعد فكل شيء من هذه النعم إذا استعملها العبد في غير ما أمر به فهو كفران للنعمة .

المرحلة الرابعة : امثال أوامر الله كلها وترك نواهيها سواء كانت الأوامر واجبة أو مندوبة ، وسواء كانت النواهي محرمة أو مكروهة ، وهذه المرحلة الرابعة توضيحاً للثالثة إذ معنى صرف النعم فيما أمر الله به هو امثال للأوامر والنواهي ولكن قد يتوهم البعض ان النعم هي ما يتمتع بها في الدنيا ويغفل عن نعم الآخرة التي هي النعم الحقيقية .

قال الامام الصادق (ع) : في كل نفس من انفسك شكر لازم لك بل الف أو اكثر ، وادنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى من غير علة

يتعاقب القلب بها دون الله عز وجل ، والرضا بما اعطى ، وألا تعصيه بنعمته
وتخالفه بشي من أمره ولهبه بسبب نعمته ، فكان لله عبداً شاكراً على كل
حال تجد الله رباً كريماً على كل حال ، ولو كان عند الله تعالى عبادة تعبد
بها عباده المخلصين افضل من الشكر على كل حال ، لأطلق لفظة منهم من
جميع الخلق بها ، فلما لم يكن افضل منها خصها من بين العبادات وخص
اربابها فقال « وقليل من عبادي الشكور » ونام الشكر الاعتراف بلسان
للسر خاضعاً لله بالعجز عن بلوغ ادنى شكره لأن التوفيق للشكر نعمة حادثة
يجب الشكر عليها وهي اعظم قدراً واعز وجوداً من النعمة التي من اجلها
وفقت له فيلزمك على كل شكر شكراً اعظم منه إلى ما لا نهاية له مستغرقاً
في نعمه قاصراً عاجزاً عن درك غاية شكره واني يلحق العبد شكر نعمة الله
ومتى يلحق صنيعه بصنيعه والعبد ضعيف لا قوة له أبداً إلا بالله عز وجل
والله غني عن طاعة العبد قوي على مزيد النعم على الابد فكان لله عبداً
شاكراً ترى العجب .

إيقاظ :

لما تبين ان حقيقة الشكر هي امثال اوامر الله ونواهيه وصرف نعمة
فيما يحبه والكفران عبارة عن صرف نعمة فيما يكرهه أو ترك الاوامر وارتكاب
النواهي يلزم العبد الشاكر معرفة المحبوب عند الله وتمييزه عما سواه وتشخيص
الافعال التي امر الله بها وكذا معرفة الامور التي نهى عنها وحيث ان المحبوب
عنده والمبغوض لديه لا يمكن معرفته إلا من قبله اما مذكور في القرآن أو
بأخبار النبي (ص) عن الله ولا مجال لمعرفة ذلك بغير الطريق الخبر عن
الله عز وجل الطريق الموصل اليه بالنبي (ص) وبمن عنده علم النبي (ص)
ولا يمكن معرفته بالقياس أو الاستحسان ولا يجوز الاخذ ممن يدعي العلم
ما لم يسند ذلك إلى القرآن أو النبي بطريق قطعي فلا فائدة بما يسلكه

بعض الناس من الطرق المخطئة فان اتعابه تذهب سدى ولا يحصل على
فائدة دنيوية ولا أخروية .

عقاب الأعمال عن الصادق قال عبد الله حبر من اجبار بني اسرائيل
حتى صار مثل الخلال فوحى الله الى نبي زمانه قل له وعزتي وجلالي
وجبروتي او انك عبدتي حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر ما قبلت
منك حتى تأتني من الباب الذي امرتك به .

محصل البحث : -

لقد تحصل مما ذكرنا من تفسير الآيتين الشريفتين ما يأتي :

١ - ان الله خاطب العرب بما فضلهم به فعليهم ان يفخروا بهذا
الخطاب على سائر الامم .

٢ - انه ارسل لهم رسولا منهم فعليهم تصديق هذا الرسول ومتابعة
ارشاده .

٣ - يلزمهم الاستماع لآي القرآن إذا تلي عليهم .

٤ عليهم ان يزكوا انفسهم بما زكاهم به النبي من نيل الاخلاق الفاسدة
الاعتقادية والعملية .

٥ - يلزمهم تعلم احكام الكتاب والحكمة وهي السنة النبوية التي لم
يكونوا يعلموها من قبل .

٦ - عليهم ان يكونوا دائما في ذكر الله ليذكروهم وينتقدهم مما وقعوا
فيه من الرجوع إلى الجاهلية .

٧ - يلزمهم شكر المنعم على جميع نعمه والا فهم عند الله من الكافرين
فاذا لم يمكنهم الاتصاف بهذه الصفات فقد ذكر الله لهم ما يعينهم
ويساعدهم على رياضة انفسهم وكبح جماحها ، فقال عز وجل : -

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين »

آية ١٥٢ سورة البقرة

قد وجه الله تبارك وتعالى النداء في هذه الآية إلى المؤمنين الذين صدقوا النبي (ص) فيما جاء به من الأوامر المذكورة في الآيات المتقدمة وفيما يأتي من الأمور بعد هذه الآية وحيث ان الأوامر هي من الأمور العظام عرف الله المؤمنين وارشدهم إلى ان هذه الأمور إذا كانت شديدة عليهم وان نفوسهم لا تطيقها فليستعينوا على ثقلها بأمرين :

١ - الصبر . ٢ - الصلاة .

اما الصبر فهو حبس النفس وتوطئتها على ما تنفر منه من الطاعات وعمّا ترغب اليه وتأنس به من المعاصي ، وقد وعدهم انهم إذا وطنوا انفسهم على ذلك انه سيكون معهم أي يؤيدهم وينصرهم وينجف عليهم ما يرونه ثقيلاً من الطاعات ويغض لهم ما يرونه مؤلماً من المعاصي فاذا صبروا ووطنوا انفسهم سهلت حينئذ عليهم الأمور التي كلفوا بها في الآيات المتقدمة والآيات التي تأتي بعد هذه الآية من جهاد الكفار والتغلب عليهم .

واما الصلاة فحيث انها عبارة عن ذكر الله تعالى وقد وعدهم الله تعالى في الآية المتقدمة انه يذكرهم إذا ذكروه ، ففي هذه الآية يقول لهم إذا أكثرتم من ذكرى فلا تستصعبوا شيئاً لاني اذكركم في جميع حالاتكم فاذا ذكرتم خف عليكم كل شيء من العبادات والطاعات وجهاد الأعداء وان كانوا اضعافكم فان النصر النهائي لكم .

ايقظ :

ايتها الامم المسلمة اما فيكم امة تتمسك بالاسلام تمسكاً حقيقياً تتدبر هذه الآية وتعمل بها ليكون الله معها فتخلص المسلمين اجمع من محال

المستعمرين وتنقذهم من تلاعب المفسدين فيكون النصر النهائي لها وحدها ،
تذبحوا قليلا وتدبروا حال اليهود وما كانوا عليه من الذل والهوان ليس لهم
مأوى وملجأ وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت ثم نظروا اطراف الدنيا
فرأوا ان العرب لقمة سائغة فاغاروا على ارضهم واستلبوها ، وفي كل يوم
نسمع من اذاعاتهم السخرية والاستهزاء بالعرب والله تعالى يخاطبكم ويقول
لكم سيروا على الطريق الذي رسمته لكم وانا معكم ، فما بالكم وما هذا
التخاذل ؟ اما ترون ان الله قادر على اكتساح اليهود من ارضكم ؟ اما تؤمنون
بوعده الله ؟ اما تعتقدون بصدق القرآن ؟ بلى انكم تتصفون بالصبر دون
الصلاة في قتل بعضكم بعضاً ففي كل يوم لكم مجزرة يقتل فيها طائفة منكم
توهنون بذلك عضدكم وتقللون عددكم وتضعفون قوتكم ولكن صبركم هذا
ليس الصبر الذي أمر به الله وانا هو أمر من الشيطان . آية واحدة من عشرات
الآلاف اما تعملون بها فيضمن لكم خير الدنيا والاخرة .

قوله تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء
ولكن لا تشعرون » .

آية ١٥٤ سورة البقرة

لما أمرنا الله بالاستعانة بالصبر والصلاة على اداء واجباتنا ومنها الجهاد
في سبيل الله وحيث انه هو اشد الواجبات واعظمها على البشر نهنا ان
المقول في الجهاد سوف تستمر حياته في عالم البرزخ فهو منعم هناك فلا
تسموه ميتاً وان كانت هذه الحياة لا تشعرون بها انتم .

وقد سئل الامام الصادق (ع) عن ارواح المؤمنين فقال : هي في
الجنة على صور ابدانهم او رأيتهم لقلت فلان . ومثله كثير من الأخبار وانا
خص الشهداء في الآية لمزيد قربهم إلى الله وترغيباً للمؤمنين في الجهاد فان
الحياة هناك خير من الحياة في الدنيا فان حياة الدنيا مشوبة بالابتلاء بما ذكره
الله في الآية اللاحقة .

فتنبهوا يا أهل هذا العصر واعلموا انكم إذا تبعتم هوى الكفار سوف يكون لكم بعد الموت كما يكون لهم من العذاب ولذا تم في جهادكم لدفعهم عن بلادكم فانكم تكونون احياء منعمين والسلام على من اتبع الهدى :
« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس

والثمرات وبشر الصابرين » آية ١٥٥ سورة البقرة

لما اخبر الله عباده بانه تفضل عليهم بارسال رسول منهم وامرهم بتصديقه واستماع ما يتلوه عليهم وان يزكوا انفسهم بتقبل ما يأمرهم به من صفات الكمال ثم بين لهم بانكم إذا وجدتم انفسكم غير خاضعة لهذه الامور فاستعينوا على اخضاعها بالصبر والصلاة واخبرهم ان الصابر على حر الجلال والمقتول في سبيل الله سيقى حياً منعماً في البرزخ ولا ريب ان هذه التكاليف من الله هي ابتلاء واختبار حتى يتميز المطيع من العاصي وكذا الامور التي كلف بها عباده من واجبات ومحرمات كلها اختبار لهم إلا ان العباد لما كانوا مختلفين في الطاعة والمعصية فبعضهم يتقبل التكاليف من اول الامر بلا حاجة إلى الاستعانة بالصبر والصلاة ولكن شعاره الصبر وقرّة عينيه الصلاة وقسم منهم لا يمكنه اخضاع نفسه وتذليلها لا بالاستعانة بالصبر والصلاة وقسم ثالث وهو الاغلب لم تؤثر فيه هذه الامور كلها لا موعظة الله وارشاده ولا معجزة النبي (ص) بل بقي مصراً على العصيان والشقاء مع اقامة الحجّة عليه كاملة فهذا القسم مستحق للعذاب ولكن رأفة الله ورحمته بعباده ليس لها حد ولذا اعلمنا انه سيبتلينا ويختبرنا بصورة اخرى من الاختبار فان ذلك اختبار كان بتوجيه الأمر والنهي فقط وهذا النوع ممزوج بشيء من الالام والاسقام والنقص في الانفس والثمرات ليكون تذكرة لعقاب الآخرة وهذا الابتلاء موجود في زماننا هذا سنة ١٣٨٨ هـ فانك ترى اغلب الناس مبتلى باحد هذه الامور أو باكثر من واحد ولكن

العجب العجيب ان الناس لا يشعرون ولا يلتفتون بان هذا هو ابتلاء من الله فانهم يلسبون ذلك إلى اعدائهم أو سوء تصرفهم أو الصدق كما يعبرون وتراهم لا يقلعون عما هم عليه من الجرائم والمعاصي فاذا سمحت لهم الفرصة اشتغلوا بالموبقات كما كانوا ولهذا نرى ان الابتلاء مستمر ليس له امد وانقطاع واعلمه يكون كاستمرار حياة الشهيد التي ذكرت في الآية السابقة روي عن أمير المؤمنين كما في النهج قال : ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقطع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر .

وعن الصادق (ع) قال ان هذه علامات قدام القائم (عجل الله فرجه) تكون من الله للمؤمنين من الخوف من ملوك بني امية في اخر سلطانهم والجوع بغلاء اسعارهم ونقص من الاموال ، فساد التجارات وقلة الفضل ونقص من الأنفس ، الموت الذريع ونقص من الثمرات ، لقلة ربيع ما يزرع « وبشر الصابرين » بقية كلام الصادق (ع) بشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم (ع) ثم قال هذا تأويله « وما يعلم تأويله إلا الله والرسخون في العلم » . ثم ان الصابرين الذين أمر الله النبي بهشارتهم لا يخلو امرهم اما ان يكونوا قد اتصفوا بملكة الصبر قبل ابتلاء الله الناس بهذه الأمور أو بعد الابتلاء فان كان اتصافهم بالصبر قبل الابتلاء فانهم لا يقولون بهذه الأمور لأن الله معهم كما في الآية السابقة ومن كان الله معه لا يبتلى بما ذكر لانهاء اختباره ونجاحه بالايان الحقيقي والتأييد والنصر من الله ويؤيد هذا ما ذكر في سبب صبرهم وهو اعتقادهم للراسخ واطهار هذا الاعتقاد بالقول والاعتراف بانهم ملك لله تعالى « الذين إذا اصابهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون * ١٥٦ * » المالك يفعل ما يشاء في ملكه ثم عقبه بقوله « اولئك عليهم صلوات من ربهم * ١٥٧ * . الخ »

أي ان هذا الصنف من الناس تكون عليهم صلوات أي تزكية وغفران
ولطف من ربهم « ورحمة » أي احسان من الله فتكون بشارتهم برفع هذا
البلاء عنهم لأنهم قد رجعوا إلى الله وسلموا الأمر إليه « واولئك هم المهتدون
إلى طريق الحق حيث عرفوه بدلالة الله اياهم .

تفسير المراغي ج ٢ ص ١٨

« كما ارسلنا رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا » أي ولا تم نعمتي عليكم
باستيلائكم على البيت الذي جعلته قبلة لكم وتطهيركم له من عبادة الاصنام
كما اتمها عليكم بارسال رسول منكم وهو محمد (ص) فالقبلة في بلادكم والرسول
من امتكم وهو يتلو عليكم آياتنا التي ترشدكم إلى الحق وتهديكم إلى سبيل الرشاد
وهي تشمل آيات الكتاب الكريم وغيرها من الدلائل والبراهين التي تدل على
وحدانية الله وعظيم قدرته وبديع تصرفه في السموات والارض .
ووجه المنة في ذلك انه يهديهم إلى الحق مصحوباً بالدليل والبرهان ،
دون التقليد والتسليم بلا تبصر وفهم وبذا يكون العقل مستقلاً والسدين له
مرشداً وهادياً .

« ويزكيتكم » أي يطهر نفوسكم من ادران الرذائل التي كانت فاشية
في العرب من وأد البنات وقتل الاولاد تخلصاً من النفقة وسفك الدماء
لاوهن الاسباب : ويغرس فيها فاضل الاخلاق وحميد الاداب .
وبهذه الزكاة التي زكوا بها انفسهم فتحوا الممالك الكبرى وكانوا ائمة
الامم التي كانت تحتقر هذا الجنس وعرفوا لهم فضلهم بعلمهم وسياستهم للامم
سياسة حكيمة انستهم سياسة الامم التي قبلهم وجعلت لذلك الدين اثرأ في
نفوسهم فدانوا لحكمه خاضعين واهتدوا بهديه راشدين .

« ويعلمكم الكتاب » أي ويعلمكم القرآن الكريم ويبين لكم ما انطوى
عليه من الحكم الالهية والاسرار الربانية التي لاجلها وصف بأنه هدى ونور

فالنبي (ص) كان يتلوه عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه حتى يبقى مصوناً من التحريف والتصحيف ويرشدهم إلى ما فيه من اسرار وحكم ليهتدوا بهديه ويستضيئوا بنوره .

« والحكمة » وهي العلم المقترن بأسرار الاحكام ومنافعها الباعث على العمل بها - ذاك ان سنة الرسول العملية وسيرته في بيته ومع اصحابه في السلم والحرب والسفر والاقامة في القلة والكثرة جاءت مفصلة لمجمل القرآن مبينة لمبهمه كاشفة لما في احكامه من الاسرار والمنافع .

ولولا هذا الارشاد العملي لما كان البيان القولي كافياً في انتقال الامة العربية من طور الشتات والفرقة والعداء والجهل إلى الائتلاف والاتحاد والتآخي والعلم وسياسة الامم .

فالنبي (ص) وقف اصحابه على فقه الدين ونفذ بهم إلى سره فكانوا حكماء علماء عدولا اذكياء حتى ان احدهم كان يحكم المملكة العظيمة ويقيم فيها العدل ويحسن السياسة وهو لم يحفظ من القرآن إلا بعضه لكنه فقه وعرف اسرار احكامه .

« ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » أي ويعلمكم مع الكتاب والحكمة ما ليس مصدر علمه النظر والفكر بل طريق معرفته الوحي كخبير عالم الغيب وسير الانبياء واحوال الامم التي كانت مجهولة عنكم واكثرها كان مجهولاً عند أهل الكتاب ايضاً وقد بلغوا في هذا النوع من العلم مبلغاً فاقوا به سائر الامم .

« فاذكروني اذكركم » أي اذكروني بالطاعة بالسنتكم بالحمد والتسبيح وقراءة كتابي الذي انزلته على عبدي : وقلوبكم بالفكر والادلة التي نصبتها في الكون لتكون علامة على عظمي وبرهانا على قدرتي ووحدانيتي : ويجوارحكم بالقيام بما امرتكم به واجتنابكم ما نهيتكم عنه اجازكم بالشواب

والاحسان وافاضة الخير وفتح ابواب السعادة ودوام النصر والسلطان .
وفي الصحيحين عن أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال: يقول الله عز وجل « انا عند ظن عبدي وانا معه إذا ذكرني في نفسه ذكrote في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكrote في ملاء خير منه وان تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً » الحديث .

وهذه افضل تربية من الله لعباده إذا ذكروه ذكرهم بادامة النعم والفضل وإذا نسوه نسيهم وعاقبهم بمقتضى العدل .

وبعد ان اعلمهم ما يحفظ النعم ارشدهم إلى ما يوجب المزيد منها بمقتضى الجود والكرم فقال « واشكروا لي ولا تكفرون » أي واشكروا لي هذه النعم بالعمل بها وتوجيهها إلى ما وجدت لاجله ، والثناء علي بالقلب واللسان ، والاعتراف باحسانى اليكم ولا تكفروا هذه المنن التي اوليتكموها بصرها في غير ما يبيحه الشرع والسنن الالهية .

وهذا تحذير من الله لهذه الامة حتى لا تقع فيما وقعت به الامم السابقة إذ كفرت بانعم الله فلم تستعمل العقل والحواس فيما خلقت لاجله فسلبها ما كان قد وهبها تأديباً لها ولغيرها .

وقد امثل المسلمون هذه الاوامر حيناً من الدهر ثم تركوها بالتدريج فحل بهم ما ترى من النكال والوبال كما قال تعالى « وإذ تأذن ربكم لأن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد » .

« يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ١٥٣ »
« ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اوات بل احياء ولكن لا تشعرون ١٥٤ »
« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ١٥٥ » « الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ١٥٦ » « اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم

تفسير المفردات

الصبر توطين النفس على احتمال المكاره ، والابتلاء الاختبار الامتحان والمراد بالاموال الانعام التي كانت معظم ما يتموله العرب ، والمصيبة كل ما يؤدي الانسان في نفس أو مال أو اهل قلّ أو كثر والصلاة من الله التعظيم واعلاء المنزلة عنده وعند الناس والرحمة واللفظ بما يكون لهم من حسن العزاء والرضا بالقضاء .

المعنى الجملي

بعد ان ذكر سبحانه افتتان الناس بتحويل القبلة واقام الحجّة على المشاغبين وبين فوائد التحويل للمؤمنين ومن اهمها البشارة ، وكون ذلك طريقاً للهداية لما في الفتن من تمييز الخبيث من الطيب والمسلم من المنافق ثم قفى على ذلك بالامر بذكره وشكره على هذه النعم ليستبين للناس ان تحويل القبلة الذي صوره السفهاء بصورة النعمة هو نعمة كبرى ومنة عظمى .
بيّن في هذه الايات ان هذه النعم التي يجب ذكرها وشكرها تقرن بضروب من البلاء والوان من المصائب . من اعظمها ما يلاقه أهل الحق من مقارعة اشباع الباطل كما حدث ذلك حين كان المؤمنون في قلة من العَدَد والعُدَد تناوئهم الامم جمعاء وقد تأب عليهم المشركون حتى اخرجوهم من ديارهم واموالهم كما لاقوا من اهل الكتاب عنتاً وكيداً لهذا كله أمر عباده ان يستعينوا على مقاومة ذلك كله بالصبر والصلاة إذ في الصبر تربية ملكة الثبات وتعود تحمل المشاق ، فيهون على النفس احتمال ما تلاقيه من المكاره في سهيل تأييد الحق ونصر الفضيلة ، ويظهر أثر ذلك في ثبات الانسان على اثبات حق أو ازالة باطل ، أو الدعوة إلى عقيدة أو تأييد فضيلة ، ومصارعة الشدائد لاجل ذلك وعلى هذا جرى النبي صلى الله عليه

وآله وصحبه عليهم الرحمة والرضوان حتى فازوا بعاقبة الصبر ونصرهم الله
نصراً مؤزرأ على قلتهم وضعفهم عن جميع الامم التي حو اليهم .

وفي الصلاة التوجه إلى الله ومناجاته وحضور القلب معه سبحانه
واستشعار المصلي للهية والجلال وهو واقف بين يدي ربه كما جاء في الحديث
« اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » .

وهو بهذا الشعور المالك للبه المالى لقلبه يستسهل في سبيله كل صعب
ويستخف بكل كرب ويحتمل كل بلاء ويقاوم كل عناء فلا تتوق نفسه لما
لا يرضى ربه الذي يلجأ اليه في الملمات ويركن اليه إذا افزعته النائمات .

وليست الصلاة التي عناها الكتاب الكريم هي مجرد القيام والركوع
والسجود والتلاوة باللسان خاصة والتي نشاهد من معتادها الاصرار على
الفواحش والمنكرات واجتراح السيئات إذ لا اثر لها مما وصفه الله بقوله
« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقوله « ان الانسان خلق هلوعا
إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين » ومن ثم نرى
الذين يصلون هذه الصلاة اضعف الناس قلوباً واشدهم اضطراباً إذا عرض
لهم شيء على غير ما يرون وما كان للمصلي ان يكون ضعف القلب اعدم
الثقة بالله والله يبرئه من ذلك ويقول « إلا المصلين » .

الايضاح

« يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » أي استعينوا على اقامة
دينكم والدفاع عنه وعلى سائر ما يشق عليكم من مصائب الحياة بالصبر وتوطين
النفس على احتمال المكاره وبالصلاة التي تكبر بها الثقة بالله عز اسمه وتضعف
بمناجاته فيها كل المشاق .

وانما خص الصبر والصلاة بالذكر لان الصبر اشد الاعمال الباطنة على
البدن والصلاة اشد الاعمال الظاهرة عايه ، إذ فيها خضوع واستسلام لله ،

وتوجه بالقلب اليه ، واستشعار لعظمة الخالق ، وقد روى انه صلى الله عليه وآله كان إذا حزبه أمر واشتد عليه فزع إلى الصلاة وتلا هذه الآية أي واستمعينوا « ان الله مع الصابرين » أي ان الله ناصرهم ومجيب دعوتهم ومن كان الله ناصره فلا غالب له اما الجازع فقلبه لاه عن ذكر الله والقلب اللاهي ممتلى بهموم الدنيا واكدارها وان حاز الدنيا بخذا فبرها .
وقد جرت سنة الله ان الاعمال العظيمة لا تنجح إلا بالثبات والدأب عليها ومدار ذلك كله الصبر فمن صبر فهو على سنة الله والله معه فيسهل له العسير من امره ويجعل له فرجاً من ضيقه ومن لم يصبر فليس الله معه لأنه تنكب عن سنته فلن يبلغ قصده وغايته .

« ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون » أي ولا تتحدثوا في شأنهم فتقولوا انهم اموات بل هم احياء في عالم غير عالمكم ولكن لا تشعرون بحياتهم إذ ليست في عالم الحس ، الذي يدرك بالمشاعر بل هي حياة غيبية تمتاز بها ارواح الشهداء بل سائر ارواح الناس ، وبها يرزقون وينعمون ولا نعرف حقيقة هذه الحياة ولا للرزق الذي يكون فيها ولا نبحت عن ذلك لانه من عالم الغيب فنفوض امره إلى الله ، وقيل انها حياة روحانية محضة لا ندرك سرها :

وقد ابان سبحانه في هذه الآية جزاء ما يلاقه المؤمن في تأييد الدعوة إلى دينه بما يصل به احياناً إلى القتل في التغلب على من يصد الناس عن الدعوة ويقاوم في الدفاع عن الباطل فذكر ما اعد له من النعيم المقيم والرزق المتواصل والحياة التي لا يعرف كنهها إلا علام الغيوب جزاء ما فعل لتأييد حجة الله البالغة والجهر بالحق والصدع بأمر ربه فكان له ما كان مما لم تره عين ولا سمعت به اذن ولا خطر على قلب بشر .

« ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس

والثمرات « أي والله لمتحنتكم ببعض ضروب الخوف من الاعداء وبعض المصائب المعتادة في المعاش كالجوع ونقص الثمار إذ كان احدهم يؤمن فيفصل من اهله وعشيرته ويخرج صفر اليدين حتى لقد بلغ من جوعهم ان كانوا يتبلغون بثمرات يسيرات ولا سيما في غزوتي الاحزاب وبوك ونقص الانفس بالقتل والموت من اجتواء المدينة فقد كانت حين الهجرة بلد وباء وحى ثم حسن مناخها .

وفي الاية ايماء إلى ان الانتساب إلى الايمان لا يقتضي سعة الرزق وبسط النفوذ وانقضاء المخاوف بل كل ذلك يجري بحسب السنن التي سنها الله لخلقها فتقع المصائب متى وجدت اسبابها وكامل الايمان يتأدب بمقاومة الشدائد ويتهذب بوقوع الكوارث :

« وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » أي وبشر الصابرين الذين يقولون هذه المقالة المعبرة عن الايمان بالقضاء والقدر بالظفر بحسن العاقبة في امورهم كلها بحسب ما وضع من السنن في الكون ، والصبر لا يتأفي ما يحدث من الحزن حين حلول المصيبة فان ذلك من الرقة والرحمة الطبيعيين في الانسان ، وقد جاء في الصحيحين ان النبي (ص) بكى عندما حضر ولده ابراهيم الموت فقيل له اليس قد نهيتنا عن ذلك ؟ قال : انها الرحمة ، ثم قال : ان العين لتدمع وان القلب ليجزع ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بقراقتك يا ابراهيم لحزونون ، والجزع المذموم هو الذي يدعو صاحبه إلى فعل ما يمجح العقل وينهى عنه الشرع مما نرى مثله عند الجماهير إذا حلت بهم المصائب ونزلت بهم الكوارث .

روى مسلم عن ام سلمة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله (ص) يقول « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم

أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها الا أجره الله في مصيبيته واخلف له خيراً منها » واخرج البيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال « من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبيته واحسن عاقبته وجعل له خلفاً صالحاً برضاه » .

وفي قوله « انا لله » اقرار بالعبودية والملك ، وفي قوله « وانا اليه راجعون » اقرار بالفناء والبعث من القبور واليقين بان مرجع الامر كله لله تعالى :

« اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » أي اولئك الصابرون لهم من ربهم مغفرة ومدح على ما فعلوا ورحمة يمدون اثرها في برد القلوب عند نزول المصيبة ، وهذه الرحمة يحسد عاينها الكافرون المؤمنون ، فان الكاسافر الذي حرم من هذه الرحمة اذا نزلت به المصيبة تضيق به الارض بما رحبت حتى لقد يقضي على نفسه بيده اذا لم يجد وسيلة للخلاص مما حل به .

« واولئك هم المهتدون » إلى الحق والصواب ومن ثم استسلموا للقضاء فلم يستحوذ الجزع على نفوسهم ففازوا بخير الدنيا والراحة فيها وسعادة الآخرة بتزكية النفس وتحليلها بمكارم الاخلاق وصالح الاعمال انتهى كلام المراغي كلام سيد قطب في ظلال القرآن ج ٢ ص ٢٨

« كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » والذي يلفت النظر هنا ان الآية تعيد بالنص دعوة ابراهيم التي سبقت في السورة وهو يرفع القواعد من البيت هو واسماعيل ، دعوته ان يبعث الله في بنيه من جيرة البيت رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ليذكر المسلمين ان بعثة هذا الرسول فيهم ووجودهم هم انفسهم مسلمين هو الاستجابة المباشرة الكاملة لدعوة ابيهم ابراهيم . وفي هذا

ما فيه من ايجاء عميق بأن امرهم ليس مستحدثاً انها هو قديم ، وان قبلهم ليست طارئة انها هي قبلة ابيهم ابراهيم وان نعمة الله عليهم سابعة فهي نعمة الله التي وعدنا خليله وعاهده عليها منذ ذلك التاريخ البعيد .

ان نعمة الله توجيهكم الى قبلتكم وتمييزكم بشخصيتكم هي احدى الالاء المطردة فيكم سبقتها نعمة ارسال رسول منكم .

« كما ارسلنا فيكم رسولا منكم » فهو التكريم والفضل ان تكون الرسالة فيكم وان يختار الرسول الاخير منكم وقد كانت يهود تستفتح به عليكم .
« يتاوه عليكم اياتنا »

فما يتاوه عليكم هو الحق ، والايحاء الاخر هو الاشعار بعظمة التفضل في ان يخاطب الله العبيد بكلامه ، يتاوه عليهم رسوله وهو تفضل يرتعش القلب ازائه حين تتعمق حقيقته ، فمن هم هؤلاء الناس ، من هم وما هم حتى يخاطبهم الله سبحانه بكلماته ويتحدث اليهم بقوله ويمنحهم هذه الرعاية الجليلة من هم وما هم لولا ان الله بتفضل ولولا ان فضل الله يفيض ، ولولا انه سبحانه منذ المبدأ منحهم فضل النفحة من روحه ليكون فيهم ما يستأهل هذا الانعام وما يستقبل هذا الافضال .

« ويزكيكم »

واولا الله ما زكى منهم من احد ، ولا تطهر ولا ارتفع ، ولكنه ارسل رسوله (ص) يطهرهم ، يطهر ارواحهم من لوثة الشرك وذنس الجاهلية ورجس التصورات التي تثقل الروح الانسانية وتظمره ، ويطهرهم من لوثة الشهوات والنزوات فلا ترتكس ارواحهم في الحمأة والذين لا يطهر الاسلام ارواحهم في جنبات الارض كلها قديماً وحديثاً يرتكسون في مستنقع آسن وبيء من الشهوات والنزوات ترى بانسانية الانسان وترفع فوقه الحيوان المحكوم بالفطرة وهي انظف كثيراً مما يهبط اليه الناس بدون الايمان ويطهر

جمعهم من الربا والسحت والغش والسلب والنهب وهي كلها دنس يلوث الارواح والمشاعر ويلطخ المجتمع والحياة ويطهر حياتهم من الظلم والبغي ، وينشر العدل التنظيف الصريح الذي لم تستمتع به البشرية ، كما استمتعت في ظل الاسلام وحكم الاسلام ومنهج الاسلام ويطهرهم من سائر اللوثات التي تلطخ وجه الجاهلية في كل مكان من حولهم وفي كل مجتمع لا يزيكبه الاسلام بروحه ومنهجه التنظيف الطهور .

« ويعلمكم الكتاب والحكمة »

وفيها شمول ما سبق من تلاوة الايات وهي الكتاب وبيان للمادة الاصلية فيه وهي الحكمة والحكمة ثمرة التعليم بهذا الكتاب وهي ملكة يأتي معها وضع الامور في مواضعها الصحيحة ووزن الامور بموازينها الصحيحة وادراك غايات الاوامر والتوجيهات وكذلك تحققت هذه الثمرة ناضجة لمن رباهم رسول الله وزكاهم بايات الله .

« ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »

وكان ذلك حقاً في واقع الجماعة المسلمة فقد التقطها الاسلام من البيئة العربية لا تعلم إلا اشياء قليلة متناثرة تصلح لحياة القبيلة في الصحراء أو في تلك المدن الصغيرة المنعزلة في باطن الصحراء فجعل منها امة تقود البشرية قيادة حكيمة راشدة خبيرة بصيرة عالمة ، وكان هذا للقرآن مع توجيهات الرسول المستمدة كذلك من القرآن هو مادة التوجيه والتعليم وكان مسجد رسول الله الذي يتلى فيه القرآن والتوجيهات المستمدة من القرآن هو الجامعة الكبرى الذي تخرج فيها ذلك الجيل الذي قاد البشرية تلك القيادة الحكيمة الراشدة ، القيادة التي لم تعرف لها البشرية نظيراً من قبل ولا من بعد في تاريخ البشرية الطويل ، وما يزال هذا المنهج الذي خرج ذلك الجيل وتلك القيادة على استعداد لتخريج اجيال وقيادات على مدار الزمان لو رجعت الامة المسلمة إلى هذا المعين ولو آمنت حقاً بهذا القرآن ولو جعلته منهجاً

للحياة لا كلمات تتغنى باللسان لتطريب الآذان وفي آخر هذا الدرس يتفضل
الله على المسلمين تفضيلاً آخر وهو يدعوهم إلى شكره ويحذرهم من كفره
يتفضل عليهم فيضمن لهم ان يذكرهم إذا هم ذكروه .
« فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »

يالتفضل الجليل الودود ، الله جل جلاله يجعل ذكره هؤلاء العبيد
مكافئاً لذكرهم له في عالمهم الصغير ان العبيد حين يذكرون ربهم يذكرونه
في هذه الارض الصغيرة وهم اصغر من ارضهم الصغيرة والله حين يذكرهم
يذكرهم في هذا الكون الكبير وهو الله العلي الكبير أي تفضل وأي كرم
وأى فيض في السماحة والجود .
« فاذكروني اذكركم »

انه الفضل الذي لا يفيضه إلا الله الذي لا خازن لخزائنه ولا حاسب
لعطاياه ، الفضل الفائض من ذاته تعالى بلا سبب ولا موجب إلا انه هكذا
هو سبحانه فياض العطاء وفي الصحيح يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه ، وفي الصحيح
ايضاً قال رسول الله (ص) : قال الله عز وجل يا ابن آدم ان ذكرني في
نفسك ذكرتك في نفسي ، وان ذكرني في ملاء ذكرتك في ملاء من الملائكة
أو قال في ملاء خير منه وان دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً وان
دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً وان اتيتني تمشي اتيتك هرولة انه ذلك
الفضل الذي لا يصفه لفظ ولا يعبر عن شكره الحق إلا بسجود القلب
وذكر الله ليس لفظ باللسان انها هو انفعال القلب معه أو بدونه والشعور
بالله ووجوده والتأثر بهذا الشعور تأثراً ينتهي إلى الطاعة في حده الأدنى وإلى
رؤية الله وحده ولا شيء غيره لمن يهبه الله الوصول ويذيقه حلاوة اللقاء .
« واشكروا لي ولا تكفرون »

والشكر لله درجات تبدأ بالاعتراف بفضلله والحياء من معصيته وتنتهي بالتجرد لشكره والقصد إلى هذا الشكر في كل حركة بدن وفي كل لفظة لسان وفي كل خفقة قلب وفي كل خطرة جنان .

والنهي عن الكفر هنا الماع إلى الغاية التي ينتهي اليها التقصير في الذكر والشكر وتحذير من النقطة البعيدة التي ينتهي اليها هذا الخط التعيس والعياذ بالله .

ومناسبة هذه التوجيهات والتحذيرات في موضوع القبلة واضحة وهي النقطة التي تنتهي عندها القلوب لعبادة الله والتميز بالانتساب اليه والاختصاص بهذا الانتساب .

وهي كذلك واضحة في مجال التحذير من كيد يهود ودسها وقد سبق ان الغاية الاخيرة لكل الجهود هي رد المؤمنين كفاراً وسلبهم هذه النعمة التي انعم الله بها عليهم نعمة الايمان اكبر الآلاء التي ينعم الله بها على فرد أو جماعة من الناس وهي بالقياس إلى العرب خاصة ، النعمة التي انشأت لهم وجوداً وجعلت لهم دوراً في التاريخ وقرنت اسمهم برسالة يؤدونها للبشرية وكانوا بدونها ضائعين ولولاها لظلوا ضائعين ، وهم بدونها أبدأ ضائعون فإهم من فكرة يؤدون بها دوراً في الارض غير الفكرة التي انبثقت منها وما تنقاد البشرية لقوم لا يحملون فكرة تقود الحياة وتنميتها وفكرة الاسلام برنامج حياة كامل لا كلمة تقال باللسان بلا رصيد من العمل الايجابي المصدق لهذه الكلمة الطيبة الكبيرة ،

وتذكر هذه الحقيقة واجب على الامة المسلمة ليذكرها الله فلا ينساها ومن نسيه الله فهو مغمور ضائع لا ذكر له في الارض ولا ذكر له في الملأ الاعلى ، ومن ذكر الله ذكره ، ورفع من وجوده ، وذكر في هذا الكون العريض .

ولقد ذكر المسلمون الله فذكرهم ورفع ذكرهم ومكنهم من القيادة
الراشدة ثم نسوه فلسيهم فاذا هم همل ضايح وذليل تافه ذليل والوسيلة قائمة
والله يدعوهم في قرآنه الكريم « فاذكروني اذكرم واشكروا لي ولا تكفرون »
« ياايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ،
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ،
ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون »

بعد تقرير القبلة وافراد الامة المسلمة بشخصيتها المميزة التي تتفق مع
حقيقة تصورها المميزة كذلك كان اول توجيه لهذه الامة ذات للشخصية
الخاصة والكيان الخاص هذه الامة الوسط الشهيدة على الناس كان اول
توجيه لهذه الامة هو الاستعانة بالصبر والصلاة على تكاليف هذا الدور العظيم
والاستعداد لبذل التضحيات التي يتطلبها هذا الدور من استشهاد الشهداء
ونقص الاموال والانفس والثمرات والخوف والجوع ومكابدة احوال الجهاد
لاقرار منهج الله في الانفس واقاراره في الارض بين الناس وربط قلوب
هذه الامة بالله وتجردها له ، ورد الامور كلها اليه كل اولئك في مقابل
رضى الله ورحمته وهدايته وهي وحدها جزاء ضخيم للقلب المؤمن الذي
يدرك قيمة هذا الجزاء .

« ياايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين »
يتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيراً ذلك ان الله سبحانه يعلم ضخامة
الجهاد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع والذي
يقتضيه القيام على دعوة الله في الارض بين شتى الصراعات والعقبات والذي
يتطلب ان تبقى النفس مشدودة الاعصاب مجندة القوى بقضمة للمداخل

والمخارج ولا بد من الصبر في هذا كله لا بد من الصبر على الطاعات والصبر
عن المعاصي والصبر على جهاد المشايق لله ، والصبر على الكيد بشقي صنوفه
والصبر على بطؤ النصر والصبر على بعد الشقة والصبر على انتعاش الباطل ،
والصبر على قلة الناصر ، والصبر على طول الطريق الشائك ، والصبر على
التواء النفوس ، وضلال القلوب ، وثقله العناد ، ومظاهرة الاعراض :
وحيث يطول الامد ويشق الجهد قد يضعف الصبر أو ينفذ إذا لم يكن
هناك زاد ومدد ، ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر ، فهي المعين الذي لا
ينضب ، والزاد الذي لا ينفد ، المعين الذي يجدد الطاقة ، والزاد الذي
يزود القلب فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع ثم يضيف إلى الصبر الرضا
والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين .

انه لا بد للانسان الفاني الضعيف المحدود ان يتصل بالقوة الكبرى
يستمد منها العون حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة حينما تواجهه قوى الشر
الباطنة والظاهرة حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع
الشهوات واغراء المطامع ، وحينما تثقل عليه مجاهدة الطغيان والفساد ، وهي
عنيفة حينما يطول به الطريق ، وتبعد به الشقة في عمره المحدود ثم ينظر
فاذا هو لم يباغ شيئاً ، وقد اوشك المغيب ولم ينل شيئاً ، وشمس العمر
تميل للغروب حينما يجد الشر نافشاً ، والخير ضاوباً والاشعاع في الافق ولا
معلم في الطريق .

هنا تبدو قيمة الصلاة ، انها الصلة المباشرة بين الانسان الفاني والقوة
الباقية ، انها الموعد المختار لالتقاء القطرة المنعزلة بالنبع الذي لا يفيض ، انها
مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض ، انها الانطلاقة من حدود الواقع
الارضى الصغير إلى مجال الواقع الكون الكبير انها الروح والندى والظلال
في الهاجرة ، انها اللمسة الحانية للمقاب المتعب المكدود ، ومن هنا كان

رسول الله اذا كان في الشدة قال : ارحنا بها يا بلال ويكثر من الصلاة
اذا حزبه أمر ليكثر من اللقاء بالله .

ان هذا المنهج الاسلامي منهج عبادة ، والعبادة فيه ذات اسرار ومن
اسرارها انها زاد الطربق وانها مدد روح ، وانها جلاء القلب وانه حيث
ما كان تكليف كانت العبادة هي مفتاح القلب لتذوق هذا التكليف في
حلاوة وهشاشة ويسر ، ان الله سبحانه حينما انتدب محمداً للدور الكبير
الشاق الثقيل قال له :

« يا ايها المزمّل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد
عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا » فكان الاعداد للقول
الثقيل والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن ، انها
العبادة التي تفتح القلب وتوثق الصلاة وتيسر الامر وتشرق بالنور وتفيض
بالعزاء والسلى والراحة والاطمئنان .

ومن ثم يوجه الله المؤمنين هنا وهم على ابواب المشقات العظام إلى
الصبر وإلى الصلاة ثم يجيء التعقيب بعد هذا التوجيه .

« ان الله مع الصابرين »

معهم يؤيدهم ويثبتهم ويقربهم ويؤنسهم ولا يدعهم يقطعون الطريق
وحدهم ولا يتركهم لطاقاتهم المحدودة وقوتهم الضعيفة انها يمددهم حين ينفذ
زادهم ويجدد عزيمتهم حين يطول بهم الطريق وهو يناديهم في اول الآبة
ذلك النداء الحبيب « يا ايها الذين امنوا » ويختم النداء بذلك التشجيع العجيب
« ان الله مع الصابرين » .

والاحاديث في الصبر كثيرة نذكر بعضها لمناسبته للسياق القرآني هنا
في اعداد الجماعة المسلمة لحمل عبثها والقيام بدورها .

عن خباب بن الارت قال : شكونا إلى رسول الله وهو متوسد بردة

في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه ، والله ليثمنن الله تعالى هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون :

وعن ابن مسعود قال : كافي انظر إلى رسول الله يحكي نبياً من الانبياء عليهم السلام ضربه قومه فادموه وهر يمسح الدم عن وجهه وهو يقول : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون .

وعن يحيى بن وثاب عن شيخ من اصحاب النبي (ص) قال : قال رسول الله : المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم .

والان والجماعة المسلمة في المدينة مقبلة على جهاد شاق لاقرار منهج الله في الارض ولاداء دورها المقسوم لها في قدر الله واتسلم الراية والسير بها في الطريق الشاق الطويل الان يأخذ القرآن في تعبثها تعبئة روحية وفي تقويم تصورها لما يجري في اثناء هذا الجهاد من جذب ودفع ومن تضحيات وآلام وفي اعطائها الموازين الصحيحة التي تقدر بها القيم في هذه المعركة الطويلة تقديراً صحيحاً .

« ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون » :

ان هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق ، شهداء في سبيل الله قتلى اعزاء احباء ، قتلى كراماً ازكياً فالذين يخرجون في سبيل الله والذين يضحون بارواحهم في معركة الحق هم عادة اكرم القلوب وازكى

الارواح واطهر النفوس هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا امواتاً انهم احياء فلا يجوز ان يقال عنهم اموات ، لا يجوز ان يعتبروا امواتاً في الحسن والشعور ، ولا ان يقال عنهم اموات بالشفة واللسان انهم احياء بشهادة الله سبحانه فهم لابد احياء .

انهم قتلوا في ظاهر الامر وحسب ما ترى العين ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقرهما هذه النظرة السطحية الظاهرة ان سمة الحياة الاولى هي الفعالية والنمو والامتداد ، وسمة الموت الاولى هي السلبية والجمود والانقطاع وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من اجله فاعلية مؤثرة الفكرة التي من اجلها قتلوا ، ترتوي بدمائهم وتمتد وتؤثر الباقيين من ورائهم باستشهادهم بقوى ويمتد فهم ما يزالون عنصراً فعالاً دافعاً مؤثراً في تكيف الحياة وتوجيهها وهذه هي صفة الحياة الاولى فهم احياء اولاً بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس .

ثم هم احياء عند ربهم ، اما بهذا الاعتبار واما باعتبار آخر لا ندري نحن كنهه وحسبنا اخبار الله تعالى به احياء ولكن لا نشعرون ، لأن كنه هذه الحياة فوق ادراكنا البشري القاصر المحدود ولكنهم احياء .

احياء ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها فالغسل تطهير للجسد الميت ، وهم اطهار بما فيهم من حياة وثيابهم في الارض ثيابهم في القبر لأنهم بعد احياء .

احياء فلا يشق قتلهم على الاهل والاحباء والاصدقاء ، احياء يشاركون في حياة الاهل والاحباء والاصدقاء ، احياء فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم ولا يتعاضمها الامر ولا بهولتها عظم الفداء .

ثم هم بعد كونهم احياء مكرمون عند الله ما جورون اكرم الاجر واوفاه . في صحيح مسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في

الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش ، فاطلع عليهم
ربك اطلاعة فقال ماذا تبغون فقالوا يا ربنا واي شيء نبغى وقد اعطينا ما لم
تعط احدا من خلقك ، ثم عاد عليهم بمثل هذا فلما رأوا انهم لا يتركون
من ان يستلوا قالوا يريد ان تردنا إلى دار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى
نقتل فيك مرة اخرى لما يرون من ثواب الشهادة فيقول الرب جل جلاله
اني كتبت انهم اليها لا يرجعون .

في امالي الشيخ عن ابن ظبيان قال : كنت عند أبي عبد الله فقال :
ما يقول الناس في ارواح المؤمنين بعد موتهم ؟ قلت : يقولون في حواصل
طيور خضر . فقال : سبحان الله المؤمن اكرم على الله من ذلك إذا كان
ذلك اتاه رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ومعهم
ملائكة الله عز وجل المقربون فان انطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد
والنبي بالنبوة والولاية لاهل البيت شهد على ذلك رسول الله (ص) وعلي
وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقربون معهم ، وان اعتقل لسانه خص
الله نبيه بعلم ما في قلبه من ذلك فشهد به وشهد على شهادة النبي وعلي
وفاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من الله افضل السلام ومن حضر معهم
من الملائكة فاذا قبضه الله اليه صير تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورته
فياكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت
في الدنيا .

وحكى عن المحاسن عن حماد بن عثمان عن ابي عبد الله قال ذكر الارواح
ارواح المؤمنين فقال يلتقون ، قلت : يلتقون ؟ قال : نعم يتسائلون
ويتعارفون حتى إذا رأته قلت فلان .

وعن انس قال : قال رسول الله ما احد يدخل الجنة يجب ان يرجع
إلى الدنيا وله ما على الارض من شيء إلا الشهيد ويتمنى ان يرجع إلى الدنيا

فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ولكن من هم هؤلاء الشهداء الاحياء
انهم اولئك الذين يقتلون في سبيل الله ، في سبيل الله وحده دون شركة
في شارة ولا هدف ولا غاية إلا الله ، في سبيل هذا الحق الذي انزله في
سبيل هذا المنهج الذي شرعه ، في سبيل هذا الدين الذي اختاره ، في هذا
السبيل وحده ، لا في أي سبيل آخر ، ولا تحت أي شعار آخر ، ولا شركة
مع هدف أو شعار . وفي هذا شدد القرآن وشدد الحديث حتى ما تبقى
في النفس شبهة أو خاطر غير الله :

وعن ابي موسى قال : سئل رسول الله (ص) عن الرجل يقاتل
شجاعة ، ويقاقل حمية ، ويقاقل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال : من قاتل
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

وعن ابي هريرة ان رجلا قال : يا رسول الله رجل يريد الجهاد في
سبيل الله وهو يهتفي عرضا من الدنيا ؟ فقال : لا اجر له ، فاعاد عليه
ثلاثاً كل ذلك يقول لا اجر له :

وعنه قال : قال رسول الله : تضمن الله تعالى لمن خرج في سبيل
الله ، لا يخرج به إلا جهاد في سبيلي ، وايمان بي ، وتصديق برسلي ، فهو
علي ضامن ان ادخله الجنة أو ارجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما
نال من اجر أو غنيمة والذي نفس مجد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله
إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم اونه لون دم وريحه ريح مسك والسني
نفس مجد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزوني في
سبيل الله عز وجل أبداً ولكن لا اجد سعة فاحلمهم ولا يجدون سعة فيتعجبوني
ويشق عليهم ان يتخلفوا عني ، والذي نفس مجد بيده لو ددت ان اغزوني
سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل :

فهؤلاء هم الشهداء هؤلاء الذين يخرجون في سبيل الله لا يخرجهم

إلا الجهاد في سبيله وإيمان به وتصديق برسله .
ولقد كره رسول الله لفتى فارسي يجاهد ان يذكر فارسيته ويعتز
بجنسيته في مجال الجهاد .

عن عبد الرحمن بن أبي عقبة عن أبيه وكان مولى من اهل فارس قال
شهدت مع النبي (ص) احداً ، فضربت رجلا من المشركين فقلت : خذها
وانا الغلام للفارسي فالتفت إلي النبي (ص) فقال : هلا قلت وانا الغلام
الانصاري ، ان ابن اخت القوم منهم وان مولى القوم منهم .
فلقد كره (ص) ان يفخر بصفة غير صفة النصر للنبي وان يحارب
تحت شارة إلا شارة النصر لهذا الدين وهذا هو الجهاد وفيه وحده تكون
الشهادة وتكون الحياة للشهداء .

ثم يمضي السياق في التعبئة لمواجهة الاحداث ، وفي تقويم التصور
لحقيقة الاحداث :

« ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا الا الله وانا اليه
راجعون » .

ولا بد من تربية النفوس بالبلاء ومن امتحان التصميم على معركة الحق
بالمخاوف والشدائد والجوع ونقص الاموال والانفس والثمرات ، ولا بد من
هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقدار ما
ادوا في سبيلها من تكاليف ، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي اصحابها
تكاليفها ، لا يعز عليهم للتخلي عنها ، عند الصدمة الاولى ، فالتكاليف هنا
هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس اهلها ، قبل ان تعز في
نفوس الاخرين ، وكلما تألموا في سبيلها ، وكلما بذلوا من اجلها كانت اعز
عليهم وكانوا اظن بها كذلك لن يدرك الاخرون قيمتها إلا حين يرون

ابتلاء اهلها بها ، وصبرهم على بلائها ، انهم عندئذ سيقولون في انفسهم
لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيراً مما يبتلون به واكبر ما قبلوا
هذا البلاء ، ولا صبروا عليه وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها
مقدرين لها مندفعين اليها ، وعندئذ يجي نصر الله والفتح ، ويدخل الناس
في دين الله افواجاً ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود اصحاب العقيدة
ويقوى ، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة وتفتح في القلب
منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد
والقيم والموازن والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو
الحنة التي تزيل الغيش عن العيون والران عن القلوب .

واهم من هذا كله أو القاعدة لهذا كانه الالتجاء إلى الله وحده حين
تهز الاسناد كلها وتواري الاوهام وهي شتى ويخلو القلب إلى الله وحده
لا يجد سناً إلا سنده . وفي هذه اللحظة فقط تتجلى الغشاوات ، وتفتح
البصيرة ، وينجلي الافق على مد البصر لا شيء إلا الله لا قوة إلا قوته لا
حول إلا حوله لا ارادة الا ارادته ، لا ملجأ إلا اليه وعندئذ تلتقى الروح
بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح .

والنص القرآني هنا يصل بالنفس إلى هذه النقطة على الافق .
« وبشر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون » .

انا لله كلنا ، كل ما فينا كل كياننا وذاتيتنا لله ، واليه المرجع والمآب
في كل امر ، وفي كل مصير ، التسليم التسليم المطلق ، تسليم الالتجاء
الاخير المنبثق من الالتقاء وجهاً لوجه بالحقيقة الوحيدة وبالتصور الصحيح
هؤلاء هم الصابرون الذين يبلغهم الرسول الكريم بالبشرى من المنعم
الجليل ، وهؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل مكانهم عنده جزاء الصبر الجميل

« اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون »
صلوات من ربهم يرفعهم بها إلى المشاركة في نصيب نبيهم النبي
يصلي عليه هو وملائكته سبحانه وهو مقام كريم ورحمة وشهادة من الله
بانهم هم المهتدون ، وكل امر من هذا هائل عظيم .

وبعد فلا بد من وقفة امام هذه الخاتمة ، في تلك التعبئة للصف
الاسلامي ، التعبئة في مواجهة المشقة والجهد والاستشهاد ، والقتل والجوع
والخوف ونقص الاموال والانفس والثمرات التعبئة في هذه المعركة الطويلة
الشاقة العظيمة التالكيف ، ان الله يضع هذا كله في كفة ، ويضع
في الكفة الاخرى أمراً واحداً « صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم
المهتدون » انه لا يعدهم هنا نصر ولا يعدهم هنا تمكين ولا يعدهم
هنا مغنم ، ولا يعدهم هنا شيئاً إلا صلوات الله ورحمته وشهادته ، لقد
كان الله يعد هذه الجماعة لامر اكبر من ذواتها ، واكبر من حياتها فكان
من ثم يجردها من كل غاية ومن كل هدف ، ومن كل رغبة من الرغبات
البشرية ، حتى الرغبة في انتصار العقيدة ، كان يجردها من كل شائبة تشوب
التجرد المطلق لهم ولطاعته وادعوته ، كان عليهم ان يمضوا في طريقهم
لا يتطلعون إلى شيء ، إلا رضى الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بانهم
مهتدون ، هذا هو الهدف وهذه هي الغاية ، وهذه هي الثمرة الحلوة التي
تهفو اليها قلوبهم وحدها ، فاما ما يكتبه الله لهم بعد ذلك من النصر والتمكين
فليس لهم انها هو الدعوة التي يحماونها .

ان لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء على التضحية بالاموال
والانفس والثمرات وجزاء على الخوف والجوع والشدة ، وجزاء على القتل
والشهادة ، ان الكفة ترجح بهذا العطاء فهو اثقل في الميزان من كل عطاء
ارجح من النصر ، وارجح من التمكين ، وارجح من شفاء غيض الصدور

هذه هي التربية التي اخذ الله بها الصف المسلم ليعده ذلك الاعداد
العجيب وهذا هو المتهج الالهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته
ودينه من بين البشر اجمعين انتهى ما في ظلال القرآن .

كلام ابن كثير تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩٥ .

« كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذ كنتم واشكروا لي ولا تكفرون » :
يذكر الله عباده المؤمنين ما انعم به عليهم من بعثة الرسول محمد (ص)
اليهم يتلو عليهم آيات الله مبینات ، ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الاخلاق
وذنس النفوس وافعال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم
الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ،
فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول فانتقلوا ببركة رسالته وعن
سفراته إلى حال الاولياء ومسجاياء العلماء فصاروا اعمق الناس علما وابرهم
قلوباً واولهم تكلفاً واصدقهم لهجة : وقال تعالى « لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم » الآية وذم من لم
يعرف هذه النعمة فقال تعالى « ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا
قومهم دار البوار » .

قال ابن عباس يعني بنعمة الله محمد (ص) ولهذا ذنب الله المؤمنين
إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره وقال « فاذكروني اذ كنتم
واشكروا لي ولا تكفرون » :

قال مجاهد في قوله « كما ارسلنا فيكم رسولا منكم » يقول : كما
فعلت فاذكروني .

قال عبد الله بن وهب عن هاشم بن سعيد عن زيد بن اسلم ان موسى
عليه السلام قال يارب كيف اشكرك قال له ربه تذكرني ولا تلساني فاذا

ذكرتني فقد شكرتني وإذا لسيئتي فقد كفرتني :

وقال الحسن البصري وأبو العالية والسدّي والربيع بن انس : ان الله يذكر من ذكره ويزيد من شكره ، ويعذب من كفره .

وقال بعض السلف في قوله تعالى « انقوا الله حق تقاته » قال : هو ان يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، وبشكر فلا يكفر .

وقال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح اخبرنا يزيد بن هارون اخبرنا عمارة الصيدلاني اخبرنا مكحول الازدي قال قلت لابن عمر : ارأيت قاتل النفس وشارب الخمر والسارق والزاني يذكر الله تعالى ؟ وقد قال الله تعالى فاذكروني اذكركم قال : إذا ذكر الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يسكت .

وقال الحسن البصري في قوله فاذكروني اذكركم ، قال اذكروني فيما افترضت عليكم اذكركم فيما اوجبت لكم على نفسي .

وعن سعيد بن جبير : اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي وفي رواية برحمتي وعن ابن عباس في قوله اذكروني اذكركم قال : ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه .

وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه .

قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس قال قال رسول الله (ص) : قال الله عز وجل يا ابن ادم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي ، وان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة أو قال في ملأ خير منه وان دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً ، وان دنوت مني ذراعاً دنوت منك هاعاً ، وان اتيتني تمشي اتيتك هرولة صحيح الاسناد اخرجه البخاري من حديث قتادة وعنده قال قتادة : الله اقرب

بالرحمة ، وقوله « واشكروا لي ولا تكفروا » امر الله تعالى بشكره ووعد
على شكره بمزيد الخير فقال « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد » .

وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا شعبة عن الفضيل بن فضاله رجل
من قيس حدثنا أبو رجاء العطاردي قال : خرج علينا عمران بن حصين
وعليه مطرف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده ، فقال : ان رسول الله
صلى الله عليه وآله قال : من انعم الله عليه نعمة فان الله يحب ان يرى
اثر نعمته على خلقه وقال روح مرة على عبده .

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون »
لما فرغ تعالى من بيان الامر بالشكر شرع في بيان الصبر والارشاد
والاستعانة بالصبر والصلاة ، فان العبد اما ان يكون في نعمة فيشكر عليها
أو في نقمة فيصبر عليها كما جاء في الحديث عجباً للمؤمن لا يقضي الله له
قضاء إلا كان خيراً له ان اصابته سراء فشكر كان خيراً له وان اصابته
ضراء فصبر كان خيراً له ، وبين تعالى ان اجود ما يستعان به على المصائب
الصبر والصلاة كما تقدم في قوله تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها
لكبيرة إلا على الخاشعين » .

وفي الحديث ان رسول الله (ص) كان إذا حزبه امر صلى .
والصبر على انواع : فصبر على ترك المحارم والآثم وصبر على فعل
الطاعات والقربات ، والثاني اكثر ثواباً لانه المقصود .

واما الصبر الثالث وهو الصبر على المصائب والنوائب فذاك أيضا واجب
كالاستغفار من المعائب كما قال عبيد الرحمن بن زيد بن اسلم : الصبر في
بابين ، الصبر لله بما احب وان ثقل على الانفس والاهدان والصبر لله عما

كره فهو من الصابرين الذي يسلم عليهم انشاء الله .

وقال علي بن الحسين زين العابدين (ع) اذا جمع الله الاولين والآخرين
ينادي مناد ابن الصابرون ليدخلون الجنة قبل الحساب قال : فيقوم عنق
من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون انى ابن يابنى آدم فيقولون الى الجنة
فيقولون قبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن انتم قالوا نحن الصابرون قالوا
وما كان صبركم قالوا صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن معصية الله حتى
توفانا الله قالوا انتم كما قلتم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين قلت : وبشهاد
لهذا قوله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) (١) وقال سعيد
ابن جبير : الصبر اعتراف العبد لله بما اصاب منه واحتسابه عند الله رجاء
ثوابه ، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه الا الصبر وقوله تعالى :
(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء) (٢) :

ينحبر تعالى ان الشهداء في برزخهم احياء يرزقون ، كما جاء في صحيح
مسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث
شاعت .

روى ابن ماجه في السنن عن ابى بكر بن أبى شيبه عن وكيع عن
هشام بن زياد عن امه عن فاطمة بنت الحسين عن ابنها وقد رواه اسمعيل
ابن عليه وزيد بن هارون عن هشام بن زياد عن ابيه كذا عن فاطمة
عن ابنها وقال الامام احمد انا يحيى بن اسحق السليبيجنى انا حماد بن سلامة
عن ابى سنان قال دفنت ابنأ لي فاني لفي القبر اذ اخذ بيدي ابو طلحة
يعنى الخولاني فاخرجنى وقال لي الا ابشرك قلت بلى قال حدثنى للضحاك
ابن عبد الرحمن بن عوزب عن ابى موسى قال قال رسول الله قال الله

(١) سورة الزمر آية : ١٠ .

(٢) سورة المائدة آية : ١٥٤ .

ياملك الموت قبضت ولد عهدي قبضت قرّة عينيه وثمره فؤاده قال لعسم
قال فما قال قال حمدك واسترجع قال ابن له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ،
ثم رواه عن علي بن اسحق عن عبد الله بن المبارك فذكره وهكذا رواه
الترمذى عن سويد بن ناضر ابن المبارك به وقال حسن غريب واسم ابى
سنان عيسى بن سنان انتهى كلام ابن كثير :

الميزان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٣٤٧ كلام العلامة الطباطبائي
« يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ١٥٣
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ١٥٤
ولنهلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والشمرات
وبشر الصابرين ١٥٥ الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
١٥٦ اؤثنتك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واوئثلك هم المهتدون » (١٥٧) :

بيان

خمس آيات متحدة السياق متسقة الجمل ملتزمة المعاني يسوق اولها
الى آخرها ويرجع آخرها الى اولها وهذا يكشف عن كونها نازلة دفعة غير
متفرقة وسياقها ينادي بانها نزلت قبيل الامر بالقتال وتشريع حكم الجهاد
ففيه ذكر من هلاء مستقبل على المؤمنين ومصيبة ستصيبهم ولا كل هلاء
ومصيبة هل الهلاء العمومى الذي ليس بهادى للوقوع مستمر الحدوث فان
نوع الانسان كسائر الانواع الموجودة في هذه للنشأة الطبيعية لا يتخلو في
افراده من حوادث جزئية يتخلل بها نظام الفرد في حياته الشخصية من موت
ومرض وخوف وجوع وغم وحرمان ، سنة الله التى جرت في عهاده وخلقه

فالدار دار النزاحم والنشأة نشأة التبدل والتحول ولن تجد لسنة الله تحويلاً
ولن تجد لسنة الله تبديلاً :

والبلاء الفردي وإن كان شاقاً على الشخص المبتلى بذلك مكروهاً لكن
ليس مهولاً مهيباً تلك المهابة التي تترأى بها للبلايا والمحن العامة فإن الفرد
يستمد في قوة تعقله وعزمه وثبات نفسه من قوة سائر الافراد :

واما البلايا العامة الشاملة فانها تسلب للشعور للعموم وحملته الرأي
والحزم والتدبير من الهيئة المجتمعة ويختل به نظام الحياة منهم فيتضاعف
الخوف وتترآكم الوحشة ويضطرب عندها العقل والشعور وتهطل العزيمة والثبات
والبلاء العام والخنة الشاملة أشق وأمر وهو للذي تلوح به الآيات ولا كل
هلاء عام كالوباء والقحط بل هلاء عام قربتهم منها انفسهم فالحق اخذوا
دين التوحيد واجاهاوا دعوة الحق وتخالفهم فيه للدنيا وخاصة قومهم وما
لهؤلاء هم الا إطفاء نور الله واسميصال كلمة العدل وابطال دعوة الحق ،
ولا وسيلة تحسم مادة النزاع وتقطع الخلاف غير القتال فسائر الوسائل
كاقامة الحججة وبث الفتنة والقاء الوسوسة والريبة وغيرها صارت بعد عميقة
غير منتجة فالحجة مع النبي (ص) والوسوسة والفتنة والديسية ما كانت تؤثر
اثراً تطمئنن اليه أعداء الدين فلم يكن عندهم وسيلة إلا القتال والإستهانة
به على سد سبيل الحق وإطفاء نور الدين اللامع المشرق هذا من جانب
الكفر والأمر من جانب الدين اوضح فلم يكن الى نشر كلمة التوحيد وبث
دين الحق وحكم العدل وقطع دابر الباطل وسيلة الا القتال فان العجارب
الممتدة من لدن كان الإنسان نازلاً في هذه الدار يعطي ان الحق إنما يؤثر
اذا اميط الباطل ولن يباط الا بضرب من أعمال القدرة والقوة :

وهاجلمة ففي الآيات تلويح الى إقبال هذه الخنة بذكر القتال في سبيل
الله وتوصيفه بوصف لا يبقى فيه معه جهة مكروهة ولا صفة سوء وهو

انه ليس بموت بل حياة واي حياة فالآيات تستنهض المؤمنين على القتال
وتجبرهم ان امامهم هلاء ومحنة لن ينالوا مدارج المعالي وصلوة ربهم ورحمته
والاهتداء بهدأيته الا بالصبر عليها وتحمل مشاقها ويعلمهم ما يستعينون به
عليها وهو الصبر والصلاة .

اما الصبر فهو وحده الوقاية من الجزع واختلال امر القدير وأما
للصلاة فهي توجه الى الرب والنقطاع الى من يهده الأمر وان القوة لله جميعا ،
قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع
الصابرين » الآية قد تقدم جملة من الكلام في الصبر والصلاة في تفسير
قوله « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين » البقرة ٤٥
والصبر من أعظم الملكات والاحوال التي يمدحها القرآن ويكرر الأمر به
حتى بلغ قريبا من سبعين موضعاً من القرآن حتى قيل فيه « ان ذلك من
عزم الامور » لقمن ١٧ او قيل « وما يلقاها الا للذين صبروا وما يلقاها الا
ذو حظ عظيم » ٣٥ وقيل : « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب »
الزمر ١٠ .

والصلاة من أعظم العبادات التي يحث عليها في القرآن حتى قيل فيها
« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » العنكبوت ٤٠ ، وما أوصى الله
في كتابه بوصايا الا كانت الصلاة رأسها وأولها ثم وصف سبحانه الصبر
بأن الله مع الصابرين المتصفين بالصبر ، وإنما لم يصف للصلاة كما في قوله
تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة » الآية لأن المقام في
هذه الآيات مقام ملاقات الأحوال ومقارعة الأبطال فالإهتام بامر الصبر النسب
بخلاف الآية السابقة ، فلذلك قيل : « ان الله مع الصابرين ٥١ » وهذه
المعنى غير المعية التي يدل عليه قوله تعالى « وهو وهمك ابنا كنتم » الحديد ٤
فانها معية الاحاطة والقيومة بخلاف المعية مع الصابرين فانها معية اعانة

فالصبر مفتاح الفرج قوله تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون » الآية :

ربما يقال ان الخطاب مع المومنين الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر وأذعنوا بالحياة الآخرة ولا يتصور منهم القول ببطلان الانسان بالموت بعدما أجابوا دعوة الحق وسمعوا شيئاً كثيراً من الآيات الناطقة بالمعاد مضافاً الى ان الآية إنما تثبت الحياة بعد الموت في جماعة مخصوصين وهم للشهداء المقتولين في سبيل الله في مقابل غيرهم من المؤمنين وجميع الكفار مع ان حكم الحياة بعد الموت عام شامل للجميع ، فالمراد بالحياة بقاء الاسم والذكر الجميل على مر الدهور وبذلك فسره جمع من المفسرين :

ويرده اولا ان كون هذه حياة إنما هو في الوهم فقط دون الخارج فهي حياة تخيلية ليس لها في الحقيقة إلا الاسم - ومثل هذا الموضوع الوهمي لا يليق بكلامه وهو تعالى يدعو الى الحق ويقول : « فإذا بعد الحق إلا الضلال » يونس ٣٢ وأما الذي سأله ابراهيم في قوله « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » الشعراء - ٨٤ فإنما يريد به بقاء دعوته الحقه واسائه الصادق بعده لأحسن ثنائه وجميل ذكره بعده فحسب :

نعم هذا القول الباطل والوهم الكاذب إنما يليق بحال الماديين واصحاب الطبيعة فالهم اعتقدوا مادية النفوس وبطلانها بالموت ونفوا الحياة الآخرة ثم احساسوا باحتياج الانسان بالفطرة إلى القول ببقاء النفوس وتأثرها بالسعادة والشقاء بعد موتها في معالي امور لا تخلو من الارتقاء اليها من التفديسة والتضحية لا سيما عظام العزائم التي يموت ويقتل فيها اقوام ليحيى ويعيش آخرون ، ولو كان كل من مات فقد فات لم يكن داع للانسان (وخاصة اذا اعتقد بالموت والقوت) ان يبطل ذاته ليهي ذات آخريه ولا باعث له ان يحرم على نفسه لذة الاستمتاع من جميع ما يقدر عليه بالجور ليقتمتع

آخرون بالعدل والعاقل لا يعطي شيئاً إلا ويأخذ بدله واما الاعطاء من غير بدل والترك من غير اخذ كالموت في سبيل حياة الغير والامان في طريق تمتع الغير فالفطرة الإنسانية تأباه فلما استشعروا بذلك دعاهم جبر هذا النقص الى وضع هذه الاوهام الكاذبة التي ليس لها موطن إلا عرصمة الخيال وحظيرة اللوهم ، وقالوا ان الإنسان الحر من رق الاوهام والخرافات يجب عليه أن يفدى بنفسه وطنه أو كل ما فيه شرفه لينال الحياة الدائمة بحسن وجميل الثناء ويجب عليه أن يحرم على نفسه بعض تمتعاته في الإجتماع ليناله الآخرون ليستقيم أمر الإجتماع والحضارة ويتم العدل الإجتماعي فينال بذلك حياة للشرف والعلاء :

وليت شعري اذا لم يكن لإنسان وبطل هذا التركيب المادي وبطل بذلك جميع خواصه ومن جمالاتها الحياة والشعور فمن هو الذي ينال هذه الحياة وهذا الشرف ومن الذي يدركه ويلتذ به فهل هذا إلا خرافة :

وثانياً : إن دليل الآية وهو قوله تعالى : « ولكن لا تشعرون » ٥١ لا يناسب هذا المعنى بل كان المناسب له أن يقال بل أحياء ببقاء ذكرهم الجميل وثناء للناس عليهم بعدد ما لأنهم المناسب لمقام التسلية وتطبيب النفس •

وثالثاً : إن نظيرة هذه الآية وهي تفسيرها وصف حياتهم بعد القتل بما يتنافى هذا المعنى قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » آل عمران - ١٦٩ الى آخر الآيات ، ومعلوم أن هذه الحياة حياة خارجية حقيقية ليست بتقديرية :

ورابعاً ان الجهل بهذه الحياة التي بعد الموت ليس بكل الهيميد من بعض المسلمين في أواسط عهد رسول الله (ص) فان الذي هو نص غير قابل للتأويل انما هو البعث للقيامة وأما ما بين الموت إلى الحشر وهي الحياة البرزخية فهي وإن كانت من جملة ما بينه القرآن من المعارف الحقة لكنها

ليست من ضروريات القرآن والمسلمون غير مجمعين عليه بل ينكره بعضهم حتى اليوم فمن يعتقد كون النفس غير مجردة عن المادة وان الانسان يبطل وجوده بالموت وانحلال التركيب ثم يبعثه الله الى القضاء يوم القيامة فيمكن أن يكون المراد بيان حياة الشهداء في البرزخ لمكان جهل بعض المؤمنين بذلك وان علم به آخرون :

وهالجملة المراد بالحياة في الآية الحياة الحقيقية دون التقديرية وقد عدّ الله سبحانه حياة الكافر بعد موته هلاكاً وبوراً في مواضع من كلامه كقوله تعالى . « واحلوا قومهم دار البوار » ابراهيم - ٢٨ الى غير ذلك من الآيات فالحياة حياة السعادة والاحياء بهذه الحياة المؤمنون خاصة كما قال « وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » العنكبوت - ٦٤ ، وإنما لم يعلموا لأن حواسهم مقصورة على إدراك خواص الحياة في المادة الدنيوية ، وأما ماورائها فاذا لم يدركوه لم يفرقوا بينه وبين الفناء فتوهموه فنائاً وما توهمه الوهم مشترك بين المؤمن والكافر في الدنيا فلذلك قال في هذه الآية : « بل أحياء ولكن لا تشعرون » أي بحواسكم كما قال في الآية الأخرى : « لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » أي باليقين كما قال تعالى : « كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم » التكاثر - ٦ :

فمعنى الآية « الله اعلم ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات » ولا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيد لفظ الموت عندهم ومقابلته مع الحياة وكما يعين على هذا القول حواسكم فليسوا بأموات بمعنى البطلان بل أحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك ولا تشعر به :

ولقاء هذا القول على المؤمنين مع انهم جميعاً أو أكثرهم عالمون بهقاء حياة الإنسان بعد الموت وعدم بطلان ذاته - إنما هو لإيقاظهم وتنبههم بما هو معلوم عندهم يرتفع بالانتفات اليه الحرج عن صدورهم والاضطراب

والفراق عن قلوبهم إذا أصابتهم مصيبة القتل فإنه لا يبقى مع ذلك من آثار
القتل عند أولياء القتيل إلا مفارقة في إيام قلائل في الدنيا وهو هين في
قبال مرضات الله سبحانه وما ناله القتيل من الحياة للطيبة والنعمة المقيمة
ورضوان من الله أكبر :

وهذا نظير خطاب النبي (ص) بمثل قوله تعالى : « الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين » الآية مع انه أول الموقنين بآيات ربه ولكنه كلام
كفى به عن وضوح المطالب وظهوره بحيث لا يقبل أى خطور نفسانى لخلافه :

نشأة البرزخ

فالآية تدل دلالة واضحة على حياة الانسان البرزخية كآلية للنظيرة
لها وهي قوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند
ربهم يرزقون » آل عمران ١٦٩ والآيات في ذلك كثيرة :

ومن عجب الأمر ما ذكره بعض الناس في الآية أنها زالت في شهداء
بدر فهي مخصوصة بهم فقط لا تنعدم إلى غيرهم هذا وقد أحسن بعض
المحققين من المفسرين في تفسير قوله : « واستعينوا بالصبر والصلاة » الآية
اذ سئل الله تعالى للصبر على تحمل مثل هذه الاقوابل :

وليت شعري ماذا يقصده هؤلاء بقولهم هذا وعلى أي صفة يتصورون
حياة شهداء بدر بعد قتلهم مع قولهم بانعدام الانسان بعد الموت والقتل
وانحلال تركيبه وبطلانه أهو على سبيل الاعجاز ، باختصاصهم من الله بكرامة
لم يكرم بها النبي الاكرم (ص) وسائر الانبياء والمرسلين والاولياء المقربين
اذ خصهم الله بهقاء وجودهم بعد الانعدام فليس ذلك باعجاز بل محال

ضرورى الاستحالة ولا اعجاز في محال ولو جاز عند العقل ، ابطال هذا الحكم على بداهتها لم يستقم حكم ضرورى ، فما دونه أم على نحو الاستثناء في حكم الحس بان يكون الحس مخطئاً في أمر هؤلاء الشهداء فهم أحياء يرزقون بالأكل والشرب وسائر التمتع ، وهم غائبون عن الحس وما ناله الحس من امرهم بالقتل وقطع الاعضاء وسقوط الحس وانحلال التركيب فقد أخطأ في ذلك من رأس فلو جاز على الحس أمثال هذه الاغلاط فيصيب في شيء ويغلط في آخر من غير مخصص بطل الوثوق به على الإطلاق : ولو كان المخصص هو الارادة الآلية احتاج تعلقها الى مخلوق آخر والاشكال وهو عدم الوثوق بالادراك على حاله فكان من الجائز ان نجد ما ليس بواقع واقعاً والواقع ليس بواقع وكيف يرضى عاقل أن يتفوه بمثل ذلك وهل هو الا سفسطة :

وقد سلك هؤلاء في قولهم هذا مسلك العامة من المحدثين حيث يرون ان الأمور الغائبة عن حواسنا مما يدل عليه للظواهر الدينية من الكتاب والسنة ، كالملائكة وارواح المؤمنين وسائر ما هو من هذا القبيل موجودات مادية طبيعية وأجسام لطيفة تقبل الحلول والنفوذ في الاجسام الكثيفة على صورة الانسان ونحوه يفعل جميع الافعال الانسانية مثلاً ، ولها أمثال القوى التي لنا غير أنها ليست محكومة باحكام الطبيعة من التغير والقبول والتركيب وانحلاله والحياة والموت الطبيعيين فاذا شاء الله ظهورها ظهرت لحواسنا وإذا لم يشأ أو شاء ان لا تظهر لم تظهر مشيئة خالصة من غير مخصص في ناحية الحواس أو تلك الاشياء .

وهذا القول منهم مبني على انكار للعلية والمعلولية بين الاشياء ، ولو صححت هذه الأمنية للكاذبة بطلت جميع الحقائق العقلية والاحكام العلمية فضلاً عن المعارف الدينية ، ولم تصل النبوة إلى اجسامهم اللطيفة المكرومة التي لا

تصل إليها يد التأثير ، والتأثير المادى الطبيعى وهو ظاهر :
فقد تبين بما مر ان الآية دالة على الحياة البرزخية وهي المسماة بعالم
القبر ، عالم متوسط بين الموت والقيامة بنعم فيه الميت أو يعذب حتى
تقوم القيامة :

ومن الآيات الدالة عليه وهى نظير هذه الآية الشريفة قوله تعالى : « ولا
تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين
بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا
خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا
يضيع اجر المؤمنين » (١) قد مر تقريب دلالة الآية على المطلوب ولو تدبر
القائل باختصاص هذه الآيات بشهداء بدر فى متن الآيات لوجدان سياقها
يفيد اشترك سائر المؤمنين معهم فى الحياة والتنعم بعد الموت .

ومن الآيات قوله تعالى : « حتى إذا جاء احدهم الموت قال رب
ارجعونى لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون » (٢) والآية ظاهرة الدلالة على ان هناك حياة متوسطة
بين حياتهم الدنيوية وحياتهم بعد البعث وسيجيء تمام الكلام فى الآية انشاء الله :
ومن الآيات قوله تعالى . « وقال الذين لا يرجون لقاءنا لو لا نزل
علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا كعبراً يوم
يرون الملائكة » (٣) ومن المعلوم ان المراد به أول ما يرونهم وهو يوم الموت
كما تدل عليه آيات آخر : « لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً
محجوراً وقدمننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً اصحاب الجنة يومئذ

(١) سورة آل عمران آية ١٧١ :

(٢) سورة المؤمنون آية ١٠١ :

(٣) سورة الفرقان آية ٢١ .

خير مستقرا واحسن مقبلا ويوم تشقق السماء بالغمام» (١) وهو يوم القيامة
« ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين
عسيرا » (٢) ودلالاتها ظاهرة وسيأتى تفصيل القول فيها في محله انشاء الله
ومن الآيات قوله تعالى : « قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل » (٣) فهنا إلى يوم البعث وهو
يوم قولهم هذا اماتان واحيائتان ، ولن يستقيم المعنى إلا باثبات البرزخ
فيكون اماتة واحياء في البرزخ واحياء في يوم القيامة ولو كان احد الاحيائين
في الدنيا والآخرة ، في الآخرة لم تكن هناك الا اماتة واحدة من غير ثنائية
وقد مر كلام يتعلق بالمقام في قوله تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا فاحياكم » (٤) :

ومن الآيات قوله تعالى : « وحق آل فرعون سوء العذاب للنار
يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب » اذ من المعلوم ان يوم القيامة لا بكرة فيه ولا عشى فهو يوم
غير اليوم :

والآيات التي تستفاد منها هذه الحقيقة القرآنية او تؤمى اليها كثيرة
كقوله تعالى : « تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم » (٦) « يا ايها الناس كلوا مما في الارض

(١) سورة الفرقان الآية : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) سورة الفرقان آية . ٢٦ .

(٣) سورة المؤمن آية : ١١ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٨ .

(٥) سورة المؤمن آية : ٤٦ .

(٦) سورة النحل آية : ٦٣ .

حلالاتاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » (١) :
لا ريب ان المآكل الموجودة في الارض ملها حلال ومنها حرام ، وحيث
ان الشيطان يدعو الى العصيان فهو يدعو الى ترك الحلال واكل الحرام ،
وان الله امرنا في هذه الآية بالأكل من الحلال المبين تفصيله في الكتاب
واللسنة وكذا نهانا عن اكل الحرام ونبهنا ان الشيطان يدعونا الى خلاف
ذلك ، ونهانا عن اتباعه لأنه عدو لنا متظاهر ومجاهر بالعداوة لنا وان
العقل لا يهد وان يتواعد عن عدوه المعلن بالعداء له والا فهو جاهل سفيه
ليس له من للعقل شيء اهدا لأنه اذا اتبع عدوه اوقعه في المهالك وذو
العقل لا يقدم على القاء نفسه في المهالك :

روى عن النبي (ص) قال : من اكل لقمة حرام لم تقبل له صلاة
اربعين ليلة ولم يستجب له دعوة اربعين صباحاً ، وكل لحم ينبتة الحرام
فالنار اولى به : وان اللقمة الواحدة تنبت اللحم .

وروى اصحاب التفاسير عن النبي (ص) انه قال : المؤمن يأكل في
معاء واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء : وقد كثرت كلمات الفرقين في
معنى الخبر واحسن ما قيل فيه هو ان المؤمن لا يأكل إلا من الحلال
ويجتنب الحرام والشبهة ، والكافر لا يبالى بما أكل وكيف أكل ومن ابن
أكل فيكون مأكل الكافر اكثر من مأكل المؤمن لكثرة موارده عنده وإنما
خصها بالسبعة كما خص السبعين في قوله تعالى : « ان تستغفر لهم سبعين
مرة » : وعن تاريخ البلاذري انه انفذ النبي (ص) ابن عباس الى معاوية
ليكتب له فقال انه يأكل ثم يمضغ فيه ولم يفرغ من اكله فقال النبي (ص)
لا اشبع الله بطنه :

وروى عن النبي (ص) قال من اكل الحلال اربعين يوماً نور الله

(١) سورة البقرة آية : ١٦٨ :

قلبه ، وقال ان الله ملكاً ينادى على بيت المقدس كل ليلة : - من اكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . الصرغ النافلة ، والعدل الفريضة .
وعنه (ص) : - للعبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل وأما الطيب فقيل انه الحلال وكرر لاختلاف اللفظ وبذل عليه ماروى في امالي الصدوق في تفسير قوله تعالى : « قل لا يستوى الخبيث والطيب » عن النبي (ص) من هات كلاً من طلب الحلال هات مغفورا وقيل هو ما استلذ من الطعام وقيل هو الخالي عن الشهوة .

« انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون (١) :
بعدهما امرنا الله في الآية السابقة ان يكون ما كلنا من الحلال الطيب لنتمو اهداننا عليه فلا يكون فيها نصيب للنار ونهاننا عن اتباع خطوات الشيطان حيث ان خطواته خلاف الحق فهي تباعد المتبع لها عن طريق الهدى الذى اوضحه الله لنا ففي هذه الآية بين ان اوامر الشيطان منحصرة بالسوء والفحشاء وانه لا يوسوس ولا ينفث في قلب الانسان شيئاً الا للسوء والفحشاء والسوء هو كل امر تكون عاقبته سيئة بحكم العقل والشرع ، فالانسان اذا اتبع الشيطان في اول خطوة فقد همد عن الحق وعن طريق الهدى فيأمره الشيطان بالسوء ثم يأمره بالفحشاء فاذا أطاعه فقد زاد همده عن الحق فاذا اتبع الشيطان في الخطوة الثالثة يأمره حينئذ ان يظهر العداوة الى الله فان يقول على الله مالا يعلم من اتخاذ الانداد ونسبة الاولاد وتحليل الحرام وتحريم الحلال والافتراء على الله والقضاء والفتوى بغير علم فالذى أمر الله به المؤمنين في هاتين الآيتين : -

- ١ - ان يكون ما كلهم من الحلال الطيب :
- ٢ - ترك ما يأمرهم به الشيطان من الأكل من سائر المحرمات التي

(١) سورة البقرة آية : ١٦٩ .

حرمها الله عليهم :

٣ - عدم اتهاج الشيطان في غير المأكول من سائر المحرمات فان الدخول فيها يجرمهم إلى أكل المحرمات .

٤ - الاعتقاد بأن كل ما يأمر به الشيطان ويدعو إليه هو سوء وفحشاء ويجرمهم إلى القول على الله بما لا يعلمون :

٥ - الاعتقاد بأن الشيطان بالنسبة إلى الإنسان عدو مبيت :

وبعد ما أمر الله عموم الناس بهذه الأوامر وحيث أن الناس منهم المطيع ومنهم العاصي وصف الله العصاة بالكفر وعدم العقل وعدم الاهتداء ، ثم وجه نداء خاصاً إلى المؤمنين الذين أظهروا الإيمان بالسنتهم وأمرهم بما يكون اختصاراً لهم ومميزاً للصادق من الكاذب فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » (١) . لقد أمر الله المؤمنين بالاكل أي أباخ لهم الاكل من الطيبات وهي الحلال الذي جعله الله رزقاً لهم فلا رخصة في اكلهم من الحرام ، اذ ان الله لم يجعله لهم رزقاً وامرهم ان يشكروا لله على رزقه وليتهم بالكم اذا عرفتم ان الله هو الخالق لكم فعبدتموه فانه أيضاً هو رازقكم فيلزمكم ان تشكروه على هذه النعم التي خلقها وجعلها رزقاً لكم وان لم يتحقق منكم الشكر كانت عبادتكم ناقصة غير كاملة .

روي عن النبي (ص) قال : - يقول الله اني والانس والجن في نيا عظيم اخلق وبعبد غيري ارزق وبشكر غيري .

« انما حرم عليكم الميتة وللدوم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله » (٢) قد ذكر الله في هذه الآية بعض المحرمات وليس المقصود من الحصر انه

(١) سورة البقرة آية ١٧٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٧٣ :

لا يجرم غيرها وإنما المقصود الرد على المشركين الذين حرموا على أنفسهم
بعض الأشياء فرد الله عليهم بأن الحرام هو ما يحرمه الله وهو في هذا الموضع : -
١ - الميتة : - فإنها محرمة أكلها وسائر الانتفاعات بها والميتة هي
غير المذكات تذكية شرعية .

٢ - الدم : - بجميع أنواعه إلا ما خرج بدليل شرعي وهو المتخلف
في اللحم :

٣ - لحم الخنزير : - وإنما خص اللحم بالذكر لأن المقام في ذكر
المأكول ولا يؤكل من الخنزير إلا اللحم والافسائر الانتفاعات فيه محرمة :
٤ - ما هلك به لغير الله : - والمقصود منه ما يذبحه المشركون لآلهتهم
كلاصنام وغيرها ، فقد حرم الله الذبائح التي تذبح لغير الله أو أن المقصود
من ذلك ما يذبح ولم يذكر عليه اسم الله فكان المباح أكله يشترط فيه امران : -
الأول : - أن لا يكون لغير الله :

والثاني : - أن يذكر عليه اسم الله والإهلال هو رفع الصوت عند
الذبح للصنم .

قوله تعالى : « فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا أثم عليه ان الله
غفور رحيم (١) » :

بعد ما ذكر حرمة هذه الامور على الناس بين لنا ان رحمه لا تفارقنا
طرفة عين وان هذه الحرمة لغير المضطر : أما المضطر الى اكلها فان الله
لا يعاقبه عليه بشرط ان لا يكون باغ ولا عاد ومعنى الهاغي والعاد فقد
قيل فيه اقوال : -

١ - الباغ : - هو الذي يبغى اللذة في الاكل والعاد هو الذي يتعدى
حد الضرورة من سد الرمق :

(١) سورة البقرة آية ١٧٣ .

٢ - الباغ : - هو الذي يبغى على الامام والعااد هو الذي يقطع الطريق وهو مروى عن الصادق عليه السلام :

٣ - مافي رواية اخرى ان الباغي : الظالم والعادى الغاصب : عن الصادق (ع) ايضاً الهاغي : باغي الصيد ، والعادى السارق :

وانما عددنا هذه الآية من صفات المؤمنين لما ورد عن الصادق (ع) قال : - من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل شيئاً من ذلك حتى يموت وهو كافر :

« ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون (١) .

يلزمننا هنا ذكر مقدمات ليتضح للمسلم الطالب للحقيقة معنى الآية فيتصف بالصفات الموصلة اليها : -

الاولى : - ان البر بالكسر قد ذكر له عدة معاني منها للعطف والاحسان ومنها الصدق ومنها للفعل المرضى ومنها الايمان والتقوى والذي يناسب المقام هو المعنى الثالث أي الفعل المرضى او الراجع اي الايمان والتقوى :

الثانية : - ان الله لما حول القبلة الى الكعبة كثر الخصام وطالت المشاجرات وازداد الخوض في امر القبلة من اهل الكتاب وغيرهم وادعت كل طائفة ان البر وهو الايمان والتقوى منحصر في التوجه الى قبلتها فقبلة للنصارى المشرق وقبلة لليهود المغرب وقبلة للاسلام الكعبة فانزل الله هذه الآية لقطع الخصام وحسم الجدل ورد على اهل الكتاب زعمهم ان البر في

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧ :

للتوجه الى قبلتهم :

الثالثة : - ان المقصود من الآية ليس اخراج التوجه الى القبلة والصلاة من البر مطلقاً وإنما المقصود عدم انحصار البر في التوجه وبهذا يبطل قول أهل الكتاب ان غير التوجه الى قبلتهم فليس من الدين في شيء ولا ايمان له وأشاعوا في الناس بان التوجه للصلاة له تنحقق اطاعة الله والايمان والتقوى وقد لبهنا الله الى ان الصلاة انما هي واحدة من الامور التي يطاع الله بها وايست هي للكل بالكل وانها وجبت لكونها تدعو الى الصلاح وتصرف عن الفساد وذلك يختلف بحسب الازمان والاحوال :

فبعد ما عرفنا هذه المقدمات ينبغي ان يعرف المسلمون مالذي يريد به الله منهم في هذا العصر وهو القرن الرابع عشر عند المسلمين أما الذين ولوا وجوههم وقلوبهم قبل المشرق والمغرب فيطلقون عليه قرن العشرين ان الله تعالى يقول لكم ليس الاسلام والايمان هو توجيهكم نحو القبلة واقامة للصلاة فحسب مع كونكم وايتم وجوهكم وقلوبكم قبل المشرق والمغرب فان هذا الذي اتم عليه ليس باسلام ولا ايمان حتى تتصفوا بالصفات التالية وكأني بأحد المؤمنين المتقين يقول ياليت المسلمين يقيمون الصلاة ويولون وجوههم نحو القبلة ولو أقاموا الصلاة لنتهم عن الفحشاء والمنكر ولكن أكثر المسلمين قد تركوا الصلاة ولبذوها ولم يعرفوا منها شيئاً مع انها عمود الدين فاذا جهلوا فكيف يعرفون غيرها من القوانين وعلى اى حال فان الله قد اعتبر في البر والايمان اموراً ان اتصف بها الشخص عد من الابرار عند الله وهي التي ذكرها في الآية واليك تفصيلها :

١ - قوله تعالى : (من آمن : . .) :

الايمان بالله وهذا يشمل جميع ما لا يتم معرفة الله إلا به كعرفة حدوث العالم واثبات المحدث وصفاته الواجبة والجاززة وما يستحيل عليه سبحانه

ومعرفة عدله وحكمته وإلا يهدم إيمانه باتباع الهوى والشيطان في مخالفة
أوامر الله ولو أهيه وقد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) في تعريف
الإيمان أنه عقد في القلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان :

وعن جابر الجعفي قال سألت أبا عبد الله عن الإيمان فقال : الإيمان
أن يطاع الله فلا يعصى : وقال الإمام الصادق (ع) من جملة كلام طويل
خاطب به معاوية بن وهب (ان أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان
معرفة الرب والاقرار له بالعبودية وحد المعرفة ان يعرف انه لا إله غيره
ولا شبهه له ولا نظير وان يعرف انه قديم مثبت موجود غير فقيد موصوف
من غير شبيهه ولا مهطل ليس كمثل شئ وهو السميع البصير :
وروى عن أبي عبد الله قال خرج الحسين بن علي (ع) على أصحابه
فقال أيها للناس ان الله جل ذكره ما خلق العباد الا ليعرفوه فاذا عرفوه
عبدوه فاذا عبده استهنوا بعبادته عن عبادة ماسواه :

وروى عن النبي (ص) من جملة خطبة خطبها وهي آخر خطبة كانت
قبل وفاته بايام قال : أيها للناس انه من لقي الله عزوجل يشهد أن لا
إله الا الله مخلصاً لم يخلط معها غيرها دخل الجنة ، فقام علي بن ابي
طالب (ع) فقال يا رسول الله بابي أنت وامى كيف يقولها مخلصاً لم يخلط
معها غيرها فسّر لنا هذا حتى نعرفه فقال : نعم حرصاً على الدنيا وجمعها
من غير حلها ورضى بها وأقوام يقولون أقاويل الأخيار ويعملون عمل
الجاهلة فن لقي الله وليس فيه شئ من هذه الخصال وهو يقول لا إله
الا الله فله الجنة فان اخذ الدنيا وترك الآخرة فله النار :

٢ - قوله تعالى : (واليوم الآخر) هذا هو الامر الثاني مما يعتبر
في صدق البر والإيمان الحقيقي وهو الإيمان والتصديق بيوم القيامة ، ويدخل
فيه التصديق بالبعث والحساب والثواب والعقاب والصراط والجنة والنار

وحقيقة الايمان به ان يظهر أثره على أفعاله وأقواله وأخلاقه .

٣ - قوله تعالى : (والملائكة) هذا الأمر الثالث بما يعتبر في صدق البر والايمان هو التصديق بوجود الملائكة وانهم عباد الله المكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بامرهم يعملون :

قال الله تعالى : (جعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء) (١) . روى عن هشام بن الحكم قال سألت الزنديق فيما سألتها عبد الله عليه السلام فقال ماعلة الملائكة الموكلين بعبادته يكتبون عليهم ولهم والله عالم للسر وما هو اخفى فقال : (ع) استعبدتهم بذلك وجعلهم شهودا على خلقه ليكون العباد لملازمتهم اياهم اشد على طاعة الله مواظبة وعن معصيته اشد انقباضا ، وكمن عبد يهمل بمعصيته فذكر مكانها فارعوى وكف فيقول ربي يراني وحفظتي علي بذلك تشهد وان الله يرأفته واطفه أيضاً وكلهم بعبادته يذوبون عنهم مردة الشياطين وهوام الارض وآفات كثيرة من حيث لا يرون باذن الله الى أن يجيء امر الله عزوجل :

٤ - قوله تعالى : (والكتاب) هذا الأمر الرابع مما يعتبر في البر والايمان وهو التصديق بالكتاب وهو القرآن ويلزمه الايمان بما ذكر فيه من الكتب الإلهية وتحليل حلاله وتحريم حرامه واقامة احكامه .

حكى عن تفسير العياشي عن الامام الصادق عن ابيه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (ص) ايها الناس انكم في زمان همدنة وانتم على ظهر السفر والسير بكم سريع فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يلبيان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود فاعدوا الجهاز لبعث المفاز فقام المقداد فقال يا رسول الله ما دار الهدنة قال دار بلى والقطاع فاذا التهمت

(١) سورة فاطر آية : ٢ .

عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وما حل
مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار ، وهو
الدليل يدل على خيز سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو
الفصل ليس بالهزل ، وله ظهر وبطن فظاهره حكمة وباطنه علم ، ظاهره
انيق وباطنه عميق له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تخصى عجائبه ولا تبلى غرائبه
فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعروف لمن عرفه .

وعن كنز الكراچي جاء في الحديث ان رسول الله (ص) قال ما آمن
بالقرآن من استحل محارمه (افئذ منون ببعض الكتاب وكفرون ببعض فما
جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون
الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) (١) . وعن عهد الرحمن السلمي
قال حدثنا من كان يقرينا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول
الله (ص) عشر آيات فلا يأخذون في العشر الآخر حتى يعلموا ما في هذه
من العلم والعمل ، وروى ان رجلا تعلم من النبي (ص) للقرآن فلما انتهى
الى قوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره قال تكفيني هذه وانصرف فقال رسول الله (ص) انصرف الرجل
وهو فقيه .

فقد تبين مما ذكرنا أن المقصود من الايمان بالكتاب هو العمل بأحكامه
وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، ولا يكفي في ذلك الاعتراف بأنه منزل من
الله على رسوله مع مخالفة أحكامه كما يتجلى لك ذلك من قول الرسول
الاعظم (ص) (ما آمن بالقرآن من استحل محارمه) .

وقال بعض العلماء ان العهد ليقبل القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم ، يقرأ
ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو

(١) سورة البقرة آية : ٣٥ ،

منهم . وكذا لا يكفي في تحقق الايمان به تلاوته في الليل والنهار مع مخالفة التابلي او الأمر له بالتلاوة لأحكامه ومضامينه كما يدل على ذلك قول الرسول (ص) كم من قارئ للقران والقرآن يلغنه فان اللعنة انما تكون بسبب المخالفة وعدم العمل وإلا اذا كان القارئ عاملاً بأحكامه فلا موجب للعنة فهو لاء الذين يقرأون القرآن في أى مكان وفي أية مناسبة ينبغي لهم العمل على طبق القرآن وإلا فالقرآن يلغنههم ، وسوف تأتي الآيات التي تحث على العمل بالقرآن مفصلة مرتبة . وان المخالف له فاسق او كافر .

٥ - قوله : (والنبين) هذا هو الشرط الخامس من الشروط المعتمدة في الايمان وهو التصديق بالانبياء كلهم وانهم معصومون مطهرون صادقون فيما أدوه الى الخلق وان سيدهم وخاتمهم هو محمد بن عبد الله (ص) وان شريعته ناسخة لجميع الشرائع وان التمسك بها والعمل عليها لازم لجميع المكلفين الى يوم القيامة .

٦ - قوله تعالى : (وآتى المال على حبه) هذا هو للشرط السادس من شروط الايمان وهو ايتاء المال على حبه ، والضمير في كلمة حبه اما ان يرجع الى المال فيكون المعنى ان اعطاء المال المحقق للايمان اذا كان في وقت حبه للمال وهو وقت الصحة والأمل بالحياة والحاجة الى المال لا وقت انقطاع الأمل ودنو الأجل الذي لا ينتفع بالمال فيه فحينئذ يقول اعطوا لفلان كذا ولفلان كذا . وأما أن يكون الضمير في (حبه) راجعاً الى الأيتاء اي يعطي المال بطيب نفس وسخاء سروراً بهذا العطاء وأما أن يكون للضمير راجعاً الى الله تعالى أى يعطى المال على حب الله وخالصاً لوجهه وهذا الوجه هو أحسن الوجوه لأن اعطاء المال مع حب المال او حب العطاء اذا لم يكن خالصاً لوجه الله ولم يقصد به التقرب الى الله لم يستحق المعطي الثواب وانما يترتب الثواب اذا قصد به التقرب الى الله :

ثم ذكر الله من يدفع له هذا المال فقال تعالى (ذوي القربى) فاما أن يكون قرابة المعطي كما روي عن النبي (ص) لما سئل عن أفضل الصدقة فقال (ص) جهد المقل على ذي الرحم الكاشح . وأما أن يكون المراد قرابة النبي (ص) كما في قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى) (١) وهذا هو المروي عن الباقر والصادق (ع) هذا هو الصنف الأول ممن يدفع له المال .

الصنف الثاني : - قوله تعالى : (واليعامى) أى واعطاء المال إلى اليتيم وهو الصغير الفقير الذى فقد أهاه حتى لا يبقى في حاجة إلى النفقة .
الصنف الثالث : - قوله تعالى : (والمساكين) وهم أهل الحاجة للذين ليس لهم نفقة تقومهم .

الصنف الرابع : - قوله تعالى : (وابن السبيل) وهو من انقطع به الطريق ونفذت نفقته .

الصنف الخامس : - قوله تعالى : (والسائلين) وهم الذين الجأهم الفقر الى السؤال .

الصنف السادس : - قوله تعالى : (وفي الرقاب) وقيل فيه أمران الأول ان يشترى الانسان المملوك من العبيد والاماء ويعتقهم .

الثاني ان يساعد المكاتبين بالاموال اذا عجزوا عن سد ما كاتبوا عليه ولا مانع من الجمع بين الأمرين بان يكون المراد من الآية كلا الأمرين .
ثم أن المال الذي أمر الله بدفعه إلى هؤلاء الأصناف هل المراد منه الزكاة المفروضة أو غيرها ؟ لأنها قد ذكرت بعد ذلك ويؤيد كونه غير الزكاة بناء على القول بان القربى هم قربى النبي لأنهم لا يحل لهم الأخذ من الزكاة وإذا قلنا ان المال هو الزكاة المفروضة يكون المقصود هنا ذكر أصناف

(١) سورة الشورى آية : ٢٣ .

المستحقين ويكون ذكرها بعد ذلك للتأكيد والحث .

٧ - قوله تعالى : (واقام الصلاة) : - هذا هو الشرط السابع من شروط الايمان وهو اقامة الصلاة بمحدودها وشروطها وأركانها - بأن يؤديها في ميقاتها فقد روى عن النبي (ص) انه قال ليس مني من استخف بالصلاة لا يرد علي الحوض لا والله ، وقال من ترك صلاة فريضة متعمداً فان ذمة الله منه بريئة :

٨ - قوله تعالى : - (وآتى الزكاة) أي أعطى زكاة ماله والتفصيل المذكور في كتب الفقه ، فقد تكاثرت الأخبار في ذم تارك الزكاة وعقابه . روى عن الصادق (ع) قال من منع قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة ، وان مانع الزكاة أحد من كفر من هذه الأمة وهو البخيل حق البخيل :

وقال الصادق (ع) من منع الزكاة في حياته طلب الكفرة بعد موته وقال : من منع قيراطاً من الزكاة فليمت انشاء يهودياً وان شاء نصرانياً وعن محمد بن مسلم قال سألت ابا عبد الله عن قول الله عزوجل : (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) فقال يا محمد مامن أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب ، ثم قال هو قول الله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) يعني ما بخلوا به من الزكاة .

٩ - قوله تعالى : (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) (١) هذا هو الشرط التاسع من شروط الايمان : اي يشترط في المؤمن ان يكون موفياً بعهده الذي عاهد عليه سواء أكان العهد بينه وبين الله وهو شامل لفعل الواجبات وترك المحرمات والوفاء بالنذر واليمين ، او كان بينه وبين الناس

(١) سورة البقرة آية : ١٧٦ .

وهو كل شيء عاهد عليه أحداً من الناس ففي كل ذلك يلزم الوفاء : فقد روى عن النبي (ص) انه قال لا دين لمن لا عهد له : وعن ابي مالك قال قلت : لعلي بن الحسين (ع) اخبرني بجميع شرائع الدين قال قول الحق ، والحاكم بالعدل والوفاء بالعهد :

١٠ - قوله تعالى : (والصاهرين في البأساء والضراء وحين البأس) (١)
هذا هو الشرط للعاشر من شروط الايمان أى يشترط في المؤمن الحقيقي ان يكون صاهراً في البأساء وهو الفقر ، والضراء وهو العلل والأوجاع والأسقام والأمراض والخوف والجوع والعطش ، وحين البأس : وهو وقت القتال وجهاد العدو فقد روي عن علي (ع) انه قال كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله (ص) فلم يكن أحد منا أقرب الى العدو منه .
فان هذا الشرط وان كان وارداً مورد المدح والثناء وهو السبب في نصبه ولكنه وصف وشرط للايمان اذ من لم يكن مقصفاً بالصبر في هذه المواطن كان ناقص الايمان .

روى عن الامام السجاد (ع) قال : الصبر من الايمان بمنزلة للرأس من الجسد ولا ايمان لمن لا صبر له ، وقال أمير المؤمنين (ع) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو وقال بعضهم : -

اني رأيت والأيام تجسربة للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد في أمر يطالبه فاستصحب الصبر الا فاز الظفر

قوله تعالى : (اولئك الذين صدقوا) الاشارة في قوله اولئك الى الذين اتصفوا بالصفات المذكورة بانهم صدقوا مع الله فيما التزموا به من القول والعمل حيث لم يعصوا الله في شيء من اوامره ونواهيه وفيه تعريض واشارة الى ان من يأتي بهذه الامور ويتصف بهذه الصفات ظاهراً لارادة

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧ :

للناس وهو غير صادق باطناً فهذا ليس من الايمان في شيء (واولئك هم المتقون) أى ان الذين اتصفوا بالصفات المذكورة هم الذين اتقوا عذاب الله بتركهم الكفر وسائر الجرائم والمحرمات ، ويمكن ان تكون اشارة وتهريضاً لمن يتصف بهذه الصفات ومع ذلك يرتكب المحرمات فان هذا ليس من البر ومن الايمان بشيء وانما المؤمن الحقيقي للكامل من اتصف بالصفات المتقدمة وهو يتقي من جميع المحرمات ولا يتقرب الى شيء منها فيكون هذان الوصفان وهما الصدق والتقوى شرطان اساسيان لمن اتصف بالصفات المتقدمة وإلا فلا فائدة فيها :

محصل البحث :

تحصل لنا من هذه الآية للشريفة ان البر وما يرضى الله من افعالنا والايمان الصحيح الحقيقي هو هذه المجموعة من الصفات الاعتقادية والعملية وهي كما يلي :

- ١ - الايمان بالله عز وجل .
- ٢ - الايمان باليوم الآخر وهما المبدأ والمعاد .
- ٣ - الايمان بالملائكة .
- ٤ - الايمان بالكتاب .
- ٥ - الايمان بالنبيين .
- ٦ - ايتاء المال خالصاً لوجه الله .
- أ - لذوي القربى ، ب لليتامى ، ج للمساكين ، د لابن السبيل
- هـ للسائلين ، و في الرقاب .
- ٧ - من محتويات الآية إقامة الصلاة .
- ٨ - ايتاء الزكاة .
- ٩ - الوفاء بالعهد .

١٠ - الصبر : أ - في البأساء ، ب - في الضراء ، ج - حين البأس
اي في القتال ٥

١١ - الصديق في جميع هذه الامور اعتقاداً وعملاً بان تكون هذه
الامور عن نية خالصة لله تعالى :

١٢ - ان تكون عند المستجمع لهذه الامور ملكة التقوى اي لا يرتكب
شيئاً من المحرمات خوفاً من عقاب الله :

تنبية : - ينبغي للانسان العاقل ان يتنبه ويلتفت بان الله تعالى انما
امرنا بهذه الخصال الحميدة لأنه يحب لهاده المؤمنين ان يتصفوا بجميع
خصال الكمال وان يتنزهوا من جميع الرذائل الموجبة لسقوط الانسان فامرهم
بكل ما يحكم به العقل من الاعتراف بالمبدأ وانه واحد بلا شريك وانه نزيه
عن العيب ، ويلزم ذلك الاعتراف بالمعاد وأمرهم بذلك ليتصفوا بالكرم
والسخاء ، وأمرهم بالصبر عند القتال ليتصفوا بالشجاعة فاذا اتصفوا بهذه
الخصال كانوا من المقربين لديه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد
بالعبد والاثني بالاثني فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء
اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله
عذاب اليم (١) ٥

لما بين الله في الآية السابقة بان حقيقة البر والعمل الذي يرضاه الله
هو العمل باوامره ونواهيه بين لنا في هذه الآية أهم الامور التي يحتاجها
الناس وهو الحكم في الدماء والنفوس وذكر لنا قانوناً ان عملنا نحن به يقل
قتل للنفوس واراقة للدماء فلا يقدم احد مع تنفيذ هذا القانون على قتل
احد إلا ان يكون مجنوناً وحيث ان المسلمين لا تفكافأ ولا تتساوى دمائهم

(١) سورة الهقرة آية : ١٧٨ :

من حيث الحرية وعدمها والذكورة والانوثة قال تعالى : (الحر بالحر والعبد بالعبد والائى بالائى) (١) وكذا لا تكافؤ بين الاسلام والكفر وقد ذكر ذلك في سورة النساء : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) (٢) وهذه الفروع أى قتل الحر بالعبد وللرجل بالمرأة وأمثالها انما هى من مسائل الفقه فليرجع بها اليه وانما المهم الذى هو من موضوع بحثنا قوله تعالى : (ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب) (٣) :

فما لا ريب فيه ان قتل النفس المسلمة هلا ذنب يوجب لها القتل هو من أكبر الجرائم في الشريعة الاسلامية بل فيما تقدمها من للشرائع كلها وقد ذكر الله في القرآن في قصة ولدى آدم عظم جرم القتل فقال : (من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً) (٤) ولاجل خطر هذه الجريمة قد سن الله حكماً للناس يمنعهم عن ارتكاب جريمة القتل حيث جعل عقاب القاتل للقتل فقال : (كتب عليكم القصاص في القتلى) فالشخص الذى آمن بالله ورسوله وهكاتبه اذا عرف انه متى قتل مسلماً هلا جنائية يجب عليه ان يسلم نفسه الى اولياء القتل ليقنعوا منه فيخلص من عذاب الآخرة كانت معرفته بهذا العقاب الصارم رادعة له من الاقدام على قتل احد من الناس وان هو لم يسلم نفسه لذوى القتل يلزم على ذوى الامر وذوى السلطة ان تقبض عليه وتسلمه الى اولياء القتل فيقتضون منه :

ثم اخبرنا الله عزوجل بان هذا النوع من القصاص سوف يضمن لكم الحياة ويقال وقوع القتل بينكم إذ أن المرأ لا يقدم على قتل احد

(١) سورة البقرة آية ١٧٨ .

(٢) سورة النساء آية ١٤ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٩ ،

(٤) سورة المائدة آية ٣٥ .

بعد علمه بالقصاص ، ولكن مع كل الاسف أن الحكومات الاسلامية بعد اطلاعهم على نظام الحكومات الكافرة الاجنبية والهم لا يقتلون القاتل بل يحكمونه بالسجن الا اذا كان المقتول رجلاً عظيماً وكانت السلطة تحاذر من اوليائه ، اخذ المسلمون هذا الحكم من قانون للكافرين ورجحوه على حكم القصاص زعماء منهم ان القصاص وقتل القاتل يقلل من نفوس البشر وهذا خلاف المصاحبة المطلوبة من حفظ النفوس ، كل ذلك تقليداً للأجانب وغفلة عن الآية الشريفة ، واهمالاً لكتاب الله ورفضاً لأحكام الله واساءة لانفسهم وللمجتمع الانساني حتى حدث من القتل واتلاف النفوس ما لا يحصى عدده غير الله .

وقد تقدم في الآية السابقة على هذه الآية من جملة شروط الايمان والبر هو الايمان بالكتاب وان من خالف حكماً من أحكام الكتاب فهو غير مؤمن به فلو انهم عملوا بموجب هذه الآية وجعلوا القانون المتبع هو قتل من يقتل نفساً بلا ذنب لما كانت هذه الكثرة من قتل النفوس البريئة فكل حكومة اسلامية رفضت العمل بالحكم السماوي فقد سببت كثرة القتل وذلك لعدم خوف المجرمين من السجن وأملهم الاكيد بالخروج منه قبل اكمال المدة فيكون الوزر في ازهاق هذه النفوس كلها على صاحب السلطة الذي سن هذا القانون كما قال رسول الله (ص) من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها .

فقد تحصل من الآية ١ - ان القاتل عليه ان يخضع وينقاد ويوطن نفسه على القتل لئلا تبطل حدود الله .

٢ - ان هذا القصاص سبب لحفظ نفوس كثيرة من القتل ، كما كان يفعله اهل الجاهلية من قتل غير القاتل وكذا اولياء القاتل الثاني يقتلون غير قاتله فتكثر القتل بين الفريقين ، ويكون ايضاً سبباً لحفظ كل أحد بهم يقتل

إذا علم انه يقتص منه فيكف عن القتل فيسلم غيره وتسلم نفسه ، وهذا يحتاج إلى فكر وتدبر ومعرفة بالعواقب وكل ذلك موقوف على العقل الكامل كما وجه الله تعالى الخطاب لأهل العقول حيث قال : (ولكم في القصاص حياة يا اولي الألباب) فكل من ترك القصاص في القتل واخذ بغيره فهو ليس بذي لب ولا عقل او معاند لكتاب الله :

قوله تعالى : « فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم فمن اجتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » (١) .
هذه الآية متقدمة في القرآن على الآية التي ذكرناها قبلها ولكن السبب في تقديم تلك في التفسير هو ان نعلم ان جرم القتل عظيم جداً واله مهغوض عند الله غاية البغض ، ولذا جعل عقابه المقابلة بالمثل لئلا يقدم عليه احد ولكنه تعالى لم يحتم على ولي المقتول هذا العمل بل جعل الخيار له اذا تاب القاتل وندم على فعله وسلم نفسه لولي القتل ورجع الى الاخياء مع المسلمين ، وحينئذ اذا شاء ولي القتل ان يعفو عن القاتل ويقبل بالدية فالله يأمره ان يتبع ذلك بالمعروف وهو الصبر على تسلم المال حتى يهيوه القاتل وامر القاتل ايضاً ان يؤديه باحسان اى بلا مطل فاذا رضى ولي القتل بالدية او عفى او صالح فليس له ان يعدل عن هذا القرار ويعود الى ارتكاب القتل ، فاذا عاد فقتل فله عذاب اليم كل ذلك لمهغوضية القتل عند الله فلا يريد وقوعه على وجه الارض من احد من الناس .

قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان تترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين » (٢) : ان الله سبحانه يبحثنا في هذه الآية على ان الانسان اذا تبين له دنو أجله من مرض او

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨ :

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٠ :

كبر او امارة أخرى وكان ذا مال ان يوصي بشيء من المال لأقاربه وأرحامه بأن يدفع لهم بعد موته وقد قيد الله هذه الوصية أن تكون وصية بالمعروف والمقصود منه : -

- ١ - أن لا يكون فيها جور وحييف على الورثة :
- ٢ - أن لا يكون الموصى به شيئاً حقيراً كالوصية لأحد بدرهم .
- ٣ - أن لا تكون الوصية لشخص غني وترك الفقير المحتاج فان هذا غير معروف بل هو منكر ثم قال الله في آخر الآية (حقاً على المتقين) أي من أراد أن يكون من المتقين فعليه أن يتصف بصفاتهم ومن جملتها العمل بهذا الامر وهو الوصية للأقربين ببعض المال بعد وفاته فان هذا أحق على المتقين :

قوله تعالى « فمن بدله بعد ما سمعه فانما أضمه على الذين يبدلونه أن الله سميع عليم (١) » :

هذا وعيد من الله لكل من يبدل أو يغير هذه الوصية التي يوصي بها الميت لأقربائه سواء أكان المبدل قريباً أو بعيداً وارثاً أو غير وارث فيكون ثم التبديل عليه سواء أكان التبديل بإخفاء الوصية أو بعدم الشهادة أو بالشهادة على نوع آخر من الوصية فان الله قد سمع قول الموصي وعلم بتبديل المبدل فليرتدع المبدل عما قصده ولما كان من جملة انواع التبديل نهى الموصي عن الوصية واقناعه في العدول عنها ذكر الله بأن هذا النوع ليس من التبديل المحرم مطلقاً بل يكون في بعض أقسامه مباح ومأجور عليه صاحبه وقد بين ذلك بقوله تعالى : -

(١) سورة البقرة آية : ١٨١ .

« فن خاف من موسى جنفاً أو إثمًا فاصلح بينهم فلا إثم عليه ان
الله غفور رحيم (١) » :

أى إذا كان الموصى قد وقع في الباطل خطأ وهو الجنف أو وقع
فيه عمداً وهو الإثم فإن أوصى بأكثر من الثلث والورثة لا يرضون بذلك
وحيث يقع النزاع والجدال بين الطرفين فيتدخل في الأمر من يريد اصلاحهم
ويكلم الموصي ويقنعه ليعدل عن هذه الوصية فهذا التبديل ليس فيه إثم
بل رخص الله فيه لكونه اصلاحاً :

قوله تعالى: « يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٢) :

نزلت هذه الآية الشريفة لبيان فريضة الصوم باتفاق جميع فرق المسلمين
فن أنكر وجوبه عدّ من الكافرين ، ومن اعترف بالوجوب ولم يعمل به
خرج من جماعة المؤمنين ودخل في زمرة للفاسقين فقد فرضه الله تعالى على
امة خاتم الرسل كما فرضه على من تقدمه من الانبياء وعلى اممهم وقد علمنا
الله باننا إذا أدينا هذه الفريضة بصدق نية واخلاص فسوف يكون عملنا
سبباً للانتفاء عن جميع المحرمات وحيث نؤهل انفسنا للانصاف بالتقوى
وجعلها من زمرة المتقين الذين يحبهم الله وتكون لهم المنزلة الرفيعة لديه
وحيث ان الله عزوجل قد ذكر في القرآن فوائد عديدة للتقوى دنويوة
واخروية فهي التي تنتظم بها امور الدنيا والآخرة وقد ذكرنا بعض فوائدها
في أول آية من سورة البقرة فاعلم ان الله فرض علينا الصوم وجعله من
أقوى الأسباب للحصول على ملكة التقوى فقد ساقنا برحمته الى التقوى
سوقاً عنيفاً بإيجابه فريضة الصوم علينا التي تكون حاجزاً بين النفس وشهواتها

(١) سورة البقرة آية : ١٨٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٣ .

من مأكّل ومشرب ومنكح ، فاذا منعت عما تشتهي يكون فيها شيء من الصفاء والنظافة وتزول عنها الكدورة ، فاذا كان الشخص راغباً بالوصول الى التقوى الموجبة للقرب الى الله الحائزة على حب الله له كان الصوم سبباً كافياً له في ذلك ، إذ أنه يصوم هذه الأيام برغبة وشوق راجياً من وراء ذلك الوصول الى اعلى مرعاة من التقوى ويجعل صومه من القسم الذي اشار اليه النبي (ص) من غض البصر عن كل ما يحرم النظر اليه او يكره وحفظ اللسان عن جميع آفاته ، وكف السمع عن كل ما يحرم عليه او يكره ، وكف سائر الجوارح عن المحارم والمكاهر وان لا يشغل القلب عن ذكر الله تعالى وان لا يتدارك ما فاتته من الأكل نهاراً وقت الافطار او يزيد عليه فان كثرة الأكل والتنوع فيه مما يهيج الشهوة ويقوى رغبتها ويضعف قوتها ويبعث من الشهوات ما كانت راكدة او تركت على عاداتها فينعكس المطلوب ولا ينتفع بصومه :

فاذا كان صومه من القسم الذي وصفه النبي محمد (ص) اوصله الى الغاية المتوخاة وهو الذي يرجو لنفسه ان يكون من المتقين كما أهله الله بقوله : « كتب عليكم للصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وفي هذه الآية انواع من الألفاظ الالهية والتسلية للعباد :

اللفظ الأول : - النداء الموجه اليهم من الله كما قال الامام الصادق عليه السلام لذة النداء ازال تعب العبادة والعناء ، حيث أن في هذا النداء تشريفاً لهم وتفضيلاً على غيرهم مع ان الحكم يعم كل من أقر بالدعوة ظاهراً حتى الضلال والمنافقين :

اللفظ الثاني : - قوله تعالى « كتب بصيغة المحجول فان التكليف وان كان منه والكفاية بأمره ولكن لم يجعله بصيغة المعلوم وما قال الله : الخ ، حيث ان الكتابة اذا كانت بواسطة غيره كانت قابلة للتهديل والتغيير كما

إذا كانت بواسطة القلم مثل « ن والقلم وما يسطرون » فإنها قابلة للتبديل كما في قوله « يحو الله ما يشاء ويثبت » :

٢ - كما إذا كانت بواسطة السقرة التي تنزل بالكتب والصحف كقوله تعالى : « في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة » فإنها قد تبديل كما في قوله : (وإذا هدلنا آية مكان آية) .

٣ - كما إذا كانت الواسطة الحفظة كقوله : (وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين) فإنها قابلة للتبديل كقوله : (فاولئك يهدل الله سيئاتهم حسنات) .

٤ - ان يكون هو الكاتب بلا واسطة كقوله : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) فإنها غير قابلة للتبديل كقوله تعالى : (لا مهذل اكلهاته) وقوله تعالى : (ما يبدل القول لدى) . هكذا عامل الله عباده بالالطف فانه في اغلب الموارد اذا وجه اليهم تكليفاً وكان فيه مشقة يأتي بصيغة المجهول واذا انذرهم بشيء من العذاب يأتي أيضاً بصيغة المجهول اما اذا بشرهم بالرحمة والنعيم اتي بصيغة المعلوم ونسبه الى نفسه ، مثلاً بالنسبة الى شراب أهل النعيم يقول تعالى : (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) وبالنسبة لأهل العذاب يقول تعالى : (وسقوا ماء حميماً فقطع امعاءهم) وكذا قوله : (اما للذين كفروا قطع لهم ثياب من نار) (يُصبُ من فوق رؤوسهم الحميم وهم مقامع من حديد) وقارة ينسب الفعل الذي يعذبهم به الى انفسهم كقوله تعالى : (ثم انكم ايها الضالون المكذبون لا تكونون من شجر من زقوم فالثون منه للبطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شراب الهيم) .
الالطف الثالث : - قوله : (كما كتب على الذين من قبلكم) :

هذه تسليمة من الله للمؤمنين الذين كتب عليهم الصيام حيث ان فيه شيئاً من الجوع والعطش والمشقة فقميد اخبرهم الله ان هذا التكليف ليس

مختصا بهم وانما كان على من قبلكم من الانبياء واممهم من لدن آدم حتى
الخاتم ، فاذا علموا انه تكليف عام هان عليهم وسهل وامثلوه بالشرح
صدر وسرور وطيب نفس ، ثم التشبيه اما ان يكون في اصل الصوم فقط
واما ان يكون في العدد والوقت كما روى ان صوم رمضان كتب على
النصارى فصادف وقوعه في حر أو برد شديد فحولوه الى الربيع وزادوا
عليه عشرين يوماً كفارة لتحويله :

اللفظ الرابع : - قوله تعالى : (لعلكم تتقون) اشار بهذه للكلمة
الى ان الصوم الذى امركم الله به انما يعود نفعه لنفس الصائم اذ يكون
بتركه الأكل والشرب والجماع متشبهاً بالملائكة في عدم فعل شيء من تلك
الأمور ومميزاً نفسه عن سائر الحيوانات في استرسالها باستيفاء لذائذ الجسم ،
فاذا ميز نفسه عن الحيوانات وتشبه بالملائكة فقد اهتأها للارتقاء الى مرعاة
الكمال وللروحانية ، واذا قدر على منع نفسه عن الأشياء المباحة في نهار
رمضان كان اقدر على منعها عن الأشياء المحرمة في غير رمضان فيكون
الصوم سبباً قويا لأتقاء المحرمات فتكون الغاية القصوى من الصوم هي الحصول
على التقوى والحصول عليها تصح جميع الأعمال من الصوم وغيره ، وقد
روى عن النبي (ص) انه قال (الصوم جنة من النار) وانما يكون جنة
من النار لأن الصائم يترك المحرمات فيصل بتركه الى التقوى فاذا صار من
المتقين يكون من اهل الجنة وحرمت عليه النار :

اللفظ الخامس : - قوله تعالى : (ايام معدودات) اذا سمع المكلف
الجملة الاولى من الآية الشريفة وهي قوله : (كتب عليكم الصيام) قد
يتهدر الى ذهنه وجوب الصيام مدة العمر وحتى المات فيثقل عليه الأمر
وينفر من هذا التكليف الشاق وقد ينفث في روعه الشيطان انك لا تقدر
على امثال هذا التكليف فيجزم بالعصيان من أول الامر ولذا من لطف الله

تعالى على عباده أعلمهم ان هذا الصوم انما هو ايام معدودة اي محصورة قليلة فتبين للمكلف بهذه الكلمة ان التكليف خفيف يسير لا مشقة فيه ولا ثقل :

اللاطف السادس : - قوله تعالى : (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام اخر) (١) حيث ان الله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر وان كان للصيام يعسر او يتعذر على المريض ويشق ويصعب على المسافر امرهم بالافطار في حالة المرض والسفر مع حفظ مدة الايام التي يفطرون بها ليقضوها بعد ذلك وهذا تخفيف من الله ولطف بعباده ليسهل عليهم اداء هذا الواجب العظيم الموصل الى التقوى :

اللاطف السابع : - قوله تعالى : (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام

مسكين) :

لما كان بعض المكلفين يؤثر بهم للصوم اثرأ شاقا كالشيخ الهرم والشيخة وكالحامل المقرب والمرضع بحيث يبذلون غاية طاقتهم في الصوم لطف الله بهم وخيرهم بين الصوم وبين الفدية وهي اطعام مسكين في كل يوم ثم قال تعالى : (فمن تطوع خيرا فهو خير له) اي من زاد على الفدية تطوعا منه لا فرضا عليه فهذا التطوع خير له .

ثم قال : (وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) لما خير الله بعض الناس بين الصوم والفدية أعلمهم ان تحمل المشقة الشديدة في الصوم هو خير لهم من الفدية حتى لو ضم معها التطوع بالخير فانكم لو كنتم من اهل العلم وتوصلتم بسببه الى ما في الصيام من فضائل ومنافع لا اخترتم الصيام على الفدية وان تحامتم المشاق فقد تبين من هذه الجملة ان الصوم وان كان فيه مشقة وجوع شديد وعطش شديد وموجب للضعف المتناهي فهو خير

(١) سورة البقرة آية ١٨٤ :

من الفدية لمن تكفي الفدية في حقه ما لم يصل الى حد المرض فانه لا يجوز له الصوم ، لان الله امرنا بصريح القول بان المريض والمسافر يلزمه ان يفطر وان يحفظ الايام التي مرض او سافر فيها ويصوم بمقدار ذلك العدد بعد شهر رمضان وقد ثبت وجوب الافطار من قوله تعالى : (فعدة من ايام اخر) حيث حتم علينا والزمننا بصيام ايام عدتها مطابقة لعدة ايام المرض او السفر وهذا الالتزام انما هو للزوم الافطار فلا معنى للقول بان الافطار رخصة لا عزيمة بتقدير كلمة فافطر فيكون للتقدير (فمن كان مريضا او على سفر) فافطر (فعدة من ايام اخر) فما الداعي الى تقدير هذه الكلمة مع وضوح الامر وصراحة العبارة وعدم الاضطرار الى تقدير وقد اختار جماعة من اصحاب النبي (ص) وجوب الافطار في السفر وهو المروي عن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) واختار عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وعبد الله بن العباس وعبد الرحمن بن عوف وايو هريرة وعروة بن الزبير ، ويروى ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام في السفر ان يعيد صومه وروى عن يوسف بن حكيم قال سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال رأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك الا تفضب ؟ فانها صدقة من الله تصدق بها عليكم ، وروى عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله (ص) للصائم في السفر كالمفطر في الحضر : وروى عن ابن عباس انه قال : الافطار في السفر عزيمة . وروى عن الامام الصادق (ع) انه قال : الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر ، وعنه (ع) قال لو ان رجلا مات صائما في سفر لما صليت عليه . ويناسب هنا بعض ماورد من الاخبار في ثواب الصوم ليتضح للقاريء معنى الآية الشريفة : -

« وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » (١) منها قول النبي (ص)

(١) سورة البقرة آية ١٨٤ .

للصوم جنة من النار ، وعنه (ص) قال الله : الصوم لي والا اجزى به ،
 وعنه (ص) ان في الجنة بابا يقال لها الريان لا يدخل منها الا الصائمون
 فاذا دخل آخروهم اغلق ذلك الباب . وفي الحديث القدسي ياموسى لخلوفا
 فم للصائم اطيب عندي من ريح المسك . وعن النبي (ص) قال لأصحابه
 ألا اخبركم بشيء ان أنتم فعلتموه تعاهد الشيطان منكم كما تعاهد المشرق من
 المغرب قالوا بلى قال : الصوم يسود وجهه والصدقة تكسر ظهره والحب
 في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابره والاستغفار يقطع وتينه ،
 ولكل شيء زكاة وزكاة الاهدان للصيام ، وروى عن الصادق (ع) قال : من
 صام يوماً في الحر فاصاب ظمأ وكل الله الف ملك يمسخون وجهه ويبشرونه
 حتى اذا افطر قال الله عزوجل ما اطيب ريحك وروحك ياملأ ثقتي اشهدوا
 اني قد غفرت له . وقال النبي (ص) نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح ،
 وغيرها كثير : وروى عن الامام الثاني الحسن بن علي بن ابي طالب (ع)
 قال جاء نفر من اليهود الى رسول الله (ص) فسأله اعلمهم عن مسائل
 فكان فيما سأله ان قال له لأي شيء فرض الله الصوم على امتك بالنهار
 ثلاثين يوماً وفرض على الامم أكثر من ذلك ؟ فقال النبي (ص) ان آدم
 عليه السلام لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على
 ذريته الجوع والعطش والذي يأكلونه بالليل تفضل من الله عزوجل عليهم
 وكذلك كان على آدم ففرض الله ذلك على امتي ثم تلا هذه الآية (كتب
 عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون : ايام معدودات) (١)
 قال اليهودى صدقت يا محمد فما جزاء من صامها ؟ فقال النبي (ص) ما من
 مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً الا اوجب الله عزوجل له سبع خصال : -
 اولها : - يذوب الحرام في جسده .

(١) سورة البقرة آية ١٨٣ .

- والثانية : - لا يبعد من رحمة الله تعالى :
- والثالثة : - يكون قد كفر خطيئة ابيه آدم .
- والرابعة : - بهون الله عليه سكرات الموت :
- والخامسة : - امان من الجوع والعطش يوم القيامة :
- والسادسة : - يعطيه الله براءة من النار :
- والسابعة : - يطعمه الله من طيبات الجنة .
- قال اليهودى صدقت يا محمد :

اللطيف الثامن . - قوله تعالى في آخر الآيات : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (١) خاطب الله عباده المؤمنين في هذه الجملة واعلمهم بان كل تكليف يعسر عليكم الاثيان به فانه يعذرکم فيه انه يريد بكم اليسر ولا يكلفكم بالعسير من الافعال :

وبعد هذا فانظر وتأمل ايها المؤمن العاقل وفكر جيداً فان الله كلفك بتكليف واحد تعود مصاحته عليك ويرجع نفعه اليك فقدم لك من ألطافه وعناياته ثمانية امور جعلها كالاغذار منك حيث ان التكليف فيه ادنى مشقة وانت في كل يوم تعصيه عشرات المرات او اكثر فلا تقدم له عذراً واحداً ، هذا مايتعلق بوجوب الصوم حيث انه من صفات المؤمنين ويدخل في موضوع بحثنا وأما بقية الآيات المتعلقة بالصوم فانها تذكر في كتب الفقه نعم ينبغي ذكر آية واحدة مذكورة في ضمن آيات الصوم فانها تتعلق بهرضنا وهي قوله تعالى :

« واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » (٢) : لقد كثرت كلمات

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ :

(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .

المفسرين حول هذه الآية من جهات عديدة فمرة يبحثون عن المسؤول عنه هل هو ذاته تعالى ؟ او افعاله او صفاته وقد ذكر كل واحد ما يوافق رأيه وعقيدته او ان المسؤول عنه هو كيفية الطلب منه كما روى انها نزلت حين سألوا النبي (ص) اقرب ربنا فتناجيه ام يعيد فتناديه وتارة يبحثون عن معنى القريب وان القرب في المكان محال في حقه تعالى ومجمل القول ان قوله تعالى : (فاني قريب) يصلح ان يكون جوابا على كل تقدير سواء كان المسؤول عنه ذاته او افعاله او صفاته او كيفية السؤال منه ، ومعنى القرب احاطته بالاشياء علما وقدرة وتارة اخرى يقع الكلام في عدم الاجابة من الله حيث لم يحصل المطلوب وهنا كل منهم يفسر الآية بما يتخلص به عن خلف الوعد حيث انه قال (أُجيب دعوة الداع اذا دعان) (١) ونرى كثيرا من الدعوات لا تجاب وقد تكلموا في جهات اخرى غير هذه الجهات وينبغي ان نعرف اولا مقدار العبودية التي يعرفها العبد للداعي ويشتهها لخالفه هل ان هذا الداعي يستحق الاجابة وهل يشمل قوله : (اجيب دعوة الداع) او انه يعيد عن العبودية وعن الدعاء المطلوبين لله عز وجل ومن المعلوم ان اطلاق لفظ العبد على معناه الحقيقي انما يتحقق بالاجساد وهذا لا يكون الا لله تعالى قال جلّت عظمته : (ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا) (٢) . قال الامام علي بن الحسين (ع) في بعض دعواته (يا من حاز كل شيء ملكوتا وقهر كل شيء جبروتا . الخ) وهذا المعنى من العبودية متحقق بالقهر على جميع العباد ولكن الناس يختلفون فيما يتصفون به من العبودية وما يفهمونه من معناها فهم في ذلك على طبقات كثيرة وقد ذكر للفرق بينهم في الكتاب والأخبار الواردة عن اهل البيت

(١) سورة الهقرة آية ١٨٦ :

(٢) سورة مريم آية ٩٤ .

عليهم السلام فمنهم من يكون في اكمل المراتب وهم الذين يتس منهم ابليس ولم يطمع في اغوائهم كما حكى الله ذلك في قوله : (وعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) (١) ومنهم من وصفهم الله بقوله : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) (٢) والذي يظهر من الآيات ان الله في مقام تفضيل العبد وتكريمه بوجه الخطاب اليه بلا واسطة ويضيفه الى نفسه مثل قوله : (واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه . . الخ) (واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولى الابدى (٣) والابصار) وروى عن الامام الباقر (ع) قال ان لله عبداً ميامين مياسير يعيشون ويعيش الناس في اكتافهم وهم في عباده مثل القطر ويظهر هذا المعنى جلياً في قوله تعالى : (يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) (٤) فانه قدم دخولها في عباده على دخولها الجنة ثم ان صاحب هذه الرتبة اي الكامل في العبودية يلزمه ان يكون كاملاً في العلم والا فكثرة للعباد بلا علم وفقه ليس فيها فائدة .

وهو ما اشار اليه امير المؤمنين علي (ع) بقوله : المتعبد على غير فقه كحجار الطاحونة يدور ولا يبرح وركعتان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل لان العالم تأتبه الفتنة فيخرج منها بعلمه وتأني الجاهل فتتسفه نسفاً وقليل العمل مع كثير العلم خير من كثير العمل مع قليل العلم والشك والشبهة :

(١) سورة الحجر آية ٤٠ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٣ .

(٣) سورة النور آية ٣٢ .

(٤) سورة الفجر آية ٢٩ .

فالذي يتعبد على غير علم يكون كالعاهد الذي تمنى الجمار لربه ويلزم
كمال العبودية الكمال في العقل ايضا وإلا إذا لم يكن كامل العقل ولا يعرف
ما يطلب ومتى يطلب يكون حاله كحال الرجل الذي وعده الله بواسطة
موسى بن عمران (ع) ان يقضي له ثلاث حوائج فضيعها في مطالب تافهة
ولم يحصل منها على فائدة ، فاذا كان الشخص بهذه الصفة من العبودية
والعلم والعقل فهو الذي ينطبق عليه قول الامام الصادق (ع) اذا دعوت
فظن حاجتك بالباب وهو المصداق الحقيقي لقوله تعالى : (فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي) (١) فان مثل هؤلاء القوم لا يدعون بشيء الا وهم مستجمعون
لجميع الشروط المعتمدة في الدعاء من طيب المأكل والمشرب والملبس وتقديم
التوبة بعد الاعتراف بالذنب وتقديم الثناء على الله والصلاة على النبي وآله
وغيرها من الشروط الواردة في الأخبار عن أهل بيت العصمة (عليهم
السلام) وهم الموفون بعهد الله الذي جعله الله شرطاً للوفاء لهم بقوله :
(اوفوا بعهدي اوف بعهدكم) فهذه الطبقة من الناس تكون اجابة الله لهم
مقرونة بدعائهم كما هو مذكور في الأخبار والآثار والسير وتراجم الرجال ،
ثم بعد هذه الطبقة يكون الناس على موجب منزلتهم من العبودية فمنهم من
هو فاقد لبعض الشروط ومنهم الفاقد لمعظم الشروط ، ومنهم الفاقد للجميع ،
ومنهم من لا يعرف من العبودية شيئاً ابداً يقول الامام الباقر (ع) في كلام
تقدم بعضه (والله عباد ملاعين مناكيد لا يعيشون ولا يعيش الناس في
اكنافهم وهم في عباده بمنزلة الجراد لا يقعون على شيء الا اتوا عليه)
وبعد هذا يتضح ان العبودية القهرية المسببة عن الإيجاد والخلق هي عامة
لجميع المخلوقات فانهم عباد مقهرون سواء ارضوا بها ام لم يرضوا وأما
العبودية الاختيارية التي تكون باعتراف العهد وتتحقق بتعبده فهي أصناف

(١) سورة البقرة آية ١٨٦ .

كثيرة لا تعد ولا تحصى وهي بجميع اصنافها واقسامها ناقصة غير كاملة
فاذا دققنا النظر في قوله تعالى : (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان) (١) نراه منطبقاً على أهل المرتبة العليا التي ذكرت
فهم أحد مصاديقها اما غيرهم ممن عبوديتهم ناقصة اذا امثلوا امر الله
واطاعوا قوله (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي) بلحقق باستجابتهم وايمانهم
بأهل تلك المرتبة ويكونوا عباداً مخلصين بلا قيد او شرط فيشملهم قوله
تعالى : (اجيب دعوة الداع) ولعل اكثر الداعين من قبيل من ذكره
الله في قوله : (واذا من الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً
فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضره منه كذلك زين للمسرفين
ما كانوا يعملون) . (٢) او من قبيل من ذكره في قوله تعالى : (دعوا الله
مخلصين له الدين لئن انجبتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا
هم يهفون في الارض بهيم الحق) (٣) :

قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » (٤) .

لقد اختلف المفسرون تارة في معنى السلم الذي أمر الله المؤمنين بالدخول
فيه واخرى في قوله (كافة) هل انها حال من الضمير العائد للمؤمنين
أو أنها حال من السلم ولا ريب في ظهور كون الخطاب للمؤمنين الخائزين
لشروط الايمان من فعل للواجبات وترك المحرمات وان هذا الشرط هو شرط
لذلك الشروط المعتمدة في المؤمن وان المؤمن مهما فعل من العبادة والطاعة

(١) سورة البقرة آية ١٨٦ :

(٢) سورة يونس آية ١٢ :

(٣) سورة يونس آية ٢٢ :

(٤) سورة البقرة آية ٢٠٧ :

وهذل المال ولزهد في الدنيا فانه ان خالف هذا الامر ولم يدخل في السلم
فاله زال عن طريق الايمان متبع للشيطان مستحق للعقاب من الله كما يظهر
ذلك من الآية التي بعدها فينبغي :

١ - ان نعرف معنى السلم حتى ندخل فيه ويعرف المتخلف نفسه
انه متبع لخطوات الشيطان فنقول ان السلم في اللغة هو ضد الحرب ، وحيث
انه لم يكن بين المؤمن حرب حين زول الآية يكون المقصود منه المداومة
على ما هم فيه والملائمة والانقياد والطاعة في كل وقت وفي كل امر وعدم
احداث ما يوجب الحرب فالمطلوب من المؤمنين بعد استجماعهم لجميع شروط
الايمان هو الطاعة والانقياد في كل امر وفي كل حين ، وهذا موقف
على امور .

الأول : - وجود شخص معين من قبل الله او الرسول حتى تكون
الطاعة له والانقياد اليه هو المحقق للدخول في السلم ولا ريب في كونه هو
النبي (ص) ايام وجوده في الدنيا فن اطاع النبي في كل اوامره فقد دخل
في السلم حال وجوده وبعد ارتحاله فانه (ص) قد بين لهم ودلهم على من
يلزمهم طاعته والانقياد اليه بعده لقوله مامن شيء يقربكم الى الله او الى
الجنة الا وقد امرتكم به وما من شيء يباعدكم عن الله او عن الجنة ويقربكم
الى النار الا وقد نهيتكم عنه وهذا صريح جلي لانه (ص) قد دانا على من
تلمنا اطاعته والانقياد اليه من بعده فان رسول الله (ص) تركنا متبهين
لخطوات الشيطان وحاشا لبي الله ان يترك امته على هذه الحالة حاشا لبي
الرحمة ان يبهم علينا الامر الذي اراده الله منا وامرنا به فتكون امته كلها
متبعة لخطوات الشيطان الا بعض من كان في زمان حياته حاشا خاتم النبيين
وسيدهم ان يترك اهم الامور الذي به يتحقق الايمان فلم يوضحه لامته
فتكون الامة كلها كافرة بمقتضى هذه الآية وهل بجرأ احد ان يقول ان

النبي ترك امته سدى في امر يرجعون بتركه واهماله كفاراً ولا يقول هذا الا من يظهر الاسلام ويبطن الكفر ويريد ان يرجع المسلمون كلهم الى الكفر الامر الثاني : - يلزم ان يكون هذا الشخص الذي امرنا الله بطاعته والانقياد اليه عالماً بكل حكم من الاحكام التي يرضى بها الله وهي الاحكام الواقعية سواء اكانت دنيوية أو اخروية وان لا يكون في الناس من هو اعلم منه ولو في مسألة واحدة وهذا يعلم من جعل الله آدم خليفة في الارض حيث علمه الاسماء كلها فلا يحتاج في شيء من الامور الى الرجوع لغيره وهذا الامر ثابت بالنسبة الى النبي (ص) لا نزاع فيه لأحد وكذا يلزم فيمن يقوم مقامه من بعده لانه لو لم يكن كذلك لاحتاج الى غيره ولا يحصل الغرض منه بدون ذلك حتى يكون جميع المؤمنين ملزمين بحب هذه الاية بالطاعة له والانقياد اليه كما كانوا ملزمين بالطاعة للنبي (ص) وان الذي يترك الانقياد له وينقاد لغيره فهو ممن اتبع خطوات الشيطان وان لم يتحقق وجود مثل هذا الشخص فلا يمكن امتثال الامر الموجه اليه وهو الدخول في السلم والا فمن الذي يقودنا ويكون حكماً في تمييز الحق من الباطل لقطع الخصومات :

الامر الثالث : - ان الذي يقوم مقام النبي (ص) من بعده ويلزم المسلمون بالانقياد اليه والطاعة له يلزم ان يكون معصوما كالعصمة التي نعتبرها في النبي وكل شيء بدل على اعتبار العصمة في النبي يجري في من يقوم مقامه والمراد من العصمة استحالة صدور الخطأ والنسيان والسهو والكذب أو أي ذنب عليه في كل مقام ومقال والغاية من لزوم العصمة هي حصول اليقين بان ما يأتي به هو من عند الله ورسوله والا فيتطرق للشك في كل ما يخبر به وهذا خلاف الغاية المقصودة من بعثة النبي ونصب الامام .
وأما قوله تعالى : (كافة) فقد اختار اكثر المفسرين انها حال من

السلم لا من الضمير في (ادخلوا) فيكون المعنى امر من الله تعالى لكل
 من آمن بالله ورسوله بالدخول في السلم أي في جميع شرائع الاسلام واحكامه
 التي بينها لهم النبي (ص) ليعملوا بها في حياته وبعد وفاته اي اهلغوا في
 الاسلام الى حيث تنتهي شرائعه فتكفوا عن التعداد ولا تقولوا ان النبي(ص)
 ترك بعض اركان الدين ولم ينبه عليه امته فان هذا الامر لا يليق ان
 ينسب للنبي مع ان الله يقول : (اليوم اكملت لكم دينكم واعممت عليكم
 نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) (١) فاذا اتفقت امة محمد (ص) بان
 الله اكمل لهم الدين وان النبي بين الدين الكامل لهم بجميع اصوله وفروعه
 ثم يأمرنا الله بالدخول في السلم اي بالطاعة والانقياد للقائد العام ونسلم كلنا
 ان للقائد هو النبي ايام حياته فمن يكون قائداً بعد وفاته حتى ندخل في
 طاعته وننقاد اليه ولا يمكن القول بان النبي اهمل هذا الامر المسبب لاختلاف
 امته هذا الاختلاف الواسع بحيث صارت الامة فرقة واحزابا وان اغلب هذه
 الفرق قد ضلت عن الطريق وانقلبت على الاعقاب كما هو صريح الآية .
 ولكن بعد التحقيق والتدقيق والفحص عن اقوال النبي (ص) نرى
 انه صلى الله عليه وآله وسلم قد أرشدنا ودلنا على القائد بقوله المتكرر منه في
 مقامات عديدة (اني تارك فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل
 بيتي) وقد كرر هذا الحديث بعبارات مختلفة ولكن المعنى واحد حتى
 سمعه منه جميع اصحابه .

وانما اشرك العترة مع الكتاب في حال كون الكتاب هو المشتمل على
 جميع الاحكام وذلك لأن للناس لا يمكنهم تحصيل جميع احكامهم من الكتاب
 فلا بد لهم من مفسر ومؤول للكتاب عارف بجميع احكامه وقد دلت الأحاديث
 الصحيحة ان النبي قد علم عليا جميع احكام الآيات وهو سيد العترة

(١) سورة المائدة آية ٤ .

فاشركه مع الكتاب ليكون مفسراً له ويكفي دليلاً على معرفة علي بالأحكام
قوله (ص) : (الا مدينة العلم وعلي بابها) وللتأكيد لذكر لكم الخبر
الآخر المسلم لدى جميع الأصحاب قول علي (ع) : (علمني رسول الله (ص)
الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب) ويعد ملاحظة ما
ذكرنا والتأمل فيه يقرأ المؤمن الآية الشريفة ويقضح له معناها : (يا ايها
الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) (١) :

ثم ان الذين كتبوا في تفسير القرآن على كثرتهم أما من جماعة الامامية
الذين يعتقدون بان النبي نص على الخلفاء الذين يكولون بعده باسمائهم
الصريحة وأما من اخوالهم أهل السنة :

أما للفرقة الامامية فيقولون بأن الذي يجب الدخول في طاعته والالتقياد
له هو الخليفة الذي عينه النبي (ص) وهو علي بن ابي طالب (ع) :

وأما المفسرون من أهل السنة فلم يذكر هذا الركن في تفسير الآية
وان كان ذكرهم لخبر الثقلين يلزمهم بالاتفاق مع الامامية ، ولكن في
تفسير الآية لم يذكروا شيئاً ومن جملة المفسرين في عصرنا الحاضر سيد
قطب فانه لم يذكر شيئاً في ظلال القرآن فانه تكلم في هذه الآية وما يتعلق
بها من الآيات التي قبلها وبعدها نحو من سبع وعشرين صحيفة ذكر فيها
الواجبات والمندوبات وذكر محاسن الشريعة الاسلامية وروغ الناس بالتمسك
بها ، ثم ذكر صفات المؤمن الخالص الايمان وذكر صفات المنافق الخادع
ثم قال في ص (١٣٤) من الجزء الثاني بعد ذكر الآيات ما هذا نصه :
(وهي دعوة توجه في كل حين للذين آمنوا ليخلصوا ويتجردوا وتوافق
خطرات نفوسهم وأجاءات مشاعرهم مع ما يريد الله بهم وما يقودهم اليه

(١) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

ليهم ودينهم في غير ما تلجج ولا تردد ولا تلفت القهى :
فلم يذكر من الذي بقودهم بعد النبي (ص) تفسير المراغى ج ٢
ص ١١٣ كلام المراغى :

(يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تهفوا خطوات الشيطان
اله لكم عدو مبين ٢٥٨ فان زلتم من بعد ماجائتكم البينات فاعلموا ان
الله عزيز حكيم ٢٥٩ هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة وقضى الأمر والى الله ترجع الأمور ٢١٠) :

تفسير المفردات

أصل السلم : التسليم والانقياد فيطلق على الصلح والسلام وعلى دين
الاسلام : والخطوات واحدا خطوة بالضم ما بين قدمي من يخطو : والزلال
في الأصل عثرة للقدم . ثم استعمل في الانحراف عن الحق : والبيئات ،
الحجج والأدلة التي يرشد الى ان مادعيتهم اليه هو الحق عقلية كانت أو
نقلية : والعزير : الغالب الذي لا يعجزه الانتقام . والحكيم . الذي يعاقب
المسيء ويكافئ المحسن : ينظرون أي ينتظرون : يأتيهم الله : أي يأتيهم
عذابه . والظلل واحدا ظلة بالضم وهي ما ظلك : والغمام . السحاب
الأبيض الرقيق وقضى الأمر : أي اتم امر اهلاكهم وفرغ منه :

المعنى الجملي

بعد أن بين سبحانه فيما سلف من الآيات ان للناس في الصلح والفساد
فريقان فريق يسمى في الارض بالفساد وبهلك الحرث والنسل وفريق يبغى
بعمله رضوان الله وطاعته - ارشدنا الى ان شأن المؤمنين الاتفاق والاتحاد
لا للتفريق والانقسام :

الايضاح

(يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة) كافة أي في أحكامه كلها

التي اساسها الامتسلام والخضوع لله والاختلاص له ومن اصوله الوفاق والمسالمة بين الناس وترك الحروب بين المهتمدين بهديه والامر بالدخول فيه : أمر بالثبات والدوام كقوله تعالى : (يا ايها النبي اتق الله) .

المعنى - يا ايها الذين آمنوا بالألسنة والقلوب دوموا على الاسلام فيما تستأنفون من ايامكم ولا تخرجوا عن شيء من شرائعه بل خذوا الاسلام بجملمته وتفهموا المراد منه بان تنظروا في كل مسألة الى النصوص القولية والسنة المتبعة فيها وتعملوا بذلك . لا ان يأخذ كل واحد بكلمة وسنة يجعلها حجة على الآخر . وان أدى الى ترك ما يخالفها من النصوص والسنة وهذا يرتفع الشقاق والتنازع ويعتصم المسلمون بحبل الوحدة الاسلامية التي امرنا الله باتباعها في قوله :

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ولهاذا عن ضدها في قوله :
(ولا تنازعوا فتفشلوا) وقوله صلى الله عليه وآله : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم اعناق بعض) :

ولكن المسلمين قد خالفوا هذا ففرقوا وتنازعوا وشاق بعضهم بعضاً واتخذوا مذاهب متفرقة كل فريق يتعصب لمذهب ويعادي مائر اخوانه المسلمين زعماً منه انه ينصر الدين وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين فهذا سني يقاتل شيعياً وهذا شافعي يفرى للتار بالحنفية وهؤلاء مقلدة الخلف يحادون من اتبع طريق للسلف :

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اى لا تتبعوا سبيله في التفرق في الدين او في الخلاف والتنازع اذ هي سبيله التي يزبنها للناس ويسول لهم فيها المنافع والمصالح فقد كانت اليهود امة واحدة مجمعة على كتاب واحد فوسوس لهم الشيطان ففرقوا وجعلوا لهم مذاهب وشيعا و اضافوا الى الكتاب ما اضافوا وحرّفوا من حكمه ما حرّفوا فسلط الله عليهم اعدائهم فمزقوهم

كل ممزق وهكذا فعل غيرهم من أهل الأديان كأنهم رأوا دينهم ناقصا
فكملوه وقليلًا فكثروه فثقل عليهم بذلك فوضعوه فذهب الله بوحدهم ولم
تغن عنهم كثرتهم إذ سلط عليهم الأعداء وانزل بهم البلاء :

ثم ذكر السبب في النهي عن اتباع خطوات الشيطان فقال :
(انه لكم عدو مبين) اي انه ظاهر العداوة لكم فان جميع ما يدعو
اليه ظاهر البطلان بين الضرر لمن تأمل فيه وتفكر ومن لم يدرك ذلك في مبدأ
الخطوات ادركه في الغايات حين يذوق مرارة العقاب فلا عذر لمن هوى
على ضلالاته بعد تذكير الله وهداية عهاده الى سبيل الخير وتحذيره اياهم عن
سلوك طرق الشر :

ثم توعدهم اذا هم حادوا عن النهج السوي والطريق المستقيم فقال .
(فان زلتم من بعد ما جائتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم) (١)
اي فان حدثتم عن صراط الله وهو السلم وسرتم في طريق الشيطان وهي
الخلاف والافراق بعد ان بين لكم عداوته ونهاكم عن اتباع طرقه وخطواته
فاعلموا ان الله يأخذكم عزيز مقتدر فهو عزيز لا يغلب على أمره حكيم
لا يهمل شأن خلقه وحكمته قد وضع الملك للسنن في الخليقة فجعل لكل
ذنب عقوبة وجعل العقوبة على ذنوب الامم ضربة لازب في الدنيا ولم
يؤخرها حتى تحل بها في الحياة الاخرى :

ولا تقوم الامم قائمة الا اذا قامت العدل بين أفرادها وكانتصالحة
لعمارة الأرض كما قال تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان
الأرض يرثها عبادي الصالحون) (٢) وهكذا الأفراد اذا لم ينهجوا للنهج
السوي ويتمحلوا بفاضل الأخلاق فلن يوفقوا في دنياهم ولا في اخراتهم ثم

(١) سورة البقرة آية ٢٠٩ .

(٢) سورة الانبياء آية ١٠٥ .

زاد في التهديد والوعيد فقال :

(هل ينظرون إلا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (١)
أى ها هي ذى قد قامت الحجج ودلت البراهين على صدق محمد (ص)
فهل ينتظر المكذبون إلا ان يأتيهم الله بما وعدهم به من الساعة والعذاب في
ظلل من الغمام عند خراب العالم وقيام الساعة وتأتي الملائكة وتنفذ ما قضاه
الله يومئذ والحكمة في نزول العذاب في الغمام انزاله فجأة من غير تمهيد
ينذر به ولا توطئة توطن للنفوس على احتماله ، الى ان الغمام مظنة للرحمة
فاذا نزل منه العذاب كان افظع وأشد هولاً والخوف اذا جاء من موضع
الأمن كان خطبه اعظم :

ونحو الآية قوله : (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً) (٢)
وفي الآية عبرة للمؤمن ترغبه في المبادرة الى التوبة لئلا يفاجئه وعد الله وهو
غافل فاذا لم يفاجئه قيام الساعة للعامة وهلاك هذا العالم كله فاجئه قيام
قيامته بموته بهتة فان لم يمتهن بهتة جاءه المرض بهتة فلا يقدر على العمل
وتدارك الزلل .

(وقضي الأمر) أى كيف ينتظرون غير ذلك وهو أمر قضاه الله
وابرمه فلا مفر منه وحينئذ يثاب اللطائف ويعاقب العاصي ثم بالغ في التهديد
والزجر قال :

(والى الله ترجع الامور) فيضع كل شئ في موضعه الذى قضاه
فهو الأول ومنه بدأت الخلائق وهو الآخر واليه ترجع الامور وتصير فعلى
من زل عن الصراط السوي واتبع خطوات الشيطان ان يبادر بالتوبة ويرجع
الى الحق قبل ان يحيق به زلله ويجازى على عمله : انتهى

(١) سورة البقرة آية ٢١٠ :

(٢) سورة الفرقان ٢٥ :

(كل امرء بما كسب رهين) :

رسل بني اسرائيل : (كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل لعنة الله
من يهد ماجائته فان الله شديد العقاب) (١) :

تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٤٧ كلام ابن كثير :

(يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين فان زلتم من بعد ماجائتكم البيئات فاعلموا ان الله عزيز
حكيم) (٢) :

يقول الله تعالى آمرا عهاده المؤمنين به المصدقين برسوله ان يأخذوا
بجميع عرى الاسلام وشرائعه والعمل بجميع اوامره وترك جميع زواجره
ما استطاعوا من ذلك : قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وطاوس والضحاك
وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد في قوله (ادخلوا في السلم) يعني الاسلام
وقال الضحاك عن ابن عباس وابو العالية والربيع بن انس (ادخلوا في
السلم) يعني للطاعة وقال قتادة ايضا الموادة وقوله (كافة) قال ابن عباس
ومجاهد وابو العالية وعكرمة والربيع بن انس والسدي ومقاتل بن حيان
وقتادة والضحاك جميعا : وقال مجاهد اي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر
وزعم عكرمة انها نزلت في نفر ممن اسلم من اليهود وغيرهم كعبد
الله بن سلام وامد بن عبيد وثعلبة وطائفة استأذنوا رسول الله (ص) في
ان يسبوا وان يقوموا بالتوراة ليلا فامرهم الله باقامة شعائر الاسلام والاشتغال
بها عما عداها وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر اذا يبعدان يستأذن
في اقامة السبت وهو مع تمام ايمانه يتحقق نسخته ورفعته وبطلانه والتعويض
عنه باعفاء الاسلام ومن المفسرين من يحمل قوله (كافة) حالا من الداخلين

(١) سورة البقرة ٢١١ :

(٢) سورة البقرة ٢٠٩ :

أي ادخلوا في الاسلام كلكم والصحيح الأول وهو انهم ان
 يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام وهي كثيرة جداً ما استطاعوا
 منها كما قال ابن ابي حاتم اخبرنا علي بن الحسين اخبرنا احمد بن الصباح
 اخبرني الهيثم بن يمان حدثنا اسمعول ابن زكريا حدثني محمد بن عون عن
 عكرمة عن ابن عباس (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) كذا
 قرأها بالنصب يعني مؤمنى أهل الكتاب فانهم كانوا مع الايمان بالله مستمسكين
 ببعض امور التوراة والشرائع التي انزلت فيهم فقال الله : (ادخلوا في
 السلم كافة) يقول ادخلوا في شرائع دين محمد (ص) ولا تدعوا منها شيئاً
 وحسبكم الايمان بالتوراة وما فيها : وقوله : (ولا تتبعوا خطوات الشيطان)
 أي إعملوا بالطاعات واجتنبوا ما يأمركم به الشيطان : ف (انما يأمركم بالسوء
 واللفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) و (انما يدعو حظه ليكولوا
 من اصحاب السعير) ولهذا قال (انه لكم عدو مبين) وقال مطرف ، اغش
 عباد الله لعبيد الله الشيطان وقوله : (فان زلتم من بعد ماجائتكم البينات)
 أي عدائكم عن الحق بعد ما قامت عليكم الحجج فاعلموا ان الله عزيز اي
 في انتقامه لا يفوته هارب ولا يغلبه غالب حكيم في احكامه ونقضه وابعاده
 ولهذا قال ابو العالية وقتادة والربيع بن انس عزيز في نعمته حكيم في امره
 وقال محمد بن اسحق : العزيز في نصره ممن كفر به اذا شاء الحكيم في عذره
 وحجته الى عباده : انتهى

الميزان في تفسير القرآن ج ٢ ص ١٠٣ كلام العلامة للطباطبائي .

(يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
 انه لكم عدو مبين) (٢٠٨) فان زلتم من بعد ماجائتكم البينات فاعلموا ان
 الله عزيز حكيم (٢٠٩) هل ينظرون الا ان يألبهم الله في ظلل من الغمام
 والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الامور (٢١٠) :

بيان

هذه الآيات وهي قوله . : يا ايها الذين آمنوا إلى قوله : : الا ان نصر الله قريب الآية : سيع آيات كاملة تبين طريق التحفظ على الوحدة الدينية في الجامعة الانسانية وهو للدخول في السلم والقصر على ما ذكره الله من القول وما أراه من طريق العمل وانه لم تنقسم وحدة الدين ولا ارتحلت سعادة الدارين ولا حلت الهلكة دار قوم إلا بالخروج عن السلم وللتصرف في آيات الله تعالى بتغييرها ووضعها في غير موضعها شوهده ذلك في بني اسرائيل وغيرهم من الامم الغابرة وسيجري نظيرها في هذه الامة اكن الله يعدمهم بالنصر (الا ان نصر الله قريب) :

قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) السلم والاسلام والتسليم واحدة وكافة كلمة تأكيد بمعنى جميعاً ولما كان الخطاب للمؤمنين وقد امروا بالدخول في السلم كافة - فهو امر متعلق بالمجموع وبكل واحد من اجزائه فيجب ذلك على كل مؤمن ويجب على الجميع ايضاً ان لا يختلفوا في ذلك ويسلموا الأمر لله وارسوله (ص) وأيضاً الخطاب للمؤمنين خاصة فالسلم المدعو اليه هو التسليم لله سبحانه بعد الايمان به فيجب على المؤمنين ان يسلموا الأمر اليه ولا يدعوا لانفسهم صلاحاً باستهداد من الرأي ولا يضعوا لانفسهم من عند انفسهم طريقاً يسلكونه من دون ان يبينه الله ورسوله فا هلك قوم إلا باتباع الهوى والقول بغير العلم ولم يسلب حق الحياة وسعادة الجسد عن قوم الا عن اختلاف ومن هنا ظهر ان المراد من اتباع خطوات الشيطان ليس اتباعه في جميع ما يدعو اليه من الباطل بل اتباعه

فيا يدعو اليه من أمر الدين بان يزين شيئاً من طرق الهاطل زينة الحق
ويسمى ما ليس من الدين باسم الدين فيأخذ به الإنسان من غير علم وعلامة
ذلك عدم ذكر الله ورسوله اياه في ضمن التعاليم الديلية انتهى محل الحاجة منه.
الكشاف ج ١ ص ١٢٧ كلام الزمخشري .

(السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو
الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه (كافة) لا يخرج احد منكم
يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بآبائهم
وكتابتهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بالاستتار ويجوز ان يكون (كافة) حالاً
من السلم لأنها تولت كما تولت الحرب قال :

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من الفاسها جرع
على ان المؤمنين امروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا
في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء
منها وعن عهد الله بن سلام انه استأذن رسول الله (ص) ان يقيم على السبت
وان يقرأ من التوراة في صلانه من الليل . وكافة من الكف كأنهم
كفوا ان يخرج منهم أحد باجتماعهم (فان زلتم) عن الدخول في السلم
(من بعد ماجائتكم البيئات) أي الحجج والشواهد على مادعيتكم الى الدخول
فيه هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب لا يعجزه الانتقام منكم
(حكيم) لا ينتقم الا بحق انتهى موضع الحاجة :

قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (١) هـ
خاطب الله المؤمنين في هذه الآية الشريفة وامرهم ان ينفقوا مما رزقهم
فانه هو الذي أعطاهم هذا المال وما هو يدعوهم ان ينفقوا منه ويشير

(١) سورة الهقرة آية ٢٥٤ :

الى ان الممثل لهذا الأمر والمنفق من مال الله سوف يعقد صفقة تجارية بينه وبين الله تعالى وسوف تكون بينه وبين الله خلة بمعنى ان يكون خليلاً لله وسوف يكون ممن يأذن الله لرسوله ان يشفع يوم القيامة بين يدي الله وان الذي لا ينفق مما رزقه الله في الدنيا ويبخل بالمال عن العطاء سوف يأتيه يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فاذا لم يكن في ذلك اليوم بيع فلا يمكنكم تدارك ما فاتكم بما تبيع ما تنفقوه او تفتدون به من العذاب ، واذا لم يكن فيه خلة وهي الحب الخالص فلا يكون لكم اخلاء حتى يسامحكم في ذلك اليوم واذا لم يشفع هناك أحد الا باذن من الرحمن فلا يمكنكم ان تتكلموا على أحد يشفع لكم في حط ما في ذمكم .

ولظاهر ان المقصود من الانفاق هو اعطاء الزكاة الواجبة وان التارك لها والممتنع من اعطائها يكون ظالماً لنفسه حيث ترك واجبا ويكون ظالماً للفقراء حيث منعهم حقهم ولذا يقول الله للمؤمنين ان الكافر هو الظالم وانتم بما انكم مؤمنون لا ينبغي ان تكونوا ظالمين ، فاذا اتصفتم بالظلم كنتم من زمرة الكافرين فتحصل لنا من الآية الشريفة ان جملة الصفات المعتبرة في المؤمنين هي صفة السخاء بان ينفق ما امره الله بانفاقه لأن عقيدة المؤمن بان الرزاق هو الله وقد وعده بالزيادة اذا انفق وأما المسلم فانه غير مصدق بوعده الله فيرجع إلى عقيدة الكافر ، نسأله تعالى ان يثبتنا على الايمان .

قوله تعالى : -

« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (١) :
 حيث ان موضوع الكتاب هو صفات المؤمن المأخوذة من القرآن فان هذه الآية الشريفة قد قارنت بين الرشد والغي وهما ضدان لا يجتمعان ومن

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ :

عرف احدهما عرف الآخر اذا كان رشيدا او طالها للرشد .
 أما الذي يقول أو يعمل أو يكتب على ما تشهيه نفسه أو على غير
 بصيرة وتدبر أما لتقصير أو قصور أو تعصب أعمى فهو منغمس في الغي
 إلى أم رأسه فلا يمكن ان يعرف شيئا من الرشد وقد فسر الغي بأنه سلوك
 الطريق المسبب للعطب والهلاك فيكون الرشد في سلوك الطريق الموصل للغاية
 المحبوبة المحمودة ، الرشد هو اصابة حقيقة الأمر واصابة الطريق المؤدي اليه
 والحجة التي توصل صاحبها إلى ما يرضاه الله ويكون عذرا له يوم يوقف
 للحساب بين يدي الله وإنما يكون رشداً اذا كانت مقدماته كلها من الطريق
 التي نصبها الله لهاده اما اذا كانت المقدمات من امور غير مرضية لله
 فانها تكون موصلة إلى الغي حتماً فالمتصود من الرشد في الآية هو الايمان
 والضلال والايمان هو الموصل إلى رضا الله وبدلالته فاما ما يختاره العبد من
 ذات نفسه فلا يكون مرضيا لله وان صام وصلى ليلا ونهارا وسماه اصحابه
 مؤمنا فكل شيء يقع في طريق الوصول إلى الرشد وهو الايمان يلزم ان
 يكون بدلالة من الله سواء أكان هو نفس العقيدة او العبادة او كيفيتها أو
 اجزائها قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج ٧ ص ١٦ كلام الرازي
 أما قوله : (قد تبين الرشد من الغي) ففيه مسألتان :

المسألة الاولى : - يقال بان الشيء واستهان وتبين اذا ظهر ووضح
 ومنه المثل (قد تبين الصبح لدى عينين) وعندني ان الايضاح والتعريف
 انما سمي بيانا لانه يوقع الفصل والبيوتة بين المتصود وغيره . والرشد في
 اللغة معناه اصابة الخير وفيه لغتان رشد ورشد والرشاد مصدر ايضا كالرشد
 والغبي نقيض الرشد يقال : غوى يغوي غيا وغواية اذا ملك غير طريق
 للرشد :

المسألة الثانية : - (تبين الرشد من الغي) اي تمييز الحق من الهاطل

والإيمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الحجج والآيات الدالة قال
القاضي ومعنى : (قد تبين الرشد) أى انه قد اتضح وانجلي بالأدلة لا ان
كل مكلف تلبه لان المعالوم خلاف ذلك واقول قد ذكرنا ان معنى (تبين)
انفصل وامتاز فكان المراد انه حصلت الپینونة بین الرشد والغي بسبب قوة
الدلائل وتأكيد البراهین انتهى كلام الرازي :

تفسير المراغي طبعة ٣ ج ٣ ص ١٧ كلام المراغي : (قد تبين الرشد
من الغي) أى ظهر أن في هذا الدين الرشد والفلاح وان ماخالفه من الملل
الأخرى غي وضلال . ثم فصل ذلك فقال (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) (١) أى فمن يكفر بما
تكون عبادته والإيمان به سبباً في الطغيان والخروج عن الحق من عبادة
مخلوق انساناً كان او شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو تقليد رئيس أو طاعة هوى
ويؤمن بالله فلا يعبد إلا إياه ولا يرجو شيئاً من أحد سواه ويعترف بان
له رسلا ارسلهم للناس مبشرين ومنذرين باوامره ونواهيه التي فيها مصلحة
للناس كافة فقد تحرى باعتقاده وعمله ان يكون ممسكاً باوثق عرى النجاة
وامتن وسائل الحق وانما يكون ذلك بالإستقامة على الطريق القويم الذي لا
يضل سالكه فثله كمثل الممسك بعروة الحبل المحكم المأمون الانقطاع لىدى
حمل جسم كبير ثقيل :

ثم أتى بما يفيد الترغيب والترهيب فقال (والله سميع عليم) أى والله
سميع لأقوال من يدعي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله عليم بما يكن قلبه مما
يصدق هذا أو يكذبه فمن اعتقد ان جميع الأشياء مسيرة بقدره الله لا تأثير
فيها لأحد سواه فهو المومن حقاً وله الجزء الأوفى ومن انطوى قلبه على
شيء من زعات الوثنية ونسب ما جهل سره من عجائب الخلق إلى قوة غير

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦ :

طبيعية يتقرب بها إلى الله زلفى فقد حق عليه العذاب وكان جزاء الذين يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين انتهى كلام المراعى :
الصدر المنشور ج ١ ص ٣٣٠ كلام السبوطي واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال الطاغوت الشيطان في صورة الانسان يتحاكمون اليه وهو صاحب امرهم :

في ظلال القرآن طبعة ٢ ج ٣ ص ٢٩ كلام سيد قطب (لا اكراه في الدين قد تبين للرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (١) ان قضية العقيدة كما جاء بها هذا الدين قضية اقتناع بعهد اللين والادراك وليست قضية اكراه وغضب واجبار ولقد جاء هذا الدين يخاطب الادراك البشري بكل قواه وطاقاته يخاطب العقل المفكر والبهادة الناطقة ويخاطب الوجدان المتعقل كما يخاطب الفطرة المستكنة يخاطب الكيان البشري كله والادراك البشري بكل جوانبه في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجأ مشاهدتها إلى الاذمان ولكن وعيه لا يتدبرها وادراكه لا يعقلها لأنها فوق الوعي والادراك :

وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحسن البشري بالخارقة المادية القاهرة فهو من باب اولى لا يواجهه بالقوة والاكراه ليعتق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والاكراه بلا بيان ولا اقتناع ولا اقتناع ، وكانت المسيحية آخر الديانات قبل الاسلام قد فرضت فرضها بالحديد والنار ووسائل التعذيب والقمع التي زاولتها الدولة الرومانية بمجرد دخول الامبراطور

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ :

قسطنطين في المسيحية بنفس الوحشية والقسوة التي زاولتها الدولة الرومانية من قبل ضد المسيحيين ، القلائل من رعايا الذين اعتنقوا المسيحية إقتناعاً وحباً ولم تقتصر وسائل القمع والقهر على الذين لم يدخلوا في المسيحية بل انها ظلت تتناول في ضراوة المسيحيين انفسهم الذين لم يدخلوا في مذاهب الدولة وخالفوها في بعض الاعتقاد بطبيعة المسيح .

فلما جاء الإسلام عقب ذلك جاء يعلن في اول ما يعلن هذا المبدأ العظيم

الكبير :

(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) الى آخر ما ذكره من الكلام على قوله لا إكراه في الدين ثم يقول في ص ٣٠ (قد تبين الرشد من الغي) .

فالإيمان هو الرشد الذي ينبغي للانسان ان يتوخاه ويحرص عليه والكفر هو الغي الذي ينبغي للانسان ان ينفّر منه وينقي ان يوصم به والأمر كذلك فعلاً فما يتدبر الإنسان نعمة الإيمان وما تمنحه الادراك البشري من تصور ناصع واضح وما تمنحه للقلب البشري من طمأنينة وسلام وما تثيره في النفس البشرية من اهتمامات رفيعة ومشاعر نظيفة وما تحقّقه في المجتمع الإنساني من نظام سليم قويّم دافع إلى تنمية الحياة وترقية الحياة ما يتدبر الإنسان نعمة الإيمان على هذا النحو حتى يجد فيها الرشد الذي لا يرفضه الا سفيه ، يترك الرشد إلى الغي ويدع الهدى إلى الضلال ، ويؤثر التخبط والقلق والهبوط والضالة على الطمأنينة والسلام والرفق والاستعلاء ثم يزيد حقيقة الإيمان ابضاحاً وتحديداً وبياناً (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انصام لها) ان الكفر ينهغي ان يوجه الى ما يستحق الكفر وهو الطاغوت ، وان الإيمان يجب ان يتجه الى من يجدر الإيمان به وهو (الله) ، والطاغوت صيغة من اللطغيان تفيد كل ما يظلم على الوعي ويجور على

الحق ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد ولا يكون له ضابطا من العقيدة في الله ومن الشريعة التي يسنها الله ومن كل منهج غير مستمد من الله وكل تصور او وضع أو ادب او تقليد لا يستمد من الله فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صوره ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجا وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى لا انفصام لها :

وهنا تجدنا امام صورة حسية لحقيقة شعورية ولحقيقة معنوية : ان الايمان بالله عروة وثيقة لا تنفصم ابداً : انها متينة لا تنقطع ولا يضل الممسك بها طريق النجاة : انها موصولة بمالك الهلاك والنجاة ، والايمان في حقيقته اهتداء إلى الحقيقة الأولى التي تقوم بها سائر الحقائق في هذا الوجود حقيقة الله ، واهتداء إلى حقيقة التاموس الذي سنه الله لهذا الوجود وقام به هذا الوجود والذي يمسك بعروته يمضي على هدى الى ربه فلا يظلم ولا يخذل ولا تتفرق به السبل ولا يذهب به الشذوذ والضلال :

(والله سميع عليم) :

يسمع منطق الأسنة ويعلم مكنون القلوب فالؤمن الموصول به لا يبخس ولا يظلم ولا يخيب ثم يمضي السياق بصور في مشهد حسي حي متحرك طريق الهدى وطريق الضلال وكيف يكون الهدى وكيف يكون الضلال ، يصور كيف يأخذ الله ولي الذين آمنوا بأيديهم فيخرجهم من الظلمات إلى النور ، بينما الطواغيت اولياء الذين كفروا تأخذ بأيديهم فتخرجهم من النور إلى الظلمات :

انه مشهد عجيب حي موح والخيال يتبع هؤلاء وهؤلاء جيئة من هنا وذهاها من هناك هدلا من التعبير الذهني المجرد الذي لا يحرك خيالا ولا يلمس حسا ولا يستجيش وجدانا ولا يخاطب الا الذهن بالمعاني والألفاظ : فاذا اردنا ان ندرك فضل طريقة التصوير القرآنية فلنحاول ان نضع

في مكان هذا المشهد الحي تعبيراً ذهنياً ايّ كان لنقل مثلاً : الله ولي الذين آمنوا يهديهم إلى الإيمان والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يقودونهم إلى الكفران ، ان التعبير يموت بين ايدينا ويفقد مافيه من حرارة وحركة وإيقاع وإلى جانب التعبير المصور الحي الموحى للنتقي هدفة التعبير عن الحقيقة : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) :

ان الإيمان نور ، نور واحد في طبيعته وحقيقته ، وان الكفر ظلمات ظلمات متعددة متنوعة ولكنها كلها ظلمات ، وما من حقيقة اصدق ولا ادق من التعبير عن الإيمان بالنور والتعبير عن الكفر بالظلمة :

ان الإيمان نور يشرق به كيان المؤمن أول ما ينشق في ضميره تشرق به روحه فتشف وتصفو وتشع من حولها نوراً ووضائة ووضوحاً نور يكشف حقائق الأشياء وحقائق القيم وحقائق التصورات فيراها قلب المؤمن واضحة بغير غش بيذة بغير لبس مستقرة في مواضعها بغير ارجحة فيأخذ منها ما يأخذ ويدع منها ما يدع في هواة وطمانينة وثقة وقرار لا ارجحة فيه ، نور يكشف الطريق إلى الناموس الكوني من حوله ومن خلاله فيطابق المؤمن بين حركته وحركة للناموس الكوني من حوله ومن خلاله ويمضي في طريقه إلى الله هيئنا لهنا لا يعتسف ولا يصطدم بالنتوءات ولا يخبط هنا وهناك فالطريق في فطرته مكشوف معروف .

وهو نور واحد يهدي إلى طريق واحد ، فاما ضلال الكفر فظلمات شتى منوعة ظلمة الهوى والشهوة وظلمة الشرود والتهيه ، وظلمة الكبر والطغيان وظلمة الضعف والذلة ، وظلمة الرياء والنفاق ، وظلمة الطمع والسعر ، وظلمة الشك والقلق ، وظلمات شتى يأخذها الحصر تتجمع كلها عند الشرود عن طريق الله والنتاقي من غير الله والاحتكام لغير منهج الله وما يتوكل الانسان نور

الله الواحد الذي لا يتعدد نور الحق الواحد الذي لا يتلبس حتى يدخل في الظلمات من شتى الأنواع وشتى الأصناف وكلها ظلمات ، والعاقبة هي اللاتئمة باصحاب الظلمات (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) واذا لم يهدوا بالنور فليخلدوا اذن في النار - ان الحق واحد لا يتعدد والضلال اللوان وانماط (فماذا بعد الحق الا الضلال) انتهى كلام صاحب (في ظلال القرآن) وان هذا المؤمن الذي وصفه بقوله : (ان الإيمان نور يشرق به كيان المؤمن الخ) .

من صفات الكمال :

هو من اعلى طبقات المؤمنين ومن خاصتهم لا من عامتهم فان عامة من يدعى الإيمان لا يتصف ولا ببعض هذه الأوصاف وان من يتصف بهذه الأوصاف مضافاً اليها غيرها انما هم ادلة للناس ومرشدهم وقادتهم الى الله وهم الذين قال النبي (ص) مخبراً عنهم (المؤمن ينظر بنور الله) وهم تراجمة القرآن العالمون بتأويله الذين قريهم الله بنفسه في قوله : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) (١) فينبغي لطالب الرشيد والإيمان ان يفحص عنهم ليعرفهم باسمائهم وصفاتهم ويقتدي بهم فان الله ما ذكرهم في كتابه إلا لوجودهم في هذا العالم وما اوجدهم في عالم الدنيا الا لينفعوا الناس بما اعطاهم من العلوم وليرجع الناس اليهم فيما يحتاجون اليه من العلم وان أول هؤلاء الرجال هو الرسول الأعظم ومن بعده هم من قريهم الرسول بالقرآن وجملهم عدلا له وامر الامة بالتمسك بهم كما في الحديث الذي يرويه جميع اصحاب وهو قوله : (اني تارك فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي اهدأ كتاب الله وعترتي أهل بيتي الا والله لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) هذا هو الرشيد الذي بينه لنا الله في كتابه واوضحه لنا

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

الرسول الأكرم :

ثم ان جميع المفسرين اذا وصلوا الى هذه الآية وهي قوله : (لا اكراه في الدين) يتعرض الى فريضة الجهاد حيث ان الله أمر النبي (ص) والمؤمنين بجهاد الكافرين فهل ان آية الجهاد ناسخة لهذه الآية او انها لا تنافي هذه الآية ويمكن العمل بها معا وقد اختار كل واحد من المفسرين احد هذين القولين :

أما سيد قطب فقد اختار في تفسيره (في ظلال القرآن) عدم المناقاة بين الآيتين فانه بعد ما اطلق قول بعض المفرضين الذين يريدون تشويه الإسلام وإيقاع الفتنة بين المسلمين قال في ج ٣ ص ٣٤ لقد انتضى الإسلام السيف وناضل وجاهد في تاريخه الطويل لا ليكره أحداً على الإسلام ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد :

جاهد الإسلام اولاً ليدفع عن المؤمنين الاذى والفتنة التي كانوا يسامونها وليكفل لهم الأمن على انفسهم واموالهم وعقيدتهم وقرر ذلك المبدأ للعظيم الذي سلف تقريره في هذه السورة في الجزء الثاني : (والفتنة اشد من القتل) فاعتبر الاعتداء على العقيدة والايذاء بسببها وفتنة اهلها عنها اشد من الاعتداء على الحياة ذاتها فالعقيدة اعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم واذا كان المؤمن مأذوناً في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله فهو من باب اولى مؤذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه وقد كان المسلمون يسامون الفتنة عن عقيدتهم ويؤذون ولم يكن لهم بد ان يدفعوا هذه الفتنة عن اعز ما يملكون يسامون الفتنة عن عقيدتهم ويؤذون فيها في مواطن شتى وقد شهدت الأندلس من بشاعة التعذيب الوحشي والتقتيل الجماعي لفتنة المسلمين عن دينهم وفتنة اصحاب المذاهب المسيحية الاخرى ليرتدوا الى الكثرة الى ان يقول :

وجاهد الاسلام ثالثا لتقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة فقد جاء الإسلام باكمل تصور للوجود والحياة وبارق نظام لتطوير الحياة جاء بهذا الخير ليهديه الى البشرية كلها ويبلغه الى اسماعها والى قلوبها فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ولا اكراه في الدين ، ولكن ينبغي قبل ذلك ان تزول العقبات من طريق ابلاغ هذا الخير للناس كافة كما جاء من عند الله للناس كافة وان تزول الحواجز التي تمنع الناس ان يسمعوها وان يقتنعوها وان ينضموا الى موكب الهدى اذا ارادوا ومن هذه الحواجز ان تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع الى الهدى وتفتن المهتدين ايضا فجاهد الاسلام ليحطم هذه النظم للطاغية وليقيم مكانها نظاما عادلا يكفل حرية الدعوة الى الحق في كل مكان وحرية الدعاة وما يزال هذا الهدف قائما وما يزال الجهاد مفروضا على المسلمين ليبلغوه ان كانوا مسلمين .

(اقول) ان هذه النظم الطاغية التي ذكرها تصدر في اغلب الأوقات من المسلمين انفسهم او ممن يسمون انفسهم بالمسلمين فينبغي للمؤمنين مكافحة هذه الفرق وان لم يمكنهم ذلك فعليهم ان يظهروا الحق بالسنة وهم واقلامهم فان هذه الفرق قد حدثت بعد رحلة النبي (ص) مناشرة (ثم قال سيد قطب) جاهد الاسلام ثالثا ليقم في الارض نظامه الخاص وبقره ويحميه وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الانسان تجاه اخيه الانسان حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال وبلغى من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع اشكالها وصورها فليس هناك فرد ولا طبقة ولا امة تشرع الاحكام للناس وتسندهم عن طريق التشريع انما هناك رب واحد للناس جميعا هو الذي يشرع لهم على السواء واليه وحده يتجهون بالطاعة والخضوع كما يتجهون اليه وحده بالايان والعبادة سواء :

إلى هنا كان السيد موفقاً في كلامه مسدداً فيما كتبه سائراً في طريق
الرشد الذي ذكره الله في قوله : (قد تبين الرشد من الغي) وأنا أرجو
من القارئ أن يحفظ هذا المقال للدال على أن كل أمر من أمور الشريعة
يلزم أن تكون مقدماته وأدلتها مستمدة من الله لا من شيء آخر .
ولكنه قد مال عن هذا الطريق وسلك طريقاً آخر فقال بعد كلامه
المذكور (جزء ٣ ص ٣٥ ط ٢) فلا طاعة في هذا النظام لبشر إلا أن
يكون منقداً لشريعة الله موكلاً عن الجماعة للقيام بهذا التنفيذ الخ .
ولا يخفى على القارئ أن هذا الكلام وهذا الرأي الذي فرضه على
الامة باجمعهما من غير دليل ولا حجة بل أرسله ارسال الأمر المسلم عند الكل .
أقول أن هذا الرأي مناف لما ذكره أولاً من أن جميع الأحكام ينهى
أن تكون مستمدة من الله فالأ لا نعلم من هو الرجل الموكل على التنفيذ
وهل يكون عالماً بجميع أحكام القرآن وعلومه الكثيرة ، وهل نوه عنه النبي
بكلمة تدل على كثرة علمه بأن قال فلان باب مدينة علمي أو قال فلان
أضامكم فإذا لم تصدر في حقه كلمة من الرسول كيف توكله الجماعة .
ثم نسأل من هم الجماعة الذين يوكلون الرجل المجهول فلا نعرف
الجماعة الموكلين ولا الرجل الموكل وكيف فوض أمر للشريعة وأمر المسلمين
وتفسير القرآن إلى الجماعة .
أن هذا الكلام لا يطابق ذلك الذي رجوت من القارئ أن يذكره
ولا يغفل عنه .

أما الذي يكون منقداً لأحكام الشريعة ويكون مفسراً لكتاب الله فلا
يكون اختياره راجعاً إلى العباد ولا يعينه أحد من البشر لأن القرآن فيه
للناسخ والمنسوخ والعام والخاص ، والمجمل والمفصل وغير ذلك مما لا يعلمه
أحد إلا بتعليم من الله والرسول وهذا للشخص لا يعرفه إلا الله ورسوله

ولا يعينه احد غير النبي بامر من الله :

أما الجماعة سواء أقلت أو كثرت أو كانت جميع المسلمين فلا يمكنها ان تعين احداً لينفذ الأحكام لأن التنفيذ انما يكون مع العلم بالأحكام والعلم انما يكون من قبل الله بواسطة الرسول والجماعة لا تعرف الشخص الذي اطمه الله للعالم .

فلا يمكننا ان نقول فلان او فلان هو المنفذ او الخليفة لان النبي يقول : (من اختار لأمر أمتي شخصاً وفيهم خير منه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) قال الحوماني في كتابه (دين وتمدين) ج ٢ ص ٥ بعد نقل الحديث ، هذا الحديث ثابت عند السنة والشيعة من المسلمين ويزيد عليه الشيعة ان خليفة الله في الأرض يجب ان يكون عدلاً ان لم يكن معصوما عملاً بقوله تعالى : (لا ينال عهدى الظالمين) انتهى :

ثم ان الجماعة ان كانت هي عموم المسلمين فهو شيء لا يمكن ولا يتهاياً . ولو فرض امكان ذلك واجتمع رأى المسلمين على اختيار رجل واحد فهل يجوز للمؤمن ان يأخذ احكام دينه من هذا الرجل الذى اختاروه مالم يكن حكمه مستنداً الى القرآن والسنة ولو اخذ بقوله فهل يكون معذوراً عند الله وقد تقدم من ان الاحكام الدليلية يلزم ان تكون مستمدة من الله في جميع مقدماتها وشروطها ، فان هذا الذى ذكره يستلزم العمل بقول هذا الموكل عن الجماعة مطلقاً بلا شرط ولو اراد من الجماعة التى توكل احداً على التنفيذ بعض المسلمين لا كلهم يكون الأمر اعظم من سابقه اذ لا دليل على جواز العمل بقول هذا الرجل مالم تكن اقواله مستمدة من الكتاب والسنة وان المصير الى هذا القول لا يطابق الرشد للذي فسره لنا قبلاً ، ولو ان الرجل الموكل عن الجماعة التى عنها اخبرنا بان حكمه مأخوذ من القرآن والسنة فهل يكفي ذلك في اسقاط التكليف او انه يلزم علينا

ان نطلب من الآية والرواية التي استند عليها في هذا الحكم ، فهذه مسائل عديدة تكون في طريق المكلف يلزمه الجزم فيها وان عمله مطابق لأمر الله تعالى فيها .

ولقد تقدم قول سيد قطب فان الظلمات شتى متنوعة مظلمة الهوى والشهوة وظلمة الشر ودولتيه ، وظلمة الكبر والطغيان ، وظلمة الضعف والذلة ، وظلمة الرياء والنفاق ، وظلمة الطمع والسعر ، وظلمة للشك والتناق وظلمات شتى لا يأخذها الحصر ، ومع هذه الأنواع للكثيرة من الظلمات كيف يطمئن المؤمن لقول رجل عادي وكنته جماعة غير معروفة فيجعل مدار دينه ومدار اعماله على اقوال هذا الرجل الموكل من قبل الجماعة لعمر ك ان هذا لا يتفق مع الرشد للذي فسره لنا .

والذي يدل عليه للعقل ويقبله ويرشد اليه القرآن والسنة ان الذي يكون دليلا على احكام الدين ومهلغا عن الله وعن الرسول يلزمه ان يسند كل حكم في كل قضية الى القرآن او السنة والذي يدلنا على هذا المبلغ اما للقرآن او للنبي (ص) وحيث ان القرآن لم يسم لنا احدا باسمه وانما يذكره بأوصافه فلا بد ان نرجع في تشخيصه الى قول للنبي (ص) فانه تعالى يقول : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) (١) وان سائر للناس لا يعرف الراسخين وانما يعرفهم النبي (ص) فيلزمنا الرجوع الى اقواله في تعيين العالم وقد تواتر عنه انه قال : (انا مدينة العلم وعلي بابها) وهذا يكفى في كون علي عنده جميع العلوم التي كانت عند النبي (ص) وقد قال هو اي الامام علي وهو الصادق المصدق بشهادة جميع اصحاب النبي (ص) (علمني رسول الله الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب) فالؤمن اذا اخذ احكام دينه من هذا الرجل ومن امثاله يجزم ويقطع بان مايقول مطابق

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

لأحكام الله الواقعية وان العمل بقوله مجز ويكفي ان يكون عنرا يقدمه
لله إذا سئل يوم القيامة عن اخذ احكامه حيث ان النبي (ص) بين لأمته
ان هذا الرجل هو باب مدينة علمه فهل ترى ايها المؤمن ان الأخذ عن
الرجل هو للرشد او الأخذ عن ذاك الذي توكله الجماعة الذي لم يصدر من
النبي (ص) كلمة في حقه تدل على وفور علمه - ثم توجه سؤالا آخر
الى سيد قطب وذلك بعد نقل مايلي :

مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٢ عن زيد بن ثابت قال ، قال رسول
الله (ص) اني تارك فيكم خليفين كتاب الله عزوجل حمل ممدود ما بين
للسماء والأرض او ما بين السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا
حتى يردا علي الحوض وفيه ايضا ص ١٦٣ وعن زيد بن ارقم قال نزل
رسول الله (ص) الجحفة ثم اقبل على الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال :
اني لا اجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله واني اوشك ان ادعى فاجيب
فما انتم قائلون قالوا نصحت قال ليس تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق قالوا نشهد قال : فرفع يده فوضعها
على صدره قال انا اشهد معكم ثم قال الا تسمعون قالوا نعم قال فاني فرط على
الحوض واتم واردون على الحوض وان عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه اقداح
عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقليين فنادى مناد ما الثقلان
يارسول الله قال كقاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بايديكم فتمسكوا
به لا تضلوا والآخر عشيرتي ، وان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى
يردا على الحوض فسألت ذلك لها ربي فلا تقدموهما فتهلكما ولا تقصروا
عنهما فتهلكما ولا تعلموهما فهم اعلم منكم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه
فقال من كنت اولي به من نفسه فعلي وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وقال علي (ع) الا ان للعالم الذي هبط به آدم من السماء الى الأرض
وجميع ما فضلت به النبيون الى خاتم النبيين عندي وعند عترتي خاتم النبيين فان

يتناه بهم وابن تذهبون .

وقال امير المؤمنين في خطبة له ايضا واقد علم المسحفظون من اصحاب محمد ان النبي قال اني واهل بيتي مطهرون فلا تسبقوهم فتضالوا ولا تخلفوا عنهم فتزلوا ولا تخالفوهم فتجهلوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم هم اعلم للناس كبارا واحلم للناس صغارا فاتبعوا الحق واهله حيث كان :

وهنا نسأل سيد قطب : ونقول ان هذا الحديث النبوي المتسالم على صحته المستمد من الله تعالى وهو يدلنا على طريق الرشيد اللين ويرشدنا على من ينفذ احكام الشريعة ويعلمنا ان هذا المنفذ لا يفترق عن القرآن حتى يردا جميعا عليه الحوض ، ثم ان هذا الذي دلنا عليه النبي أخبرنا ان عنده جميع العلوم التي كانت عند الأنبياء من آدم الى محمد هل يصح ان نتركه ولأخذ بقول من وكلته الجماعة مها كان الرجل ومها كانت الجماعة .

تفسير المراغي ج ٣ طبعة ٣ ص ١٩ كلام المراغي : (الله ولي للذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) أي ان المؤمن لا ولي له ولا سلطان لأحد على اعتقاده إلا الله تعالى فهو يهديه إلى استعمال ضروب الهدايات التي وهبها له (الحواس والعقل والدين) على الوجه للصحيح واذا عرضت له شبهة لاح له شعاع من نور الحق يطرد هذه الظلمة حتى يخلص منها كما قال تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (١) فنظر الحواس في الاكوان وادراك ما فيها من بديع الاتقان ينير هذه الحواس ، ونظر العقل في المعقولات يزيده نورا على نور والنظر فيما جاء به الدين من الآيات يتمم له ما يصل به الى اوج سعاداته ومنتهى فوزه وفلاحه : (والذين كفروا اوليائهم للطاغوت يخرجونهم من

(١) سورة الاعراف آية ٢٠٠ .

النور إلى الظلمات) (١) أي والكافرون لا سلطان على نفوسهم إلا لتلك
المعهودات الباطلة التي تسوقهم إلى الطغيان فان كانت من الأحياء الناطقة
ورأت ان عابديها قد لاح لهم شعاع من نور الحق نبههم الى فساد ما هم
فيه هادرت إلى طائفته وصرفه عنهم بالقاء حجب الشبهات وان كانت من
غير الأحياء فسدنة هياكلها وزعماء حزبه لا يقصرون في تنميق هذه الشبهات
ببيان ان الواجب الاعتقاد بتلك السلطة وبما ينبهي لأربابها من التعظيم وهو
لا شك عبادة وان سموه توسلا واستشفاعا وغير ذلك من الاسماء (اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون) (٢) فان ما يكون في الآخرة ما هو إلا جزاء
لما كان عليه الانسان في الدنيا ولا يلبق باهل الظلمات الذين لم يبق لنور
الحق مكان في انفسهم الا تلك الدار التي وقودها النار والحجارة انتهى
كلام المراغي .

فقد انضح للقاريء ان المؤمن لا يكون اعتقاده وعمله في عبادته
ومعاملته إلا ما يطاق أمر الله المأخوذ من كتابه ومن لبيبه او ممن جعله النبي
ناثا عنه وخليفة له ومبيننا لاحكام القرآن بعده والا فن كان عمله غير
مأخوذ عن الله فانه يسمى كافرا ويسمى المأخوذ منه طاغوتا كما عبرت الآية
وعبر المفسرون لها للرازي والمراغي وسيد قطب ، فلا مجال للانكار على
من يعبر عن التابع والمتبوع بالكافر والطاغوت اذا كانت التابعية بغير أمر
من الله فان الله عبر عنها بما ذكر والمفسر يتبع الله في ذلك فافهم واغتم .
تفسير الطبري طبعة ٢ ج ٣ ص ١٩ كلام الطبري . بعد ما ذكر الاقوال
في معنى الطاغوت قال والصواب من القول عندي في الطاغوت انه
كل ذي طغيان على الله فعهد من دولته (٣) بقهر لمن عبده وأما بطاعة من

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٧ .

(٣) هكذا وجدت الكلمتين معربة والأصوب ان تكون مُعْبِدَ من دولته .

عبد له ، انسانا كان ذلك المعبود او شيطانا او وثنا او صنما او كائنا ما كان من شيء .

ثم ذكر اشتقاق الطاغوت وقال بعد خمسة اسطر من نفس الصفحة فتأويل الكلام اذن فمن يمجّد ربه يمجّد كل معبود من دون الله فيكفر به ويؤمن بالله . يقول . وبصدق بالله انه لاله وربه ومعبوده (فقد استمسك بالعروة الوثقى) (١) يقول فقد تمسك باوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه . كما حدثني احمد بن سعيد بن يعقوب الكندي قال ثنا بقره بن الوليد قال ثنا ابن ابي مريم عن حميد بن عقبة عن ابي للدرداء انه عاد مريضا من جبرته فوجده في السوق وهو يفرغ لا يفقهون ما يريد فسألهم يريد ان ينطق قالوا نعم يريد ان يقول آمنت بالله وكفرت بالطاغوت قال ابو الدرداء وما علمكم بذلك قالوا لم يزل يرددنا حتى الكسر لساله فنحن نعلم انه انما يريد ان ينطق بها فقال ابو الدرداء افلح صاحبكم ان الله يقول : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) (٢) ثم قال الطبري في ص ٢٠ القول في تأويل قوله : (فقد استمسك بالعروة الوثقى) .

والعروة في هذا المكان مثل للايمان الذي اعتصم به المؤمن فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها اذ كان كل ذي عروة فانما يتعلق من اراده بعروته . : وجعل تعالى ذكره الايمان الذي تمسك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله من اوثق عرى الأشياء بقوله : (الوثقى) والوثقى فعلى من الوثاق يقال في الذكر هو الاوثق وفي

(١) سورة الهقرة آية ٢٥٦ .

(٢) سورة الهقرة آية ٢٥٦ .

الائى هي الوثقى ، كما يقال فلان الأفضل وفلانة الفضلى :

ثم ذكر احاديث تدل على ما قاله ، ثم قال : القول في تأويل قوله
(لا انفصام لها) يعني تعالى ذكره بقوله : (لا انفصام لها) لا انكسار
لها والهاء والالف في قوله لها عائد على العروة ، ومعنى الكلام فمن يكفر
بالطاغوت ويؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه
بخذلانه اياه واسلامه عند حاجته اليه في احوال الآخرة كالتمسك بالوثيق
من عروى الأشياء التي لا يخشى انكسار عراها واصل الفصم للكسر ثم
ذكر الاحاديث المؤيدة لقوله ثم قال ص ٢١ القول في تأويل قوله :

(والله سميع عليم) يعني تعالى ذكره والله سميع ايمان المؤمن بالله
وحده الكافر بالطاغوت عند اقراره بوحداية الله وتبرئه من الابداد والاوئان
التي تعبد من دون الله عليم بما عزم عليه من توحيد الله واخلاص ربوبيته
قلبه وما انطوى عليه من البرائة من الآلهة والاصنام والطواغيت ضميره
وبهيم ذلك مما اخفته نفس كل احد من خلقه لا ينكتم عنه سر ولا يخفى
عليه امر حتى يجازى كلا يوم للقيامة بما نطق به لسانه وضممرته نفسه ان
خير فخير وان شرا فشرا :

القول في تأويل قوله تعالى :

(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا
اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون) (١) يعني تعالى ذكره بقوله : (الله ولي الذين آمنوا)
نصيرهم وظهيرهم يقولاهم بعونه وتوفيقه (يخرجهم من الظلمات) يعني
بذلك يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وانما عنى بالظلمات في هذا

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .

الموضع : الكفر وانما جعل الظلمات للكفر مثلا لان الظلمات حاجبة للابصار
عن ادراك الاشياء واثباتها وكذلك الكفر حاجب ابصار القلوب عن ادراك
حقائق الايمان والعلم بصحته وصحة اسبابه :

فاخبر تعالى ذكره عباده انه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الايمان
وسبله وشرائعه وحججه وهاديهم فحرفهم لادلته الزيلة عنهم الشكوك
بكشفه عنهم دواعي الكفر وظلم سواتر ابصار القلوب : ثم اخبرنا تعالى
ذكره عن أهل الكفر فقال : (والذين كفروا) يعني الجاحدين وحدائثه
(اولياتهم) يعني نصرائهم وظهرائهم الذين يقولونهم (الطاغوت) يعني
الانداد والاورثان الذين يعبدونهم من دون الله (يخرجونهم من النور إلى
الظلمات) يعني بالنور الايمان على نحو ما بينا . إلى الظلمات : ويعني بالظلمات
ظلمات الكفر وشكوكه الحائلة دون ابصار القلوب ورؤية ضياء الايمان
وحقائق ادلته وسبله انتهى كلام الطبري :

وقد عرفنا من كلام هؤلاء المفسرين ان الايمان انما تؤخذ احكامه
كلية وجزئية من الله ومن الرسول وقد مر عليك الحديث الذي في الدر
المنثور من تفسير للطاغوت بالشیطان على صورة انسان وانه صاحب أمر
جماعة من الناس يأخذون احكامهم منه فهل تظن ان هذا للشیطان بصورة
الانسان يحكم بشيء يحبه الله والرسول :

قوله تعالى :

« مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل
في كل سنبله مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . » (۱) :

ان هذه الآية وما يتبعها من الآيات وكثير من آيات القرآن تحت
المؤمنين ان ينفقوا من اموالهم ويساعدوا الفقراء ولا يتركوهم بما هم فيه

(۱) سورة الهقرة آية ۲۶۱ :

من الحاجة والاضطرار فانهم اذا تركوا على ما هم فيه من الفقر يضر ذلك بالمجتمع ويخل بالنظام الديني ويوجب العقاب الأخروي ، للفقر والغني معاً وسوف يوضح ذلك في ضمن ما يأتي من الآيات وقد بين الله في هذه الآيات نواح عديدة للانفاق وهذه النواحي والجهات المذكورة في الآيات إنما هي شروط للانفاق المقبول عند الله المرضي لديه وهو الذي يحصل المنفق على الفائدة المترتبة على الانفاق والجزاء الذي وعد الله به المنفقين .

أما اذا لم يكن الانفاق مشتملاً على الشروط المذكورة في الآيات فلا يستحق الجزاء المذكور فذكر في هذه الآية الشريفة الشرط الأساسي الذي تترتب عليه جميع الآثار وتفقد بفقدانه وهو كون الانفاق في سبيل الله أي في الوجه الذي يكون فيه رضا الله ويقصد منه أمر ديني وان يكون خالصاً لوجه الله لا يشوبه أمر آخر ، وذكر الجزاء الجزيل والثواب العظيم للكثير الذي يكون لهذا الانفاق وهو كون الواحد مائة ضعةً واذا شاء الله يضاعفه أكثر من ذلك لمن يشاء من العباد : (والله واسع عليم) فقد مثل الله عزوجل هذا المال الذي ينفق في سبيله بالحببة التي يبذرها الانسان وهذه الحببة ينشعب ساقها الى سبعة شعب ويكون في كل شعب منها سنهله وفي كل سنهله مائة حبة كل ذلك بإرادة الله وأمره والمؤمن اذا اطعم على عهد الله وعرفه لا يهتف عن الانفاق في سبيل الله ثم يتبع هذه الآية قوله تعالى : -

(الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) :
هذا هو الشرط الثاني للانفاق المرضي عند الله أو أنه شرط لاستحقاق الجزاء وترتبه على الانفاق ، وحاصل هذا الشرط هو ان المنفق إنما يكون

(١) سورة البقرة آية ٢٦٢ .

انفاقه مرضيا لله اذا لم يتبعه بالمن والاذى والمن هو الاعتماد بما انفقه من المال واظهار التفضل على الفقير والاذى هو التكلم على الفقير بما يؤذيه من الكلام ، فاذا اظهر المن او الاذى فقد انتفى الشرط ولم يكن انفاقه من الانفاق المقبول عند الله المستحق عليه الجزاء ، اما اذا كان الانفاق واجداً للشرط فان الله قد وعدهم بحفظ الجزاء عنده وهو خير الحافظين الموفين بوعدهم والجزاء اما ان يكون هو الذي ذكره في الآية السابقة اي الواحد بسهمائة والمضاعفة لمن يريد او جزاء آخر غير ذلك في الدنيا او في الآخرة او فيها معا وزيادة على توفيتهم اجرهم انهم آمنون لا خوف عليهم في كل موطن يكون مظنة للخوف والنهم لا يمزجون في كل وقت ومحل يحزن فيه غيرهم وتأكيدا لهذه الآية جاءت بعدها الآية وهي قوله تعالى : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حلیم) (١) .

لا يخفى ان الانسان اذا جاءه احد بحاجة وطلب منه قضاء حاجته سواء أكانت الحاجة مالية او غير مالية فلا يخلو المسؤول من احد صور ثلاث : اما ان يقضي حاجة السائل ولم يتبع ذلك منا ولا اذى فهذه احسن للصور وقد امرنا الله بها في الآية السابقة . واما ان يقضي الحاجة ويتبعها بمن او اذى ، واما ان لا يقضيها وقد ارشدنا الله سبحانه بان عدم قضاء الحاجة ورد السائل ردا جميلا بكلام حسن من غير غضب او كلمة بذية هو خير من قضائها ثم اتباعها بمن او اذى فانك اذا مننت عليه او آذيته لا تكون الحاجة هنيئة ولا سائغة ويبقى السائل متألما من الصدمة التي اصابتها من منك عليه او اذاك له وكلما واجهك او يذكرك تذكر هذه الصدمة فيكون ماقتا لك كارها لقاءك واطراء اسمك على مسامحة فاذا صرفته بكلام جميل فان الله قد اخبر عن نفسه انه « غني حلیم » يحلم عليك اذا كنت

(١) سورة البقرة آية ٢٦٣ :

متمكنا من قضاء حاجة اخيك فلم تقضها ولعله يعني ذلك العهد عن الحاجة اليك والى امثالك ، وقد بقيت صورة رابعة غير هذه للصور الثلاث وهي ان يمنع المسؤول السائل ولكن بقول منكر غير معروف ولا مألوف وأذى من غير صدقة وهذه للصورة يبغضها الله ويعاقب عليها ، ويمجها العقل والعرف :

نسأل الله تعالى ان يجبرنا منها فان الانسان اذا انفق وتصدق ثم اتبع ذلك بالمن والاذى بطلت صدقته فكيف اذا تحقق منه الاذى من غير تقديم للصدقة كما هو صريح الآية الآتية بعد هذه وهي قوله تعالى : -

(يا ايها الذين امنوا لا تهطوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رياء للناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه واهل فركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين (١)) :

لما بين الله في الآيات السابقة ان انفاق المال له ثواب جزيل وانه مضاعف عند الله لا يصيبه خوف ولا جزن كما يصيب غيره فقد عرفنا في هذه الآية بان هذا الجزاء العظيم وان هذا الوعد بعدم الخوف والحزن سوف يفقده المنفق اذا اتبع انفاقه وصدقته بالمن والاذى ، وكذا يفوته الجزاء اذا كان انفاقه رياء لأجل الناس لا لأجل الله ، وقد مثل الله عطاء المنفق الذي يتبعه المن والاذى وعطاء الذي يقصد الرياء من عطائه مثلها بصفوان عليه تراب والصفوان الحجارة للشديدة التي لا ينبت فيها زرع ابدًا مها اصابتها من الماء والمطر الغزير وهو الواهل فان الواهل من شأنه وخاصته اذا اصابت الارض الطيبة ان ينبت بها الزرع وكذا جعل الله ثمرة انفاق المال وبذله للمحتاج كثمرة الحبة المبدورة في الارض الطيبة حيث تنبت

(١) سورة البقرة آية ٢٦٤ :

الحبة الواحدة سبعمائة حبة :

اما اذا كانت الارض التي اصابها الواابل حجارة شديدة فلا اثر للماء فيها ولا فائدة ولا ثمرة ، وكذا المال المنفق اذا لم يكن مشتملا على الشروط المتقدمة فلا فائدة فيه ولا ثمرة تجني منه فان الله يحذرنا من هذه الخسارة التي ليس لنا فيها فائدة مع ذهاب المال من ايدينا ثم بعد هذا ضرب لنا مثلا لمن ينفق المال حائزاً للشروط التي تؤهله للقبول عند الله :

قوله تعالى : -

(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من انفسهم كماثل جنّة ربوة اصابها وابل فآنت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) (١) :

لما بين الله في الآية السابقة ان الانفاق قد يعقبه ما يبطل اجره وجزاءه وهو المن والاذى ويقترن به ما يبطل أجره وهو الرياء وان هذا المبطل سواء اكان مقارنا او متأخرا انما هو ناشيء من نفس المنفق وهو يكون في بعض النفوس الحقيمة الخسيسة ذكر في هذه الآية الصنف المقابل لذلك الصنف الحقير وهم الذين ينفقون اموالهم لأجل رضا الله ويثبتون حزاء هذا الانفاق من انفسهم للطيبة ونياتهم الخالصة للطاهرة ولا يبطلونه ببعض تلك المبطلات وان هذا الانفاق الثابت الذي لا يبطل ولا يزول حاله مثل البستان الذي يكون على ربوة من الارض فاذا نزل عليها الواابل تكثر ثمرتها وتضاعف فان لم ينزل عليها الواابل يكفيتها الطل ويكون سببا لتضاعف الثمرة ويمكن ان يكون من مصاديق الواابل تعاقب النفقات بعضها لبعض فتكثر الثمرات وتضاعف ، والطل عهارة عن النفقات القليلة :

وقد روى عن الامام الصادق (ع) قال : (ما من شيء احب الي

(١) سورة البقرة آية ٢٦٥ .

من رجل سلفت مني إليه يد اتبعته اخفها واحسنت بها له) : الخبير :
 كما ان ذلك الصنف الأول لا يؤثر فيه المطر الا كشف التراب واطهار
 حقيقته للناظرين (والله بما تعملون بصير) ان كان من الصنف الأول او
 من الصنف الثاني فان الله يعلمه وهو بصير به لا يخفى عليه .
 ثم بين ان اهل الصنف الأول المبطلين لأعمالهم سوف يأتي عليهم يوم
 يندمون فيه على ما فعلوا في الآية ٢٦٦ : (ابود احدكم ان تكون له جنة
 من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصحابها
 للكبر وله ذرية ضعفاء فاصحابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله
 لكم الآيات لعلكم تتفكرون) (١) .

هذا سؤال انكارى يمثل الله فيه حال الانسان الذى يبطل الفاقه بالمن
 والاذى او بالرياء ولم يبق له اثرأ ينتفع به عند حاجته اليه فانه سيأتي عليه
 يوم يكون في امس الحاجة الى الصدقة المرضية لله حتى يجازيه عليها بذلك
 الجزاء الكثير المضاعف وقد مثل الله هذا المبطل لصدفته برجل له هستان
 حاوية لأنواع للتخيل والوع الاعناب وفيها من كل الثمرات التي ينتفع بها
 الانسان فلما كبر هذا الانسان وضعف عن العمل وله اولاد وذرية كلهم
 ضعفاء ولا يمكنهم ان يقوموا بهى عمل فهو وذريته يعولون على اخذ معيشتهم
 من هذه الهستان ليس له مورد غيرها وبيناهم في هذه الحالة اذ ينار تلتهب
 بالهستان فتهرقها عن آخرها فيصبح هذا الرجل هو وذريته في غاية الحاجة
 الى اللقمة حتى يموت جوعا ولو كان مائة كموت من في الدنيا اذا انتقل
 منها لا يحتاج إليها لمان الامر ولكن موته كما ذكره الله تعالى : « يأتيه
 الموت من كل مكان وما هو بميت » (٢) فهو المعذب بما يوجب الموت

(١) سورة البقرة آية ٢٦٦ .

(٢) سورة ابراهيم آية ١٧ .

ولا يموت فينبغي للانسان العاقل ان يفكر في هذه العاقبة فلا يبطل الفاقة
وصدقاته فتكون حسرة عليه :

وروى عن ابي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) من
اسدى الى مؤمن معروفا ثم آذاه بالكلام او من عليه فقد ابطال الله صدقته :
وروى ابن عباس عن النبي (ص) قال : اذا كان يوم القيامة نادا مناد
يسمع اهل الجمع اين الذين كانوا يعبدون الناس قوهوا خذوا اجوركم ممن
عملتم فاني لا اقبل عملا خالطه شيء من الدنيا واهلها :
قوله تعالى : -

(يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم وما اخرجنا لكم من
الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان نغمضوا فيه
واعلموا ان الله غني حميد) (١) :

هذا هو الشرط الثالث من شروط النفقة المرضية لله المقبولة لديه التي
يستحق صاحبها عليها الجزاء المضاعف الذي وعد الله به المنفقين ومعنى
الآية هو ان الله يأمرنا اذا اردنا ان نعطي شيئا في سبيله وابتغاء مرضاته
هان نختار احسن ما عندنا واطيبه فننقله في سبيله سواء اكانت النفقة واجبة
او مندوبة ، ولها ان نقصد اخبث ما عندنا وادونه فننقله فان الله لا يقبل
الا الطيب ولا يثيب الا عليه وان ذلك الجزاء الذي وعدنا به انها يكون
لما يرتضيه من المال :

وقد روى عن النبي (ص) قال ان الله يقبل للصدقات ولا يقبل
منها الا الطيب وان هذا الشيء الذي نجعله في سبيل الله لو دفع لك لا
تقبله الا ان تتسامح في اخذه او تنقص من سعره فكيف ذلك عقلك
على جعله في سبيل الله وترجو من الله العوض الضعافا مضاعفة فينبغي للعاقل

(١) سورة البقرة آية ٢٦٧ .

الفاهم ان يلتفت الى قوله تعالى : (واعلموا ان الله غني حميد) (١) ويعرف ان الله غني عن افخر الاشياء واطيبها واغلاها واحلاها وأمنها وانما امرنا بالانفاق ليجازينا باضعافه وان هذا العبد الذي يريد ان يتقرب الى الله بالشئ الرديء سوف تكون عاقبته سيئة ان لم يقننه ويتدارك امره كما سمعت من القرآن في قصة ابني آدم حيث ان السبب الاولي انها قربا قرأنا فتقبل من احدهما لانه كان طيبا ولم يتقبل من الآخر لانه كان خبيثا فصار للتقرب بالخبيث سببا لخث المتقرب حتى قتل اخاه فاصبح من النادمين . ثم ان هذه الآيات الشريفة التي مرت عليك كلها تأمر بالهدل والانفاق وتعد المؤمنين بالجزاء الجزيل والتعويض بالاضعاف المضاعفة فاذا امثلها المؤمن وعمل بها يصبح مقربا لدى الله في الدنيا والآخرة ويكثر ماله ويكون ثريا ، والفقير ينتعش ولا يبقى في حاجة ومسكنة وهذا الامر لا يروق للشيطان عدو الانسان وبالطبع سوف يوسوس للانسان ويمنعه مها استطاع من امثال هذا الامر ولذا نبه الله الانسان وحذره من كيد الشيطان ووسوسته بقوله تعالى : -

« للشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » (٢) :

قال بعض الاعلام : الشيطان فيعال من شطن اذا تباعد فكاله يتباعد اذا ذكر الله تعالى وقيل انه فعلان من شاط يشيط اذا احترق غضبا لانه يحترق ويغضب اذا اطاع العبد ربه ، قال صاحب المقاصد ان للشياطين اجسام نارية شأنها القاء النفس في الفساد والغواية بتذكير اسباب المعاصي واللذات وانساء منافع الطاعات وما اشبه ذلك : وقال المجلسي (رحمه الله)

(١) سورة البقرة آية ٢٦٧ :

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

لا خلاف بين المسلمين في ان الجن والشياطين اجسام لطيفة يرون في بعض الاحيان ولا يرون في بعضها ولهم حركات سريعة وقدرة على اعمال قوية ويجرون في اجساد بني آدم مجرى الدم وقد جعل الله لهم القدرة على التشكل باشكال مختلفة وصور متنوعة كما هو الاظهر من الأخبار والآثار ، وقد نقل المجلسي كلاما من بعض المحققين في كيفية وسوسة الشيطان احييت لقله هنا ليعرف الانسان ذلك فيحترز من الشيطان .

قال : اعلم ان للقلب مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الأحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب او مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها انواع الصور المختلفة فيترآى فيها صورة بعد صورة او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وان كف عن الاحساس والخيالات الحاصلة في النفس تبقى ويتنقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال ، والمقصود ان القلب في التقلب والعائر دائما من هذه الآثار واخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علومها على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى الخواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي الحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة .

فبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة ثم الرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية ثم النية تحرك الاعضاء ثم الخواطر المحركة للرغبة تنقسم

الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني ما
ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان يفتقران الى اسمين مختلفين فالخاطر
المحمود يسمى للهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا
ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما
اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب فهنا استتار حيطان البيت بنور النار
واظلم سقفه واسود بالدخان ، علمت ان سبب السواد غير سبب الاستتار
كذلك لأنوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير
يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا .

ثم اللطف الذي به يتهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي
به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا ، فان المعاني المختلفة
تفتقر الى اسباب مختلفة ، ثم ان الملك عبارة عن خلق خلقه الله من شأنه
افاضة الخير وافادة للعلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره
لذلك والشيطان عبارة عن خلق من شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر
بالفحشاء والتخويف بالفقر عند الهم بالخير ثم الوسوسة في مقابلة الالهام
والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان ، والقلب متجاذب
بين الشيطان والملك ، فقد قال النبي محمد (ص) للقلب لمتان لمة من
الملك ايعاد بالخير وتصدق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد
الله . لمة من العدو ايعاد بالشر وتكذب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد
ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا قوله : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم
بالفحشاء) فالقلب متجاذب بين هاتين اللمتين : وانما يرجع احد الجانبين
على الآخر اما اتباع الهوى والاكباب على الشهوات وأما بمخالفة الهوى
والاعراض عن الشهوات فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر

تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عس الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى للشيطان ومرئعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ومهما غلب على القلب حب الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومتى انصرف القلب الى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهيم فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم . الى آخر ما ذكر هذا المحقق .

وحينئذ اذا عرف الانسان العاقل كيفية وسوسة الشيطان العدو المبين واطلع على الآيات المتقدمة التي تحت الانسان على البذل والانفاق واراد ان ينفق شيئا من المال وجوها او ندها وجاءه الشيطان وقال له اذا اخرجت هذا المال عن ملكك سوف يقل مالك ولعلك تحتاج اليه بعد هذا اليوم فلا تجده فاصرف هذا الفقير المحتاج واحذر ان تكون محتاجا مثله .

فينبغي للعاقل ان يتذكر وعد الله في الثواب الجزيل والفضل الجليل فانه يقول : (والله بعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) (١) وليركن الى وعد الله الصادق ولا يلتفت الى تخويف الشيطان بالفقر وليكن من حزب الله ولا يكن من حزب الشيطان فان حزب الله هم الغالبون المفلحون . روى عن ابن عباس قال : اثنان من الله واثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصي والفضل في الرزق ، وللذان من الشيطان الوعد بالفقر والامر بالفحشاء .

فاذا تمحض القلب لذكر الله في جميع اوقاته وحالاته ولم يبق للشيطان مجال في التصرف به والوسوسة له ترتبت حينئذ على ذلك الفائدة الكبرى ، والثمرة العظمى وهي ما ذكرها الله عزوجل بقوله في هذه الآية : -

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

« يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب » (١) :

لقد تكاثرت الاقوال في تفسير الحكمة ومعناها واحسن ما قيل في معناها هو (تحقيق العلم واتقان العمل) ومعناها تعريفها بانها (الأصابة في القول والفعل) وهذا المعنى هو الظاهر منها والمتبادر الى الذهن عند اطلاقها وهو شامل لهيئة المعاني التي قيلت في تفسيرها ، فقد قيل في معناها انه علم القرآن لاسخذه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه : وامثاله .

عن ابن عباس قيل انه علم للدين وقيل هو المعرفة بالله وقيل هو للفهم وقيل هو خشية الله وقيل هو القرآن والفقہ ، وقيل هو العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائده ، وقيل هو ما اتاه الله انبياءه وامهم من كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وهدينه ، وجميع هذه المعاني تدخل في المعنى الذي ذكرناه فانه اعم منها :

نعم اذا قلنا ان الحكمة هي القرآن بما فيه من العلم فانه يكون اعم من ذلك التفسير ولكن علم القرآن بقول مطلق لا يكون إلا عند النبي ووصيه والظاهر من الآيات والأخبار ان الحكمة يعطيها الله لغير النبي كما اعطاها الى لقمان وهو ليس بنبي :

وقد روى عن النبي (ص) انه قال : (ما اخلص عهد لله عز وجل اربعين صباحا إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) وقد علمت ان علوم القرآن عند غير النبي والوصي فالحكمة تكون اخص من القرآن وعلى ما ذكر من معنى الحكمة من انها تحقيق العلم واتقان العمل او الاصابة في القول والفعل ، انما تتحقق في المرأ اذا كانت جميع مسائله العلمية عن

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ :

تحقيق وتدقيق وجميع اعماله مستندة الى ذلك العلم التحقيقي لا سيما فيما يتعلق
بأمر الدين الذي يكون عليه حسابه في الآخرة فيلزمه التحقيق لئلا يظهر
عليه الخطأ والغلط والسهو والتسامح في النشأة الأخرى ، ولا يمكن هناك
التدراك والاصلاح ولا ينفع الندم والاعتذار فلا يتحقق معنى الحكمة ما لم
يكن تحقيق واتقان واصابة في القول والعمل والأفعال فيما يخص للدين ، اما
لو كان الرجل يحسن تدبير دنياه وحدها في جميع امورها ومن جميع نواحيها
في السياسة والتجارة والحرف والزرع والتغيب على الأعداء في الحرب وغير
ذلك فهل يسمى حكيماً اذا لم يكن محققاً في أمر الدين والآخرة :

نقول . لا ريب انه لا يسمى حكيماً لأن الله تعالى يقول : (ومن
يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً) والدنيا المجردة عن الآخرة ليست
عند الله بخير عنده بكثير (قل متاع الدنيا قليل) فالحكمة التي يؤتيها الله
لمن يشاء من عباده انما هي الحكمة في الدين وفيما يتعلق بأمر الآخرة ولذا
رى التعاريف المتقدمة التي عرفت بها الحكمة كلها متعلقة بأمر الدين :

وعلى هذا ينبغي للانسان العاقل ان يكون حكيماً فيما يدين به الله وان
يأخذ اصول دينه الاعتقادية وفروعه العملية عن ادلة قطعية بحكمة وتحقيق
واتقان ، ولا يأخذ بما اخذ به ابوه فان ذلك مخالف للحكمة ، فان الدين
لا يؤخذ عن الآباء أو الأمهات بل ينبغي للرجل العاقل ان يتحرى الأدبان
ويختار الدين الحق الذي تثبت احقيقته بالأدلة القطعية ، فالرجل المسلم الذي
صدق به نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذا عرف ان النبي جاء بدين
واحد وطريقة واحدة ورأى هذا الاختلاف في امة محمد (ص) وهذه
الفرق للكثيرة المتباينة في طرقها يلزمه ان يفحص عن الطريقة التي امر بها
للنبي (ص) اتمه بانواعها ولا يبقى جامداً على طريقة ابيه وأمه حتى يعرف
تلك الطريقة يمينها فيتبعها فعليه ان يفحص عن اعلم اصحاب النبي (ص)

من بعده واعرفهم بدينه واتقنهم لأحكام القرآن فان عرف الاعلم وميزه
 بشخصه حينئذ ينظر في بقية صفاته من التقوى والزهد والشجاعة والرحمة
 وسائر الصفات الحسنة ، فان عرف اتصافه بها مع كونه اعلم الأصحاب لزمه
 اتباعه والسير في طريقه ، ثم لا يمكن تشخيص هذا الصحابي المتصفت بهذه
 الصفات الا من قبل النبي (ص) فانه هو وحده الذي يعرفه ويشخصه
 لنا فاللازم علينا ان نرجع الى ما بينه للنبي (ص) في وصف اصحابه حتى
 يكون عملنا في الأصول والفروع موافقاً لما يريد الله والرسول .
 وهذه هي الحكمة التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده فاذا تمسك
 الانسان بالمقدمات المذكورة امده الله تعالى بالحكمة التي يلائمها يكون قد
 اوتي خيراً كثيراً .

بقي علينا ان نرجع الى ما ذكره الرواة من الأحاديث النبوية المتسام
 عليها بين جميع الأمة بعد غض النظر عن كل شيء ، فنقول أول شيء
 يهمنا هو البحث عن الرجل الذي عنده جميع علوم النبي بحيث يمكنه الجواب
 عن كل سؤال يوجه اليه من مسلم أو غير مسلم ومن صادق ومن منافق
 ومن زنديق ومن مشكك فاذا عرفنا هذا الشخص يلزمنا التمسك به والانتفاع
 بعلمه الذي يوصلنا الى تحقيق وانتقان العمل او الى الاصابة في القول والفعل
 انه قال : انا مدينة العالم وعلي بابها فن اراد المدينة فليات الباب كما في
 مسدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦ والخطيب في تاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٤٨
 وج ٧ ص ١٧٢ وج ١١ ص ٤٨ و ٤٩ .

والحديث الآخر قوله (ص) : (انا دار الحكمة وعلي بابها) كما
 في صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٠٤ بالضافة
 قوله (ص) : (فن اراد للحكمة فليات الباب فقد عرفنا مما ذكر تواتر
 الحديث عن رسول الله (ص) ان العلم لا يمكن تحصيله إلا من الباب

وليس المقصود هنا إثبات علم علي فإنه لا ينكر وإنما الغرض ان الحكمة التي هي الاصابة في القول والفعل لا تحصل الا بالعلم الحقيقي وهو عند من يمهت النبي لامته ، ومن جملة فوائد الحكمة معرفة بطلان وعد الشيطان وأمره ومعرفة احقية وعد الله وأمره في الآية المتقدمة على هذه الآية قوله (الشيطان يعدمكم للفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدمكم مغفرة منه وفضلا) (١) هذا بالنسبة الى العلم وأما بالنسبة الى التقوى والزهد الذي يقول : (والله لو اعطيت الاقاليم السبع بما فيها على ان اعصي الله في نملة اسلمها جلب شعيرة ما فعلت : الخ) .

وهو القائل لقد رقت مدرعتي حتى استحييت من راقعها ، وأما الشجاعة فيكفي منها موقفه يوم الخندق .

تفسير المراغي ج ٣ ص ٤١ كلام المراغي :

(يوتي الحكمة من يشاء) اي انه تعالى يعطي الحكمة والعلم للنافع

المصرف للارادة لمن يشاء من عباده فيميز به الحقائق من الاوهام ويسهل عليه التفرقة بين الوسوس والالهام :

وآلة الحكمة العقل المستقل بالحكم في ادراك الأشياء بأدلتها وفهم

الأمر على حقيقتها ومن اوتي ذلك عرف الفرق بين وعد الرحمن ووعد الشيطان وعض على الأول بالنواجذ وطرح الثاني ورائه ظهريا :

وقد فسر حبر الامة عهد الله بن عباس الحكمة بالفقه بالقرآن أي

معرفة ما فيه من الهدى والأحكام بأسراره وحكمه ومن فقه ماورد في الانفاق

وفوائده وآدابه من الآيات لا يكون وعد الشيطان له بالفقر وأمره اياه بالهزل مانعا له من الهلك والانفاق والآية للكريمة رافعة شأن الحكمة بأوسع

مالها من المعاني وهادية الى استعمال العقل في اشرف ما خلق له :

(ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا) أي ومن يوفقه الله لهذا

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨ :

النوع النافع من العلم ويرشده الى هداية العقل وتوجيهه الوجهة الصحيحة
فقد هدى الى خيري الدنيا والآخرة ، فهو يسخر القوى التي خلقها الله له
من سمع وبصر وشعور ووجدان في النافع من الأشياء ويعدها لتنفيذ ما يرغب
فيه : ثم بعدئذ يفوض الأمر الى هارثه الذي فطره وسواه ومنه مهذوه ولديه
منتهاه وبهذا لا يستسلم لوساوس الشيطان ولا يقض مضجعه ما يجده من
مكدرات الحياة وآلامها وما تسوقه اليه من مخنها وارزائها اعتقاداً منه ان
كل شيء بقضاء الله وقدره وبهذا يستريح بهاله وتهدأ نائرتة ويجد في قلبه
بردا وسلاماً لمزعجات الليالي والأيام :

(وما يذكر الا اولوا الالباب) اي لا يتعظ بالعلم ويتأثر به ويجعل
الارادة مصرفة خاضعة لمشيئته الا ذوا العقول السليمة والنفوس التي تفرغ
في بحر الحقائق وتستخرج منها ما هو نافع في هذه الحياة وبه سعادتها وتجعله
سلماً ترقى به في معارج الفلاح لتصل به الى خير العقبى حشرنا الله في زمرة
اولئك انتهى كلام المراغي .

(في ظلال القرآن ج ٣ ص ٦٢) كلام سيد قطب (يؤت الحكمة
من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) اوتي القصد والاعتدال
فلا يفحش ولا يتعدى الحدود واوتي ادراك العلل والغايات فلا يضل في
تقدير الامور واوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات
والاعمال وذلك خير كثير متنوع الألوان ، (وما يذكر الا اولوا الالباب)
فصاحب اللب - وهو العقل - هو الذي يتذكر فلا ينسى - ويتنبه فلا
يغفل ويعتبر فلا يبلج في الضلال وهذه وظيفة العقل ووظيفته ان يذكر
موجبات الهدى ودلائله وان ينتفع بها فلا يعيش لاهياً غافلاً فهي معقودة
هذه الحكمة يؤتيها الله من يشاء من عباده .

بمشيئة الله سبحانه هذه هي القاعدة الأساسية في التصور الاسلامي رد

كل شيء الى المشيئة المطلقة المختارة ، وفي الوقت ذاته يقرر القرآن حقيقة اخرى ان من اراد الهداية وسعى لها سعيها وجاهد فيها فان الله لا يحرمه منها بل يعينه عليها (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين) ليطمئن كل من يتجه الى هدى الله ان مشيئة الله ستقسم له الهدى وتؤتيه الحكمة وتمنحه ذلك الخير الكثير - وهناك حقيقة اخرى نلم بها قبل مغادرة هذه الوقفة عند قوله تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتى الحكمة من يشاء) (١) ان امام الانسان طريقين اثنين لا ثالث لهما طريق الله وطريق الشيطان ان يستمع الى وعد الله او ان يستمع الى وعد الشيطان ومن لا يسير في طريق الله ويسمع وعده فهو سائر في طريق الشيطان ومتبع وعده ليس هنالك الا منهج واحد هو الحق ، المنهج الذي شرعه الله وما عداه فهو للشيطان هذه الحقيقة يقرها القرآن الكريم ويكررها ويؤكد بكل مؤكدا لا تبقى حجة لمن يريد ان ينحرف عن منهج الله ثم يدعى الهدى والصواب في أي باب ايسر هنالك شبهة ولا غشاوة . . . الله . . . والشيطان : منهج الله أو منهج الشيطان : طريق الله : أو طريق الشيطان ولئن شاء ان يختار (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة) لا شبهة ولا غش ولا غشاوة وإنما هو الهدى أو الضلال وهو الحق واحد لا تعدد انتهى كلام سيد قطب ، فنأمل به جيداً حتى تعرف ان الحق واحد وانه عند من اوتى الحكمة فاعرفه .

تفسير الطبري ج ٣ طبعة ٢ ص ٨٩ كلام الطبري : (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الالباب) :

(١) سورة البقرة اية : ٢٦٨ .

يعنى بذلك جل ثنائه : يؤتى الله الاصابة في القول والفعل من يشاء من عباده ومن يؤت الاصابة في ذلك منهم فقد اوتي خيراً كثيراً واختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع هي القرآن والفقهاء به ، ذكر من قال ذلك رواية عن ابن عباس في قوله (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه . ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه وأمثاله حديث آخر عن قتادة : (يؤتى الحكمة من يشاء) قال : الحكمة القرآن والفقهاء في القرآن : حديث آخر عن ابي العالية : (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) قال الكتاب والفهم فيه : حديث آخر عن مجاهد قوله : (يؤت الحكمة من يشاء) قال ليست بالنبوة ولكنه للقرآن والعلم والفقهاء :

وقال آخرون معنى الحكمة الاصابة في القول والفعل - ذكر من قال ذلك حديث عن ابن ابي نجيح قال سمعت مجاهد - قال (ومن يؤت الحكمة) قال الاصابة حديث عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل (يوتى الحكمة من يشاء) قال يؤتى اصابته من يشاء - حديث آخر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد - الكتاب يؤتى اصابته - وقال آخرون - هو العلم بالدين ذكر من قال ذلك حديث - قال ابن زبد : (يؤتى الحكمة من يشاء) العقل في الدين ، وقرأ (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) - حديث آخر عن ابن وهب قال قلت لمالك : وما الحكمة . قال المعرفة بالدين والفقهاء فيه والاتباع له انتهى كلام الطبري .

تفسير ابن كثير ج ١ كلام ابن كثير ص ٣٢٢ (يؤتى الحكمة من يشاء) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله

وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً - الحكمة - القرآن
يعنى تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه
وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد يعنى بالحكمة الاصابة في القول ، وقال ليث
ابن ابي سليم عن مجاهد : (يؤتى الحكمة من يشاء) ليست بالنبوة ولكنه العلم
والفقه والقرآن وقال ابو العالية الحكمة خشية الله فان خشية الله رأس كل
حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقرية عن عثمان بن زفر الجهني عن
ابي عمار الأسدي عن ابن مسعود مرفوعاً (رأس الحكمة مخافة الله وقال
ابو العالية في رواية عنه الحكمة الكتاب والفهم وقال ابراهيم النخعي الحكمة
الفهم ، وقال ابو مالك الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك قال زيد
ابن اسلم الحكمة - العقل قال مالك وانه ليقع في قلبي ان الحكمة هو
الفقه في دين الله وامر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله ومما يبين
ذلك انك تجد الرجل عاقلاً في امر الدنيا اذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفاً
في امر دنياه عالماً بامر دينه بصيراً به يؤتبه الله اياه ويحرمه هذا فالحكمة
الفقه في دين الله .

وقال السدي للحكمة النبوة والصحيح ان الحكمة كما قاله الجمهور
لا تختص بالنبوة بل هي اعم منها واعلاها النبوة والرسالة اخص ولكن
لاتباع الانبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء في بعض الاحاديث
(من حفظ القرآن فقد ادرجت النبوة بين كتفيه غير انه لا يوحى اليه)
رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن اسمعيل بن رافع عن رجل لم يسمه
عن عبد الله بن عمر وقوله وقال الامام احمد حدثنا وكيع ويزيد قال حدثنا
اسمعيل يعنى ابن ابي خالد عن قيس وهو ابن ابي حازم عن ابن مسعود
قال سمعت رسول الله (ص) يقول : (لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه

الله مالا فسلطه على ملكته في الحق ورجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها) .

وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن اسمعيل ابن ابي خالد انتهى كلام ابن كثير :

الدر المنثور ج ١ ص ٣٤٨ كلام السيوطي قوله تعالى : (يؤت الحكمة) الآية اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والنحاس في ناسخه عن ابن عباس في قوله : (يؤتى الحكمة من يشاء) قال المعرفة بالقران ناسخه منسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله واخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا (يؤت الحكمة) قال القران يعني تفسيره قال ابن عباس فانه قد قرأه البر والفاجر - واخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد (يؤتى الحكمة من يشاء) قال ليست بالنبوة ولكنه القران والعلم والفقه - واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس (يؤت الحكمة) قال الفقه في القرآن واخرج ابن جرير عن ابي العالية (يؤت الحكمة) قال للكتاب والفهم به - واخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد (يؤت الحكمة) قال للكتاب يؤتى اصابته من يشاء - واخرج عبد بن حميد عن مجاهد (يؤت الحكمة) قال الاصابة في القول - واخرج عبد بن حميد عن قتادة (يؤت الحكمة) قال الفقه في القرآن واخرج ابن ابي حاتم عن ابي العالية (يؤت الحكمة) قال الخشية لان خشية الله رأس كل حكمة وقرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء واخرج احمد في الزهد عن خالد بن ثابت الرهبي قال وجدت فاتحة زبور داود (رأس الحكمة خشية الرب) - واخرج ابن ابي حاتم عن مكحول قال ان القران جزء من اثنين وسبعين جزءاً من النبوة وهو الحكمة التي قال الله : (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً)

واخرج البيهقي في شعب الايمان عن ابي امامة قال قال رسول الله (ص)
(من قرأ ثلث القرآن اعطى ثلث النبوة ومن قرأ نصف القرآن اعطى
نصف النبوة ومن قرأ ثلثيه اعطى ثلثي النبوة ومن قرأ القرآن كله اعطى
النبوة ويقال له يوم القيامة اقرأ وارقه بكل آية درجة حتى ينجز مامعه من
القران فيقال له اقبض فيقبض فيقال له هل تدري ما في يديك فاذا في
يده اليمنى الخلد وفي الاخرى النعيم) اقول : ان هذا الحديث الدال على
استحقاق قاريء القرآن الدرجات في الجنان انما يدل اذا كان القاريء عاملا
بمضمون الآيات والا فالقراءة وحدها لا تكفي كما تقدم من الرواية عن ابن
عباس ان القرآن يقرأه البر والفاجر اما الذي يكون عنده من النبوة بمقدار
ما يقرأه من القرآن اما الثلث او النصف او الثلثان او الكل فهو الذي
يقرأه ويعرف تفسيره وأويله ويعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه
ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله فاذا عرف جميع ما يتعلق بالقرآن
فهو لا ينقص من النبوة إلا الوحي (وهو الفرق بينه وبين النبي) ثم قال
في الدر المنثور ص ٣٤٩ واخرج الطبراني والحاكم وصححه والبيهقي عن عبد
الله بن عمر ان رسول الله (ص) قال من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة
بين جنبيه غير انه لا يوحى اليه ومن قرأ القرآن فرأى ان احداً اعطى
فضل مما اعطى فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله وليس ينبغي لصاحب
القرآن ان يجد مع من جد ولا يجهد مع من جهل وفي جوفه كلام الله
التهى كلام السبوطي .

تنبيه : -

لقد تبين وتحقق من الآية الشريفة ومما ذكره المفسرون من تفسير
الحكمة ان الحكمة اهم شيء واعظم شيء يتصف به العباد بعد النبوة وان
من يتصف بها ينبغي اسائر الناس ان يأتمروا به ويكتسبوا من الأحكام والآداب

والأخلاق في زمان فقدان النبي وان العقل للسلام يحكم ويحكم على صاحبه ان يفحص ويفتش عن اعطى الحكمة ليقنتدي به في اعماله حتى يكون ذلك عدرا له يوم يوقف للحساب بين يدي الله فيسأله عن امامه الذي اقتدى به في الدنيا فان الله يقول : (يوم ندعو كل اناس بامامهم) (١) فان الحكمة قد فسرت بنفاسير كثيرة وكل تفسير منها يدل على ان المتصف بها لا يقول شيئا ولا يفعل شيئا الا الحق الصحيح الموافق لارادة الله والموجب لرضائه فينبغي لطالب الرشيد والتارك للغي المتبعده عنه ان يتأمل في كل تفسير فسرت به ليعرف اله مكلف بمطابقة المتصف بها فقد ذكرنا تفسيرها فيما تقدم فن ذلك انها :

- ١ : - العلم النافع المصرف للارادة ،
- ٢ : - الفقه بالقرآن أي معرفة ما فيه من الهدى والاحكام .
- ٣ : - ادراك العلل والغايات والبصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب .
- ٤ : - الاصابة في القول والفعل .
- ٥ : - القرآن والفقه به .
- ٦ : - المعرفة بالقران ومثله الكتاب والفهم به .
- ٧ : - القرآن والعلم والفقه .
- ٨ : - المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله .
- ٩ : - يؤت الحكمة اصابته ،
- ١٠ : - العلم والدين .
- ١١ : - العقل في الدين .

(١) سورة الاسراء اية ٧٠ .

- ١٢ : - المعرفة بالدين والفقہ فيه والاتباع له .
 ١٣ : - تفسير القرآن .
 ١٤ : - للعلم والفقہ والقرآن .
 ١٥ : - خشية الله .
 ١٦ : - الكتاب والفهم .
 ١٧ : - الفقہ في دين الله .
 ١٨ : - امر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله .
 ١٩ : - الكتاب يؤتي اصابته من يشاء .

فكل واحد من هذه المعاني اذا انطبق على شخصية واتصفت به يكون المتصف مصيبا في جميع اقواله وافعاله لا يخطي فيها ولا يزل لان الله هو الذي يؤتيه هذه الحكمة التي يتبعها الخير الكثير فهو في كل حركة وسكون وتكلم وسكوت يكون تايها لارادة الله سائراً على الطريق الذي امر به الله وان الذين يتصفون بها هم اناس معدودون ذكرهم الله تعالى في آيات عديدة من القرآن بأني التنبيه عليها في محامها فنما الآية في سورة آل عمران قوله : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) ولا تقبل دعوى من يدعي الحكمة الا ان تقرر بحجة تصدقها مثلاً ان ائمة أهل البيت الذين امر رسول الله امته ان يتمسكوا بهم وقرنهم بالكتاب وجعلهم كسفينة نوح فان هؤلاء الأئمة فداعلوا للناس اعلاناً عاماً وقالوا لهم ان الحديث الذي بأتيكم عنا ان كان مطابقاً للقرآن فخذوا به وان لم يكن مطابقاً للقرآن فاوكلوه الى الذي جاء به وكانوا في كل مسألة من المسائل الاعتقادية والعملية اذا طلب منهم الدليل يستدلون اما بآية من القرآن او بحديث عن النبي (ص) مسلم الصدور فمن كان بهذه المرتبة يستند كل اقواله وافعاله الى الكتاب او السنة فانه ممن اوتي الحكمة وينبغي للمؤمن متابعتها والافتداء به :

فهذه الآية الشريفة هي إحدى الآيات الكثيرة التي ترشد الناس إلى طريق الهداية وكيفية الاهتداء ولكن الناس لشدة جهلهم وكثرة ميلهم إلى اللب واللهو لا يلتفتون ولا يدققون النظر في معنى الآية فلا ينتفع بها إلا ذوا العقل السليم وقد صرح لنا الله بهذا حيث قال : (وما يذكر إلا أولوا الألباب) (١) فيلبيغي الذي اللب ان يتأمل ويدقق ليعرف المقصود والمراد من الآية فيعمل به ويكون معدوداً من أولي الألباب عند الله لا عند الناس .
تنبيهه الذي اللب : -

هذه الحكمة التي ذكرها الله ومدحها مدحا عظيما وجعل الخير الكثير تابعا لها وسائراً في ركابها وانه يعطيها لمن يشاء وانما يعطيها لمن يتطلبها ويعمل لتحصيلها ولا يعطيها لمن لا يريدنا فان اعطاهما لمن لا يريدنا او لا يعرف قدرها بعد ظالما لها والله عز وجل منزه عن الظلم . وقد روى ان عيسى بن مريم قام خطيباً في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ولا يستحق الحكمة صاحب العلم الكثير ما لم يكن عاملاً بعلمه . قال الامام الصادق (ع) لهشام ياهشام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا ، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار لأن الله تعالى جعل المتواضع آلة العقل وجعل التكبر من آلة الجهل ، ألم تعلم ان من شتمخ الى السقف رأسه شجه ومن خفض رأسه استظل تحته واكنته فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ومن تواضع لله رفعه الله . فصاحب العلم اذا عرف الحق في جهة ولم يعلم ذلك للناس كان ظالماً والله لا يعطي الحكمة للظالم :

وروى عن النبي (ص) قال من سأل عن علم فكتمه حيث يجب اظهاره وتزول عنه التقية جاء يوم القيامة ملجأ بلجأ من النار ، واذا كان

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ :

صاحب العلم معتقاً احد المبادئ الدينية وعرف ان الحق خلاف ذلك يحتم عليه علمه ان يترك ما هو عليه ويلتزم جهة الحق فاذا بقي على ما كان عليه مما علم بطلانه فهو اذن متكبر على حكم الله والله لا ينبت الحكمة في قلب المتكبر لان الحكمة انما تكون في مكان سهل نقي ليس فيه ما ينافيها وقد لبهنا الله الى هذا الشرط بقوله : (وما يذكر إلا اولوا الألباب) فلا تنفع كثرة العلم ما لم تكن معه حكمة ترشده الى أخذ العلم من منابعه الحقيقية ويناسب مقامنا ما قاله ابن سينا :

هذب للنفس بالعلوم لترقى وخذ لكل فهمي لكل بيت
انما للنفس كالزجاجة والعلوم ضياء وحكمة الله زيت
فاذا اشرفت فانك حي واذا اظلمت فانك ميت

وقد فسر بعض العلماء قوله تعالى : (اولوا الألباب) ذوا العقول الخالصة عن شائبة الوهم بالحكمة التي يؤتيها الله من يشاء هي نور يقذفه الله في قلب عبده الذي سعى في تحصيلها وبهذا للنور يتوصل العبد الى العلوم التي تكشف عن دين الله الحقيقي بواسطة سفرائه الذين عينهم للناس كالأنبياء وأوصيائهم وليس للخلق ان يعينوا السفير الآلي من أنفسهم : (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) (١) فقد تحصل مما ذكرناه في هذه الآية للشريفة : - ان الحكمة لا تحصل إلا لذي العقل الخالص عن شائبة الوهم فن اتخذ آلهه هواه فانه يعبد الهوى ومن اختار شخصاً وجعله منفذا لأحكام الله ولم يحصل الاذن من الله لهذا الشخص ولم يعطه الله علم للقرآن واحكامه بواسطة الملك وبواسطة النبي فيكون هذا الشخص أمراً وناهياً على ما يقتضيه فهمه للقاصر من القرآن فان هذه العبادة غير مرضية لله لانها غير مستمدة من الله اذ الطريق الذي سلكوه غير الطريق الذي عينه الله وهذه الأعمال

(١) سورة للنور آية ٤٠ ،

ليست مبنية على الحكمة ، فالسالك في هذه الطرق اما ان يكون قد عرف
خطأها وسلكها متعمدا لأجل الدنيا الدنية وأما ان يكون غير عالم بالخطأ
وهو العامى غير العالم كما ان الأول هو العالم والثاني مخدوع الأول وكلا
النوعين يدخلان في مضمون قوله تعالى : (الشيطان يعدم الفقر ويأمركم
بالفحشاء) :

فالأول غرضه الدنيا لان الشيطان يخوفه بالفقر في ترك ما هو عليه :
والثاني يأمره الشيطان بالفحشاء لاتباعه للأول فلا تكون لهم عقول
خالصة عن الشوائب وانما تكون عقولهم مشوبة بجميع الأوهام الدنيوية فلم
يحصل لهم من الحكمة شيء ابدا لانهم بنوا دينهم على اساس غير رشيد
بعد ما تبين لهم : (الرشد من الغي) .

تكملة لا بد منها : - لا يخفى على المطلع البصير ان العلم الموجود
عند سائر الناس اما هو مقول بالنشكيك وهو يختلف بحسب الأشخاص
قلة وكثرة فالنبي (ص) يكون اعلم للناس في جميع الأمور حتى لا يحتاج
إلى أحد في علم من العلوم او في شيء من الأشياء فمن كان اقل علما يلزمه
الرجوع إلى الأعلام منه حتى يصل إلى الحقيقة وإلا اذا بقي جامداً على
ما عنده من العلم يقصر عن الوصول إلى الحقيقة في أكثر الأمور الدنيوية ،
وهذا أمر واضح لا ريب فيه وكذلك يكون الأمر في الحكمة فمن الناس
من يكون حكماً في جميع الأمور وهذه درجة الأنبياء فان الله يلهمهم الحكمة
المطلقة ويجعلهم ساسة للناس في امور الدين والدنيا ويلزم على الناس الرجوع
ليهم في امور دينهم وفيما يقع بينهم من التخاصم والنزاع والجدال ليحكموا
بين الناس بالعدل والقسط فكل من امتنع من الرجوع اليهم دل امتناعه
على عدم ايمانه : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) (١)

(١) سورة النساء آية ٦٤ .

فالمرجع الذي يؤخذ منه العلم وتقتبس منه الحكمة هو النبي (ص) في
ايام حياته وأما بعد رحلة النبي من الدنيا فلا خلافت بين أهل العلم والدين
ان اعلم للناس بعد النبي هو علي بن ابي طالب (ع) وهو احكم الناس
ايضا ولا يخالف في هذا إلا مكابر أو جاهل :

ذكر المحب للطبري في ذخائر العقبي ص ٦٣ عن البراء بن عازب قال
قال رسول الله (ص) : (علي مني بمنزلة رأسي من جسدي) ولا يظني
ما في هذا البيان من البلاغة العظيمة فان الغرض من بعثة النبي (ص) هو
التبليغ والارشاد بالكلام وهو في الرأس وان يكون شاهدا على امته في الدنيا
ليشهد عليهم في الآخرة والشهادة تكون بالسمع والبصر وهما في الرأس
والحواس الخمس مجتمعة في الرأس فكأنه يقول علي لنفسه لا يتقصه شيء
سوى الوحي وإلا فهو مثلي في كل شيء فالنبي قد اهان لنا بهذه الكلمة
ان الغرض الذي بعثه الله من اجله يحصل بوجود علي بيننا : ولقد
تحرك القلم ليكتب شيئا من فضائل علي فذكرت ما كتبه قبل هذا من
وجود كتب كثيرة في فضائله . وقال المحب الطبري ص ٧٧ عن انس بن
مالك قال كنت عند النبي (ص) فرأى عليا مقبلا فقال بالنس قلت لبيك
قال هذا المقبل حجتي على امتي يوم القيامة وذكر في ص ٨٣ عن انس
ان النبي قال : (اقضى امتي علي) وعن عمر بن الخطاب قال : (اقضانا
علي) فمن ترك الأعلم الأفضل واتبع المفضول فقد ترك حكمة الله واتبع
هواه فلا يضر إلا نفسه :

روى في الاحتجاج عن سعيد بن ابي الخصيب قال دخلت انا وابن
ابي ليلى المدينة فبينما نحن في مسجد الرسول (ص) إذ دخل جعفر بن
محمد (ع) فقمنا اليه فسألني عن لمسي واهلك ثم قال من هذا معك
فقلت ابن ابي ليلى قاضي المسلمين فقال نعم ثم قال له تأخذ مال هذا فتعطيته

هذا وتفرق بين المرأ وزوجه لا تخاف في هذا احدا قال نعم قال هاي شيء
نقضى قال بما بلغني عن رسول الله (ص) وعن ابي بكر وعمر قال فهل لك
ان رسول الله قال : (اقضاكم علي) قال نعم قال فكيف تقضي بعد قضاء
علي وقد بلغك هذا قال فاصفر وجه ابن ابي لبيلى قال للشمس زميلا لنفسك
والله لا اكلمك من رأسى كلمة ابدا :

وقد وردت روايات عن معادن الحكمة وأهل بيت الوحي في تفسير
الحكمة وما يترتب عليها من الفوائد نذكر بعضها هنا تبصرة لطالب الحكمة :
روي عن النبي (ص) قال ان الله تعالى آتاني القرآن وآتاني من
الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان خرابا
ألا فتفقها وتعلموا ولا تموتوا جهلاء .

وعن الكافي ان النبي (ص) كان ذات يوم في بعض أسفاره إذ
لقيه ركب فقالوا للسلام عليك يا رسول الله فالتفت اليهم وقال : ما اتم
فقالوا مؤمنون قال فما حقيقة ايمانكم قالوا للرضا بقضاء الله والتسليم لأمر
الله والتفويض إلى الله ، فقال رسول الله (ص) علماء حكماء كادوا ان
يكونوا من الحكمة النياء فان كنتم صادقين فلا تهنوا ما لا تسكنون ولا
تجمعوا ما لا تأكلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون :

وروى عن الصادق (ع) قال الحكمة ضياء المعرفة وميراث التقوى
وثمره للصدق ، وما انعم الله على عبد من عباده نعمة انعم واعظم وارفع
واجزل وابهى من الحكمة : قال الله تعالى : (يؤتي الحكمة من يشاء ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الألباب) (١) اي
لا يعلم ما اودعت وهيآت في الحكمة الا من استخلصته لنفسى وخصصته
بها والحكمة هي الثبات وصفة الحكيم الثبات عند اوائل الأمور والوقوف

(١) سورة البقرة آيه ٢٦٩ .

عند عواقبها وهو هادي خلق الله تعالى قال رسول الله (ص) لعلي : لأن يهدي الله علي يدك عبداً من عباد الله خير لك مما طلعت عليه الشمس من مشارقها الى مغاربها .

وفي وصية موسى بن جعفر لهشام بن الحكم واعلموا ان الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن فعليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه غيبة عالمكم من بين اظهركم .

وفي وصية لقمان لابنه يا بني تعلم الحكمة تشرف بها فان الحكمة تدل على الدين وتشرف العبد على الحر وترفع المسكين على الغني وتقدم الصغير على الكبير ، وتجلس المسكين مجالس الملوك ، وتزيد الشريف شرفا والسيد سوودا والغني مجدا وكيف يظن ابن آدم ان يتهاى له امر دينه ومعيشته بغير حكمة ولن يهيء الله عز وجل امر الدنيا والآخرة إلا بالحكمة ، ومثل الحكمة بغير طاعة مثل الجسد بغير نفس ومثل الصعيد بغير ماء ، ولا صلاح للجسد بغير نفس ولا للصعيد بغير ماء ولا للحكمة بغير طاعة ، قال في النهاية وفي الحديث للكلمة الحكمة ضالة المؤمن وفي رواية ضالة كل حكيم اي لا يزال يتطلبها كما يتطلب الرجل ضالته . انتهى .

وقال بعض شراح الحديث المراد ان المؤمن يأخذ الحكمة من كل من وجدها عنده وان كان كافراً او فاسقا كما ان صاحب الضالة يأخذها حيث وجدها . وقد روى عن عيسى بن مريم مثل هذا المعنى وهو اخذ الحكمة فمن وجدت عنده وقد روى ذلك الامام موسى بن جعفر في ضمن وصيته الجليلة لهشام ابن الحكم حيث يقول في اولها .

يا هشام ان الله تبارك وتعالى بشر اهل العقل والفهم في كتابه فقال : (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم

الله واولئك هم اولوا الالباب (١) هذه الفقرة ذكرناها لارتباطها بالموضوع وهو مدح اولوا الالباب ثم يتدرج في وصيته الى ان يقول :
يا هشام ان المسيح عليه السلام قال للحواريين بحق اقول لكم لو وجدتم سراجا يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم به ولم يمنعكم منه ريح لثمة كذلك ينبغي لكم ان تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها بحق اقول لكم ان الناس في الحكمة رجلان فرجل اتقنها بقوله وصدقها بفعله ورجل اتقنها بقوله وضيعها بسوء فعله فشتان بينهما فطوبى للعلماء بالفعل وويل للعلماء بالقول بحق اقول لكم لا يفنى عن الجسد ان كان ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً كذلك لا تغنى اجسادكم التي قد اعجبتمكم وقد فسدت قلوبكم وما يفنى عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم داسة لا تكولوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم .

يكفي ما ذكرناه من الأخبار في تفسير الحكمة ومنافعها لمن يعقلها حقاً فانه اذا تأمل في هذه الأخبار عرف كيف يعهد الله وكيف يطبعه فان الركب الذي لقي النبي فسألهم عن حقيقة ايمانهم كان جوابهم الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله فان امر الله لا يمكن التوصل اليه إلا بواسطة من يعرفه بحقيقته ولا يعرفه الا من يعينه النبي من بعده علماً للأئمة وهذه الأخبار كلها تحت الانسان على ان تكون اعماله كلها مهنية على الحكمة سواء اكلت دنيوية او اخروية ، وقد يتسامح بالامور الدنيوية التي هي بعيدة عن الدين فلا يدقق فيها فانها ان ظهرت مخالفة للحقيقة فلا تسبب الا فوات شيء من المال اما امور الدين فلا ينبغي للعاقل الرشيد التسامح بها ويلزمه ان يكون حكيماً في اختيارها لئلا يقع في خلاف الواقع المطلوب منه لان الله كلف

(١) سورة الزمر آية ١٧ .

عنده بإقامة الدين وهو عند الله شيء محدود مشخص لا يتبدل ولا يتغير ولا يكون برأي احد من البشر مهما كان من العلم والعقل فانه منزل من الله على نبيه الأكرم والنبي (ص) هو الذي كان يعلم الناس :

وأما بعد رحلته فقد اوصى النبي (ص) امته ان يتمسكوا بالثقلين كتاب الله وعترته اهل بيته وان المتمسك بهما لن يضل وانها لن يفترقا حتى يرثا عليه الخوض : فان هذا الحديث لتوازه وشهرته بين جميع العلماء يمكن الاكتفاء به لبعض الناس المطلعين والعارفين بعلماء العترة اذ ليس المقصود جميع العترة فمن كان يعرف العلماء من العترة يتمسك به واما من لم يعرف ذلك فيمكنه الرجوع الى الأخبار المفصلة فقد رويت عن النبي (ص) احاديث تعين وتسمي لنا اشخاصاً وتأمرونا بالرجوع اليهم والأولى ذكر بعض هذه الأخبار تنويراً للقاريء فمن ذلك ما ذكره الحافظ سليمان ابن ابراهيم القندوزي الحنفي في بتابيع المودة ص ٥٢٩ واني اذكر لك نص عبارته على طولها لان ذكرها لا يخلو من فائدة قال : -

الباب السادس والسبعون في بيان الائمة الاثني عشر باسمائهم قال :

وفي فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم يهودي يقال له نعلل قال يا محمد اسألك عن اشياء تلجلاج في صدري منذ حين فان اجهني عنها اسلمت على يدك قال سل يا ابا عمارة فقال يا محمد صف لي رهلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يوصف الا ما وصف به نفسه وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول ان تدركه والأوهام ان تناله والخطرات ان تحده والأبصار ان تحيط به جل وعلا عما يصفه الواصفون ناء في قربه قريب في نأيه هو كيف الكيف وابن الأبن فلا يقال له ابن وهو منزه عن الكيفية والابنوية فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون وصفه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد، قال

صداقت يا محمد : فاخبرني عن قولك انه واحد ولا شبهه له ليس الله واحد
والانسان واحد :

فقال صلى الله عليه وآله : الله عز وعلا واحد حقيقي احدّي المعنى
اي لا جزء ولا تركب له ، والانسان واحد ثنائي المعنى مركب من روح
وبدن قال صداقت ، فاخبرني عن وصيك من هو فما من نبي الا وله وصي
وان نبينا موسى بن عمران اوصى الى يوشع بن نون فقال : ان وصيي علي بن
ابي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة ائمة من صلب الحسين
قال يا محمد فسمهم لي قال اذا مضى الحسين فابنه علي فاذا مضى علي فابنه
محمد فاذا مضى محمد فابنه جعفر فاذا مضى جعفر فابنه موسى فاذا مضى
موسى فابنه علي فاذا مضى علي فابنه محمد فاذا مضى محمد فابنه علي فاذا
مضى علي فابنه الحسن فاذا مضى الحسن فابنه الحجة المهدي فهؤلاء اثني عشر :
قال اخبرني كيفية موت علي والحسن والحسين قال صلى الله عليه وآله
وسلم يقتل علي بضربة على قرنيه والحسن يقتل بالسهم والحسين بالذبح قال
فاين مكالمهم قال في الجنة في درجتي . قال اشهد ان لا إله إلا الله وانك
رسول الله واشهد انهم الأوصياء بعدك ولقد وجدت في كتب الأنبياء
المتقدمة وفيما عهد النبينا موسى بن عمران (ع) انه اذا كان آخر الزمان
يخرج نبي يقال له احمد ومحمد وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده فيكون اوصياؤه
بعده اثني عشر اولهم ابن عمه وختنه والثاني والثالث كانوا اخوين من ولده
وتقتل امة النبي الأول بالسيف والثاني بالسهم والثالث مع جماعة من اهل بيته
بالسيف وبالعطش في موضع الغربة فهو كولد للغنم يذبح ويصبر على القتل
لرفع درجاته ودرجات اهل بيته وذريته ولأخراج محبيه واتباعه عن النار
وتسعة الأوصياء منهم من اولاد الثالث فهؤلاء الاثني عشر عدد الأسباط :
قال صلى الله عليه وآله وسلم اتعرف الاسباط ؟ قال نعم كانوا اثني عشر

اولهم لاوى بن برخيا وهو الذى غاب عن بني اسرائيل غيبة ثم عاد فظاهر
الله به شريعته بعد الدراسها وقائل قرسطيا الملك حتى قتل الملك ، قال صلى
الله عليه وآله كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل
والقذه بالقذه وان الثاني عشر من ولدى يغيب حتى لا يرى وبأبي على امتي
زمن لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا يبقى عن القرآن الا رسمه فحينئذ
يأذن الله تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر الله الاسلام به ويجده طوبى لمن
احبهم وتبعهم والويل لمن ابغضهم وخالفهم وطوبى لمن تمسك بهداهم
فأنشأ نعل يقول :

صلى الاله ذو العلى	عليك ياخير البشر
انت للنبي المصطفى	والهاشمي المفتخر
بكم هداانا ربنا	وفيك نرجو ما امر
ومعشر سمعهم	اثمثة اثني عشر
هم رب العلى	ثم اصطفاهم من كدر
قد فاز من والاهم	وخاب من عادى الزهر
أخبرهم يسقى الظما	وهو الامام المنتظر
عقرتك الأخياري	والتابعين ما امر
من كان عنهم معرضا	فسوف تصلاه سقر

وقد وردت اخبار كثيرة تدل على ان الخلفاء بعد النبي (ص) اثني
عشر كلهم من قريش وهذا ينطبق على قول الامامية لان غيرهم اما يقول
بان الخلفاء اربعة او خمسة بادخال الحسن بن علي معهم واما ان يقول باكثر
من اثني عشر بجعل بني امية وبني العباس من الخلفاء ، فن تلك الأخبار
ما ذكره (للبخارى في كتاب الأحكام) فقد روى بسنده عن جابر بن
سمرة قال سمعت النبي (ص) يقول يكون اثني عشر اميراً فقال كلمة لم

اسمها فقال ابي انه قال كلهم من قريش وبهذا المعنى روايات كثيرة وان
اختلفت في بعض المهمات ففي بعضها اثنا عشر خليفة . وفي بعضها
كلمة امام وفي بعضها وصى وذكره مسلم في صحيحه في كتاب الامارة في
باب للناس تبع لقريش فانه روى بسندين عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع
ابي علي النبي (ص) فسمعتة يقول ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي
فيهم اثنا عشر خليفة قال ثم تكلم بكلام خفي علي قال فقلت لابي ما قال
فقال : قال كلهم من قريش (ورواه الترمذى بسندين عن جابر بن سمرة
ج ٢ ص ٢٥) (وذكره ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١١٢)
(وروى في مستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٥٠١) عن مسروق قال كنا
جلوسا ليلة عند عهد الله بقرونا القرآن فسأله رجل يا ابا عبد الرحمن
هل سألتم رسول الله (ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة فقال عهد الله
ماسألني عن هذا احد منذ قدمت العراق قبلك قال سألتناه فقال (اثنا عشر
عدة نقباء بني اسرائيل) :

ورواه احمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٢٨٩ و ص ٤٠٦ : ورواه
كثير غير هؤلاء وفي بعض الروايات بدل قوله (كلهم من قريش) كلهم
من بني هاشم كما ذكره القندوزي في ينابيع المودة - الباب السابع والسبعون
ص ٥٢٢) . عن عهد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال : كنت مع
ابي عند النبي (ص) فسمعتة يقول عهد اثني عشر خليفة ثم اخفى صوته
فقلت لابي ما الذي اخفى صوته قال قال : كلهم من بني هاشم (ينابيع
المودة باب ٧٦ ص ٥٢٠) :

قال وفي بعض المناقب عن وائلة بن الأسقع بن قرحاب عن جابر بن
عهد الله الأنصاري قال دخل جندل بن جنادة بن جبير لليهودي علي رسول
الله (ص) فقال يا محمد اخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا

يعلمه الله ؟ فقال (ص) اما ما ليس لله فليس لله شريك واما ما ليس
 عند الله فليس عند الله ظلم للعباد واما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم بامعشر
 اليهود ان عزيزاً ابن الله والله لا يعلم انه له ولد هل يعلم انه مخلوقه وعنده
 فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقاً وصدقاً ثم قال اني رأيت
 الهارحة في النوم موسى بن عمران (ع) فقال يا جندل اسلم علي يد محمد
 خاتم الانبياء واستمسك باوصيائه من بعده فقلت فله الحمد اسلمت وهداني
 بك ، ثم قال اخبرني يا رسول الله عن اوصيائك من بعدك لأتمسك بهم
 قال (ص) اوصيائي الاثنى عشر قال جندل هكذا وجدناهم في التوراة
 وقال يا رسول الله سمعهم لي فقال اولهم سيد الاوصياء ابو الائمة علي ثم
 ابنه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغررك جهل الجاهلين فاذا ولد
 علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا
 شهرة لبن تشربه فقال جندل وجدنا في للتوراة وفي كتب الانبياء (ع)
 ايليا وشبرا وشبيرا فهذه اسماء علي والحسن والحسين فمن بعد الحسين وما
 اسمائهم قال اذا انقضت مدة الحسين فالامام ابنه علي ويلقب بزین العابدين
 فبعده ابنه محمد ويلقب بالهاقر فبعده ابنه جعفر ويلقب بالصادق فبعده
 ابنه موسى يدعى بالكاظم فبعده ابنه علي يدعى بالرضا فبعده ابنه محمد
 يدعى بالتقي فبعده علي يدعى بالنقي والهادي فبعده ابنه الحسن يدعى
 بالعسكري فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة ثم يخرج فاذا
 خرج يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً طوبى للصابرين في
 غيبته طوبى للمقيمين على محبتهم اولئك الذين وصفهم الله في كتابه (هدى
 للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) ثم قال تعالى (اولئك حزب الله الا ان

حزب الله هم الغالبون) :
 فقال جندل الحمد لله الذي وفقني بمعرفتهم ثم عاش الى ان كانت

ولادة علي بن الحسين (ع) فخرج الى الطائف ومرض وشرب لبنا وقال
اخبرني رسول الله (ص) ان يكون آخر زادي من الدنيا شرهة لبن ومات
ودفن بالطائف بالموضع المعروف بالكوزارة :

لقد سمعت وصف رسول الله للركب الذين سألهم عن حقيقة دينهم
فاجابوه بانهم الراضون بقضاء الله والمسلمون لامر الله فوصفهم النبي بالعلماء
والحكماء : اخى تثبت ودقق وحقق وسر في الطريق برشد وحكمة حتى
تصل الى المطلوب ان كنت تريده اما الذي لا يريده فلا يهملك امره عالما
كان او جاهلا .

فقد روى عن رسول الله (ص) انه قال : (لا قول الا بعمل
ولا قول ولا عمل الا بنية ولا قول ولا عمل ولا لية الا باصابة السنة) .
تأمل جيدا في هذا الكلام وهو كلام النبي الذي لا ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى وهو بهذه الجملة المختصرة يرسم لامته قالوا وانظاما
يسمرون عليه الى يوم القيامة فمن تخلف عنه فلا يضر الا نفسه ومن اراد
اتباع النبي والسير على سنته يلزمه التمسك بهذا النظام ، ومفاد هذه الجملة
موضحا مبسوطا ليتجلى معناها هو ان الانسان اذا شهد الشهادتين فقال :
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . واعترف وشهد بالعدل
والبعث والحساب والصراف والجنة والنار واعترف بوجوب الصلاة وللصوم
والزكاة والحج وغير ذلك من الواجبات واعترف بحرمة جميع المحرمات فهذا
الاعتراف باللسان : والقول المجرد لا ينفع شيئا ما لم يكن معه عمل مطابق
للقول ، فاذا قال للصلاة واجبة وكرر هذه العبارة في كل يوم وفي كل
ساعة مئات المرات لا يفيد شيئا ما لم يؤدي للصلاة فاذا اعترف بوجوبها
واداها بأن صلى للفرائض الخمس في كل يوم وليلة ولكن كانت صلواته
بلا لية منه فان يستقبل القبلة ويكبر ويأتي بركعتين وقت صلاة الصبح وكذا

يأتي بأربع ركعات وقت الظهر وكذا العصر والمغرب والعشاء كل ذلك بلا نية منه لاداء الفريضة الواجبة تقرها الى الله فهذا ايضا لا ينفعه شيئا ولا يكون مصليا ولا يعد مؤديا للفريضة :

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي ان يعترف الانسان بوجود الصلاة ثم يأتي بالصلاة وهي مشتملة على النية المعينة للفريضة متقربا بها الى الله تعالى ولكنه لا يصيب السنة بحيث لا يأخذ احكام دينه من واسطة عالمة باحكام العبادة التي امر بها النبي مستمداً من الوحي السماوي فهذا ايضا لا ينفعه كما هو صريح كلام النبي فاذا أتى بعبادة وهي ناقصة جزءاً او زائدة جزءاً او متقدمة عن وقتها المضروب لها لا ينتفع بعبادته لانها لم تصب السنة ولا يكون الوزر الا على صاحبها اذ انه لم يجتهد لدينه كما يجتهد لديناه فان عليه ان يأخذ احكام دينه ممن عينه له النبي في قوله : (انا مدينة للعالم وعليها) فان اللازم على العاقل ان يأخذ احكام دينه ممن يوثق به وتركن ليه النفس في صدقه وعدالته وورعه ، اما الذي لا يتورع في روايته كابي هريرة وامثاله فلا يجوز ان يعول عليه في شيء من امور الدين ولا من غيره وقد كشف البحث وللمتقريب عن كذبه في الرواية عن النبي فانظر في كتاب شيخ المضيرة محمود ابوريه لتعرف ماقيمة ابي هريرة فينبغي اخذ احكام الدين عن اصحاب النبي الموثوقين اهل التقوى والدين الذين لم يرتكبوا ذنبا ولا معصية قط لا في حياة النبي (ص) ولا بعده واما الذي ارتكب معصية ولم يتب منها فان للنفس لا تطمئن اليه ولا يعذر من يأخذ منه احكام الدين فمن اخذ احكام دينه منه لم يصب السنة فكان عمله هباء منثورا .
قوله تعالى : -

(ان تهدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير

لكم ويكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون خبير (١) :

لقد ذكر الله تعالى في هذه الآية صفتين من صفات الصدقة هدا ما
 ندهم اليها وحشهم عليها في هذه الآيات العديدة وذكر صفاتها التي تكون
 سببا لقبولها والتي تكون سببا لابطالها وعدم قبولها عند الله وهنا ذكر ان
 للصدقة وهي المال الذي ينفقه المسلم طلبا لمرضات الله اما ان تكون بادية
 اى يجاهر بها المنفق ويدفعها لمستحقها امام الناس واما ان يخفيها ويتكتم بها
 ولا يدفعها امام الناس ، وذكر ان ابداءها والتظاهر بها حسن (فنعما هي)
 وان للتكتم بها واخفاءها فهو افضل واكثر خيرا وقد ورد في الأخبار ان
 للصدقة الواجبة كالزكاة ينبهي ابداءها واطهارها لئلا تنهم بعدم اداؤها
 والصدقة المندوبة ينبهي اخفاءها والتكتم بها فراراً عن الرياء وعمما يخطر في
 القلب من ذلك :

وقد روى عن ابى جعفر (ع) قال : (البر وصدقة السر ينفيان
 الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعة مئة سوء) وكان علي بن الحسين
 يقول : (ان صدقة السر تطفيء غضب الرب كما يطفىء الماء النار فاذا
 تصدق احدكم فاعطى يمينه فليخفها عن شماله) . وعن الامام الباقر (ع)
 لما غسل اباه عليا نظروا الى مواضع المساجد من ركبتيه وظاهر قدميه كأنها
 مبارك البعير ونظروا الى عاتقه وفيه مثل ذلك فقالوا لمحمد يا بن رسول الله
 قد عرفنا هذا من ادمان السجود فما هذا الذي نرى على عاتقه ؟ قال اما
 لو لا انه مات لما حدثتكم ، كان لا يمر به يوم الا اشبع به مسكينا فصاعدا
 ما امكنه واذا كان الليل نظر الى ما فضل عن قوت عياله فجعله في جراب
 فاذا هدا للناس وضعه على عاتقه وتخلل المدينة وقصد قوما لا يسألون
 الناس الخافاً وفرغه فيهم من حيث لا يعلمون من هو ولا يعلم بذلك احد

(١) سورة البقرة آية ٢٧١ :

من اهله غيرى فاني كنت اطلعت على ذلك منه يرجو بذلك فضل اعطاء
الصدقة بيده ودفعها سرا .

وروى عن بعض اهل المدينة قال ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي
ابن الحسين (ع) وكان في المدينة كذا وكذا بيتا يأتيهم رزقهم وما يحتاجون
اليه لا يدرون من اين يأتيهم فلما مات زين العابدين (ع) فقدوا ذلك
فصرخوا صرخة واحدة وقد صرحت الآية ان للذي يخفي صدقته يكفر الله
عنه من سيئاته حيث ان الله خبير بما نعمله .

قوله تعالى : — (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء وما
تنفقوا من خير فالأنفوسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من
خير يوفى اليكم وانتم لا تظلمون) (١) :

لما انزل الله تعالى على رسوله الآيات العديدة التي رغبتم المؤمنين على
بذل المال وحبسهم على الانفاق ووعدهم بالجزاء الجزيل والثواب العظيم
المضاعف وفي ضمن هذه الآيات ذكرت الحكمة التي هي احسن شيء يحظى
به المؤمن وان الله يؤتيها من يشاء فمن يؤهل نفسه لها باخلاص النية وتصفية
القلب والاستعداد من الله في جميع الامور والاعراض عما سوى الله ورسوله
ومن يرتضيهاه وقد بين الرسول الأكرم جميع هذه الامور لامته فاتصف
بعضهم بهذه الصفات النبيلة فاقر الله الحكمة في قلبه وجرت على لسانه
وبعضهم يظهر للناس انه متصف بها ولكن قلبه مغموش فاسد وبعضهم
بقى على ما هو عليه من النفاق وهذا مما يأسف له للرسول الكريم الذي
يريد الخير لعموم البشر ولا يجب ان يكون في امته نقص ولو في جزء
واحد منها وهو يعرف هؤلاء المنافقين كما عرفه الله في قوله :

(ولتعرفنهم في لحن القول) فكثرت وجده وزاد اسفه فاراد الله تسليته

(١) سورة البقرة آية ٢٧٢ :

بهذه الآية الشريفة وان هدايته الناس انما هي بيد الله ولا يقدر عليها احد
 غير الله ثم بين الله عز وجل لمن تأثر بالآيات فالفق المال ولن لم يتأثر
 فلم ينفق شيئا وانفق رياء او اتبع الانفاق بالمن والاذى عرفهم جميعا ان
 هذا الانفاق الذى يتحقق منهم انما يعود نفعه عليهم ويخص انفسهم فقط
 اذا كان خالصا لله تعالى كما يدل عليه قوله : (وما تنفقون الا ابتغاء وجه
 الله) اما الذى ينفق لغير الله فلا ينتفع به المنفق لان الله تعهد بالجزاء لمن
 يعمل لاجله وهذا المنفق ليس منهم وقد وجه الله الخطاب في الآية اولا
 الى النبي واخبره بالك غير مكلف من الله بان تهدي الناس وانما انت
 مكلف بالتبليغ واسماهم الآيات والاحكام ثم وجه الخطاب الى للعباد
 وعرفهم بان هذا الانفاق الذى يلغكم به الرسول انما هو لانفسكم لا يعود
 على الرسول شىء منه والله هو الذى يقرر لكم الجزاء على نفقاتكم فاللازم
 عليكم اذا اردتم الجزاء المضاعف ان لا تكون نفقاتكم الا خالصة لوجه الله
 تعالى وان لا يشوبها احد المبطلات لها من المن والاذى والرياء او كون
 المال المنفق من القسم الردىء الخبيث ففي الجملة الاولى وهي : (وما تنفقوا
 من خير فلانفسكم) عرفهم ان الانفاق انما يعود نفعه الى انفسهم لا لغيرهم
 فمن اراد لنفسه نفعا فلينفق ماشاء قلة او كثرة ، وبالجملة الثانية وهي : (وما
 تنفقون الا ابتغاء وجه الله) عرفهم ان النفقة التي تريدون ثوابها ونفعها لانفسكم
 انما يحصل ذلك لكم ويتحقق النفع والثواب اذا كانت خالصة لوجه الله
 اما اذا خالطها شىء آخر كالرياء او تعقبها من او اذى او كانت هي
 بحسب ذاتها غير صالحة لان تقدم لله خبثها ورداءتها فليس لكم جزاء عليها
 فانها فائدة للشرط الموجب للقول فان الله طيب لا يقبل الا الطيب ثم
 عرفهم بالجملة الثالثة وهي : (وما تنفقوا من خير يوف اليكم والله لا

تظلمون) (١) بان الخبير الذي تنفقونه سيعود اليكم وايضا ويمكن ان يكون الفرق بين هذه الجملة والجملة الأولى ان المقصود من تلك هو النفع لكم في الآخرة والمقصود من هذه هو التوفية لكم في الدنيا فلا تحسبوا هذه النفقة خسارة مالية فانها ستعود اليكم فالذي يعتمد على وعد الله لا يبخل في بذل المال بعد سماعه لهذا الوعد ثم اكدها بقوله : (وانتم لا تظلمون) أي ان الوعد بالتوفية ليس فيه خلف وان خلف الوعد لا يجوز على الله وانما يقع من بعض البشر الذين لا ذمة لهم ولا يستقبحون خلف الوعد ثم ذكر شرطا آخر للنفقة المرضية :

(للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربها في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) (٢) .

بعد ما حث الله عباده المؤمنين في هذه الآيات العديدة ورجبهم في انفاق المال ووعدهم بالثواب الجزيل في الآخرة والتعويض المضاعف في الدنيا عرفهم في هذه الآية بمن يدفعون له هذه الصدقات ومن اي الأصناف هم فامرهم بدفعها للفقراء الذين لا يمكنهم الاتجار والكسب اما لعجزهم عن ذلك او لمرض عرض لهم او انهم حبسوا انفسهم وحصروها بالقيام بما ينفع المسلمين ويؤيد الدين كجهاد الأعداء وتحصيل العلم النافع وقد وصفهم الله بالعفة والهم لا يسألون الناس ولا يلحون في الطلب منهم وهذا يشمل كل مؤمن فقير فاذا دفع ذو المال صدقته الى المؤمن الفقير كالت هذه النفقة مقبولة عند الله وقد خص الله هذا الصنف لتدفع لهم الصدقات ولا تدفع لمن لا يستحقها كما نرى في هذا الزمان بعض الناس يدفع بعض المال

(١) سورة البقرة آية ٢٧٢ :

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٣ :

الى من بيده السلطة لكي يتقرب له ويدنو منه فاذا جاء الفقير صرفه محروما
وبعضهم يدفعها الى السفهاء الذين يضحكون للناس بالاهاطيل ويحرم المسحق
لها وعلى كل ينبغي دفع للصدقات الى المؤمن الفقير المتعفف وهو معروف
عند اهل العقل في كل زمان ومكان لانا نراه لا كسب له ولا ملك ولا
تجارة وهو متعفف لا يسأل الناس شيئا واذا مثل عن حاجته الى المال ينهي
ذلك ويقول اني غير محتاج :

قوله تعالى :

(للذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) :

لقد ذكر الله تعالى في الآيات المتقدمة تفصيل للصدقة والواعها واقسامها
وذكر الواع المنفقين وذكر جزاء للنفقات الذي جعله الله لارباها وذكر
في هذه الآية صنفا من المنفقين وهم الذين لم يجعلوا لنفقاتهم وقتا خاصا
او مقدارا خاصا بل ينفقون في كل وقت وينفقون جميع ما عندهم ولا
يتركون لانفسهم شيئا اعتمادا على وعد الله بتعويضهم لما ينفقون الصعافا مضاعفة :
ثم ذكر ان اجر هؤلاء القوم محفوظ عند ربهم ولم يبين له قدره
معينا ويمكن ان يكون عدم بيان مقداره اشارة الى عظيمته وان للعباد لا يمكنهم
حصره وعده ثم ذكر ان لهم مع هذا الاجر المحفوظ عند الله الهم لا يصيبهم
خوف من كل ما يوجب الخوف في الدنيا والآخرة ولا يصيبهم حزن من
كل ما يوجب الحزن في الدنيا والآخرة فكل خوف او حزن يصيب الناس
في الدنيا والآخرة هم آمنون منه فلا يخافون إلا من الله ولا يحزنون إلا
لفوات ثواب الله ، وقد ذكر المفسرون من العامة والخاصة ان الآية نزلت
في شأن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) فقد كان عنده اربعة

(١) سورة البقرة آية ٢٧٤ :

دراهم فتصدق بواحد ليلا وبواحد نهارا وبواحد سرا وبواحد علانية
فنزات الآية :

وبعد الانتهاء من ذكر الآيات نذكر بعض الروايات الواردة عن
النبي (ص) والائمة الهداة عليهم السلام في الحث على الصدقة وفي منافعها
الدنيوية والاخروية : روى عن النبي (ص) قال من سره ان يدفع الله
عنه نحس يومه فليفتح يومه بصدقة .

وروى عن النبي قال : على كل مسلم في كل يوم صدقة قيل من
يطبق ذلك قال امامتك الاذى عن الطريق صدقة وارشادك الرجل الى الطريق
صدقة وعيادتك المريض صدقة وامرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر
صدقة ، وردك للسلام صدقة . وقال امير المؤمنين عليه السلام استنزلوا
الرزق بالصدقة من ايقن بالخلف جاد بالعطية ، وقال من يعطي باليد القصيرة
يعط باليد الطويلة وقال اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة ، وقال في وصيته
لاينه الحسن (ع) واعلم ان امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة
واله لاغنى بك فيه من حسن الارتداد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر
فلا تحمان على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وهالا عليك واذا
وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غدا
حيث تحتاج اليه فاغتمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فعليك ان
لطلبه فلا تجده واغتم من استقر منك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في
يوم عسرتك :

وسئل الصادق (ع) اى الصدقة افضل قال ان تصدق وانت
صحيح صحيح تأمل البقاء ونحاف الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقة
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وحكي عن ابن فهد في العدة قال للصدقة
على خمسة اقسام .

الأول : - صدقت المال وقد سلفت :
الثاني : - صدقة الجاه وهي الشفاعة .
الثالث : - صدقة العقل والرأى وهي المشورة .
الرابع : - صدقة اللسان وهي الوساطة بين الناس والسهي في ما يكون
صهبا لاطفاء للنائرة واصلاح ذات البين :
الخامس : - صدقة العلم وهي بذله لاهله ونشره على مستحقه :
وروى عن النبي (ص) انه سأل جبرئيل عن الصدقة فقال يا رسول
الله الصدقة على خمسة اقسام : قسم منها الواحد بعشرة ، وقسم الواحد
بسبعين ، وقسم الواحد بسبعمئة ، وقسم الواحد بسبعين الفا ، وقسم الواحد
بمائة الف ، فقال رسول الله ما تفسر ذلك يا جبرئيل قال : -
اما التي تكون الواحدة بعشرة اذا كانت على سائر الناس المستحقين
صحيحي البدن :

واما الواحد بسبعين اذا كان المستحق لا يمكنه الاكتساب بمرض
او غيره :

واما الواحد بسبعمئة اذا كان المستحق من آل الرسول ،
واما التي الواحد بسبعين الفا اذا كان لارحامه او ابيه :
واما التي الواحد بمائة الف اذا كان لطالب العلم صحيحا كان او مريضا
لانه يتقوى على طلب العلم وينفع به عباد الله .

ولما فتح الله لعباده باب الصدقة واعلمهم انها جالفة للرزق الكثير
وان فيها خير الدنيا والآخرة فالمؤمن الموحد المعتقد بان زمام الامور كلها
بيد الله وليس لأحد غيره قدرة على التصرف في الارزاق وغيرها من الامور
ينبغي له بعد الاطلاع على هذه الآيات للتوجه الى الله في كل ما يروم ويريد
من الامور فاذا لجأ في شيء من الامور الى ما نهى الله لكشف عمله هذا

عن ضعف عقيدته بالله وعدم الاطمئنان بوعدده ولهذا فقد توعد الله بالعذاب الشديد لمن يتمسك بما حرم الله في تحصيل الرزق فقال جل شأنه بهد هذه الآيات تنبيهها لعباده :

قوله تعالى : -

(الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فن جائه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (١) .

لقد فسروا الخبط : بالمشي على غير استواء . ويوصف المرأ الذي يتصرف في امر على غير هدى انه يخبط خبط عشواء ، ويقال خبط البعير الارض اذا اختلت مشيته ويعلم من هذا ان كل امر اذا غير الانسان نظامه الطبيعي او للشرعي مما جعل عليه بحيث ترك الوجه الصحيح وعمل بالوجه للفاسد فقد تخبط فيه ، اما للقيام المذكور فتارة يكون المقصود منه للقيام المقابل للجلوس وتارة يكون بمعنى التصرف وادارة للشؤون كما يقال فلان قام بالامر احسن قيام او فلان لم يحسن للقيام بالامر للفلائي ولا مانع من ارادة كلا الامرين معا في الآية الشريفة :

والمرابي لما ترك الأمر الذي رخصه الله فيه وهو البيع وعمل بما نهاه عنه وهو الربا فقد خبط خبط عشواء حيث ترك الطريق الذي امره الله بسلكه واخذ في طريق نهاه الله عنه وهو مع ذلك يجادل اهل الحق ويدعي عدم للفرق بين الطريقين لانه لم يدرك حكمة الله التي بنى الله احكامه عليها وليس له ايمان راسخ متين وعقيدة كعقيدة اهل الحق فان الله شرع احكامه على الحكمة والمصلحة حتى يطيع اوامر الله وان لم يعرف وجه الحكمة ولا

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

رب بان لله عز وجل في كل قضية حكما معيناً لا يتغير ولا يتبدل وان
الله اودع الأحكام كلها عند النبي بواسطة الملك الذي ينزل عليه وعلى هذا
فكل قضية اذا انحرف الانسان فيها عن جادة الصواب وسلك طريق الضلال
والهلاك فهو متخبط تخبط الأعمى ويكون من مصاديق الآية الشريفة ههدنا
عرفنا ان المقصود من القيام هو التصرف المخالف للصواب وليس للقيام
المقابل للجلوس فقط وقد شبه الله هذا الانسان التارك للصواب والسالك
طريق الضلال بالمشوس والمجنون الذي يسلم قياده للشيطان فيقوده الى حيث
يهوى به في الظلمات فان اختيار هذه الطريقة هي من اعظم انواع الجنون
لان الجنون المضر بالآخرة اعظم بمراتب من الجنون المضر بالدنيا وبعد
هذا ينبغي لنا ان نتساءل في الدنيا قبل التساؤل في الآخرة فنقول : اذا كان
الله قد جعل لكل قضية ولكل مسألة حكما معيناً واودع علم جميع الأحكام
الى النبي وانه لم يترك قضية واحدة الا وبين حكمها كما يدل عليه قوله :
(اليوم اكملت لكم دينكم) وان النبي (ص) بلغ جميع هذه الاحكام
لامته باتفاق جميع الامة على ذلك :

نسال ما سبب هذا الاختلاف الواقع بين الامة ؟ نقول الاشكال ان
هذا الاختلاف انما هو من تخبط الشيطان بالإنسان وجره الى الطرق الملتوية
التي تبعد عن الصراط المستقيم الذي نصبه الله لعباده وبينه لهم واوضحه
غاية الايضاح ، وإلا لو ترك شيئا من الايضاح لكان غير مهلبغ لرسالة ربه
وحاشاه ان يكون كذلك وان الحججة تلزم كل شخص على انفراد فان
الله قد اعطى كل انسان من العقل ما يميز به بين الحسن والقبيح وبين
للضار والنافع ولا يسوغ له ان يعول على غيره في هذا للشخصين والتمييز
وكان الناس في ايام وجود النبي (ص) بينهم يرجعون اليه في احكام
القضايا مما كان نوعها واما بعد ارتحال النبي عنهم فالناس قد صاروا على

الواع : لالهم افترقوا فرقا كثيرة ولا يمكن ان ينتمي العاقل الرشيد الى واحدة من هذه الفرق الا بارشاد من النبي (ص) وقد تواتر الحديث عن النبي (ص) انه قال : (انى تارك فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي) ولا ريب ان سيد اهل بيته علي بن ابي طالب فانه اودع عنده علومه ولم يترك الامة تائهة في حيرتها ولا تعرف مرجع احكامها .

ايها الرشيد اللبيب اذا اردت ان تعرف الحق والدين الصحيح فانظر الى كتاب اثبات الوصية للمسعودي المقبول عند الجميع فانه يذكر فيه ان جميع الانبياء من آدم الى محمد اذا حضرتهم الوفاة يأمرهم الله ان يسلموا لور الله والحكمة والعلم المنزل عليهم الى وصيهم ليقوم بالامر بعدهم ويكون هو المرشد لامتهم ، وهذه هي سنة الله في عبادته . فلماذا نسبوا الى افضل الانبياء وخاتمهم انه ترك هذا الامر ولم يعين وصيا مرشدا وان ترك الوصية مستقبح من اقل للناس فكيف ينسب الى النبي (ص) ؟ . ايها المسلم الرشيد المفكر لهدان هاهنا من ابواب الدين الاسلامي اولها : - باب الصدقات الواجبة والمندوبة وثالبيها : - باب الربا المحرم ويتفرع منها فروع كثيرة لا تحصى وان الانسان مهما بلغ من العلم فانه معرض للخطأ والسهو والنسيان اما الامام الذي تقول به الفرقة الامامية فانها تعتبر فيه العصمة من هذه الامور وكذا تعتبر فيه العصمة من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها لانه منصوب من قبل الله والرسول لا من قبل بشر ولقد كان هذا الكلام عن الامامة تعليقا على كلمة (يتخبطه الشيطان) وان كل فعل اباحه الله فجعل العبد المحرم كالمباح او المباح كالمحرم كما حكى الله عنهم : (قالوا انما البيع مثل الربا) فليعلم ان هذا من تخبط الشيطان وليعلم العاقل الرشيد ان اهم الامور واعظمها امر الامامة فان الانسان اذا تركها اختلت جميع اموره لاذ انه يأخذ احكام

دينه من منبع غير متصل بالنبي (ص) وهو يصيب مرة ويخطأ مرات وهذا خلاف المرشد وسوف يأتي في ضمن الآيات ان شاء الله ما يزيدك وضوحاً فكل حكم من احكام الدين اذا اخذه المكلف من غير العالم المعصوم وكان المفتي له بذلك مخطئاً وعرف المكلف بعد حين انه كان على غير رشد من اخذه من هذا المفتي فتركه ورجع الى قول المعصوم فان اعماله مقبولة عند الله وان كانت خلاف الحق والحقيقة كما يدل عليه قوله تعالى : (فن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) (١) ، واذا عرف الحق فبقى مصراً على باطله فيدخل تحت قوله : (ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (٢) فالآية الشريفة وان كانت واردة في حكم الربا إلا أن حكمها عام شامل لكل من عرف الحق وبقى متمسكاً بالباطل فافهم ذلك جيداً ثم ان هذه الآية وان لم تكن من موضوع كتابنا لان الموضوع هو صفات المؤمنين وهذه الآية من القسم المقابل ولكن لما جعلت مقابلة المؤتي الزكاة والصدقات وفيها فوائد كثيرة نذبه الناس عن غفلتهم ادرجناها في الموضوع وكذا الآية التي بعدها وهي قوله تعالى :

(يحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم) (٣) ان اخراج الصدقة من المال ودفعتها لمستحقها بلا عوض موجب لتقصان المال وهو امر معلوم محسوس لا ريب فيه وان اخذ الربا وهو الفائض من الغير واصافته الى المال موجب لزيادة المال وهو امر معلوم محسوس يدركه كل احد ولكن لما كان الامر الاول مما يرضى به الله وامر به عبادته والثاني مما لا يرضى به ونهى عنه عبادته اخبرنا الله بان التميجه التي تعرفونها سوف

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٧٦ .

تكون معكوسة حتا وان الأول سوف يكون موجبا للزيادة والثاني سوف
يوجب الخسار والإهانة فمن كان يعرف الله وقدرته فليعلم ان الله سيحقق ما
اخبر بوقوعه وتحققه فلا تخلف في هذا الأمر :

ثم اخبرنا الله انه لا ينتهي الأمر بالنعكاس النتيجة فحسب وانما يكون
وراء ذلك وهال اشد واعظم منه وهو ان هذا الذي يترك المحبوب لله ويفهل
المبغوض له سوف يكتب عند الله من الكافرين والآثمين وان الله لا يحب
الكفار الأثيم ومن لا يحبه الله فهو من الخاسرين ولا يرى خيرا أبدا في الدنيا
والآخرة :

فاذا كان عند الإنسان عشرة دراهم فتصدق بدرهم واحد فهو يوطن
نفسه على ان يبقى عنده تسعة دراهم وانه سيلقى ثواب ذلك الدرهم عند
الله في الآخرة فان صريح هذه الآية ان الله تعالى يربي هذا الدرهم فيجد
المنفق ثواب عشرة دراهم او سبعين درهما او اكثر من ذلك حتى ينتهي
الى المائة الف او اكثر ، وأما النسيئة التي بقيت عنده وقد يضاعفها الله
فتصير بعد زمان قصير اضعاف ذلك العدد فهو قد حافظ على ماله في الدنيا
وضوعف له ثواب صدقته في الآخرة وحافظ على ثواب بقية اعماله من
صلاة وصوم وحج وغيرها هذا ما يكون من حال المتصدق ومرة يكون
عند انسان آخر عشرة دراهم فهو يريد ان يصيرها احد عشر فيرابي فيها
ويجزم انه بعد شهر سيحصل على احد عشر درهما وهو يرى بجهله المركب
انه لم يفعل شيئا الا كمن باع سلعة باحد عشر درهما كان قد اشترها هو
بعشرة دراهم ويعتقد بجهله انه قد ادى ما عليه من صلاة وصوم وحج ثم
ان هذا الانسان في الدنيا قد يأتي عليه زمن قصير واذا بهذا الدرهم الذي
كان يأمل الضافته الى العشرة قد ذهب في وجهه باطل وسحب معه العشرة
كلها او اكثرها فلم يبق عنده شيء واذا طال الزمان وكثرت العشرة حتى

صارت عشرين او ثلاثين ترى هذا الرجل معها منكودا يتجول في المحاكم
ويقيم الدعوى على احد المدنيين لانه لم يدفع له المبلغ في المدة المعينة ،
ويشتكي على الآخر لانه اصبح مفلسا وليس عنده شيء ، ويشتكى على ورثة
الآخر لانه مات ولم يخلف شيئا يسد الطالب ، وهكذا هو في تجوال وخبث
في القيام بشؤون حياته .

واما في الآخرة فانه يقوم من قبره الى حشره كما وصفه النبي (ص)
وبطنه كالبيت ترى فيه الحيات من الظاهر واذا رأى جزاء صلاته اذا بها
قد تطهر لها بماء اشتراه من الربا وصلاها بثوب اشتراه من الربا واداهها في
دار اشترها من الربا وكذا بالنسبة الى حجه ، واذا عرض عليه صومه فاذا
به قد تقوى عليه بطعام كله من الربا ، ثم يقال له ان الاعمال انما تقبل
من المتقين وانت لمعاودتك على الربا معدود من الكافرين الآثمين .

هكذا يحق الله الربا فلا راحة في الدنيا ولا نجاة في الآخرة ، وليعلم
المرابي ان ضم الدرهم الى الدرهم ولف الدينار مع الدينار لا ينفعه اذا كان في الدنيا
متعبا وفي الآخرة معذبا ، ثم لما بين الله لعباده انه لا يحب الكفار الاثيم عقب ذلك
بانه يجب المؤمن وانه يحفظ له جزاءه فقد ذكر بعض صفات المؤمنين بقوله تعالى :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) .

ان الله وعد طائفة من الناس بان يحفظ لهم اجرهم الذي وعدهم به
وان يؤمنهم في كل مكان وزمان يكون الناس في خوف ووجل وان يجعلهم
فرحين في كل وقت يكون الناس في حزن وقد وصف الله هذه الطائفة
التي وعدها بهذه الامور الثلاثة وصفهم باربع صفات فن كالت فيه هذه
الصفات فان الله سفي له وعده ومن لم تكن فيه هذه الصفات فليجهد نفسه

(١) سورة البقرة آية ٢٧٧ .

على الاتصاف بها لكي يحظى بوعده الله ويكون من الآمنين القرحين والصفات
الأربعة هي : -

١ : - ان يكون مؤمنا :

٢ : - ان يعمل الصالحات :

٣ : - ان يقيم الصلاة .

٤ : - ان يؤتي الزكاة :

فالذي يلزمنا فعلا ان نعرف حقيقة هذه الأمور الأربعة حتى لا نصف
بها كما يريد الله فان الله قد وضح هذه الأسماء الأربعة وهي :

إيمان - صلاح - زكاة . وضعها لاشياء ومسميات معينة مشخصة
وبينها النبي (ص) ، فعليتنا ان نعرف المسميات الحقيقية التي عينها الله
لهذه الأسماء بلا زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تغيير ، ولو لم يحصل
الاتقان والضبط بهذه الصورة والا لا يجدى نفعا عمل المرأ المخالف لما اراده
الله وان كانت المخالفة في الأجزاء والشروط فاذا كان الايمان عند الله شيئا
معينا وجاء اللوالي او الولي الذي فرض نفسه على الناس بالقوة والقهر وهو
الذي عبر الله عنه بقوله : (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) ففسر
الايمان بشيء آخر مخالف لما جعله الله وقبل متابعوه بهذا التفسير وعملوا به
ترى ان هؤلاء يكونون من المؤمنين ان هذا لا يوافق عليه المنطق ولا للعقل
وان كان العقل باضعف درجاته :

اني اذكر لك مثلا واحدا لتعتبر به ، قام عمر بن سعد يوم العاشر من
المحرم بعد قتل الحسين (ع) ونادى باعلى صوته بالاخوف ولا حياء ياخييل
الله اركبي وابشري بالجنة ودوسى صدر الحسين فترى ان هؤلاء الذين امتثلوا
امره يصلون الى الجنة ويأتي ولي آخر من اولياء الكافرين متلبسا بهلباس
المسلمين لاجل التأمر عليهم فيزيد في الصلاة جزءاً او ينقص جزءاً سواء

أكان الجزء لفظيا او فعليا ويقبل متابعوه بهذا التصرف ، اترى ان هذه الصلاة يقبلها الله بعد ما بين حقيقة الصلاة لرسوله وبينها للرسول لامته فعائنا ان نعرف هذه الامور الأربعة معرفة صحيحة مأخوذة من الرسول الأعظم بطريق موصل اليها وان يكون طريق التوصل مأخوذ من الرسول ايضا ، وبعد هذا ينبغي ان ندقق ونحقق معاني هذه الامور الأربعة فنقول :

اما الأول وهو الايمان : - فقد عرفوه بتعاريف كثيرة وقد تقدم بعض الكلام في الآيات المتقدمة ويأتي الكثير من الكلام في الآيات انشاء الله تعالى : قال بعض المحققين ان الايمان للكامل الخالص هو التسليم لله والتصديق بما جاء به النبي (ص) لسانا وقلبا على بصيرة مع امثال جميع الأوامر والنواهي كما هي الخ .

ينبغي الالتفات الى الكلمة الأخيرة وهي قوله كما هي الخ . انه شرط لازم في الامتثال ويلزم على كل مكلف مسلم محتاط لدينه ونفسه ان يجتهد في تحصيل اوامر النبي ونواهيها كما هي من غير تغيير كلمة او زيادة او نقص فانه لا يجوز لأحد ان يفعل ذلك حتى النبي نفسه إلا بأمر من الله فالواجب على المسلم هو العمل على طبق قول النبي او من يخبر عن النبي بقول جازم وهو المعصوم كما تقدم :

واما الأمر الثاني وهو عمل الصالحات : - فهو ما يكون صالحا عند الله ورسوله لا ما يراه العبد صالحا او يتظاهر به امام الناس انه كذلك كما تقدم من نداء عمر بن سعد وقد صدر كثير من هذا القبول ممن يشبه عمر ابن سعد كنداء معاوية واشباهه ممن هو على شاكلته حسب الامام وقتل المؤمنين بحجة الأخذ بشار عثمان فهذا الأمر الثاني ينبغي ان يرجع فيه الى النبي او من يخبر عنه بقول جازم .

اما الامر الثالث وهو اقامة الصلاة : - فانها ايضا يلزم فيها الدقة

والتحقيق وكذا في أمر الطهارة التي هي مقدمة للصلاة فليس للعهد ان يزيد أو ينقص طرفاً أو يعمل بقول من يزيد وينقص من نفسه هلا استناد للقرآن او قول الرسول (ص) هذا تكليف من اراد التوصل للدين الصحيح فالها عبادة والعبادة توقيفية تتوقف صحتها على اخذها من الشارع ، وأما ما يستحسن العهد توقيفية من نفسه فليس له ان يدخله في الصلاة .

وأما الأمر الرابع وهو الزكاة : - فقد ذكرت بعض شروطها في الآيات السابقة والمهم منها الواجبة فان لها شروطاً وحدوداً لا ينبغي للمسلم ان يتعداها او يخرقها ولا يجوز اخذها الا من يرويه ويسندها الى النبي (ص) وان يكون الراوي موثقاً بعلمه وتقواه لا يحتمل في حقه الكذب لا كأبي هريرة وامثاله :

تنبيه للغافل والمتغافل : -

لا يخفى ان كثيراً من الناس يكون غافلاً او انه يتغافل عن كون هذه الأمور تحتاج الى التحقيق والدقة الشديدة وانه يلزم أخذها من منبع صحيح يتصل سنده الصحيح بالنبي ولا يتأتى ذلك الا بتوسط المعصوم على رأي الامامية ولذا ترى كثيراً من الناس يعتقد انه مؤمن كامل الايمان ولكن في الحقيقة ليس كذلك (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (١) : وكذا يظن بنفسه انه يعمل الصالحات ويقوم بالصلاة ويؤتي الزكاة ولدى التحقيق تكون اعماله فاقدة للشروط وهو غافل عن ذلك : والاراجو من اخي المسلم ان يعتبر بالآية التي بعد هذه الآية وهي قوله تعالى :
(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) (٢) .

(١) سورة يوسف آية ١٠٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٨ :

(فان لم تفعلوا فاذلوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلکم رؤوس
اموالکم لا تظلمون ولا تُظلمون) (١) :

لقد تقدم ان الإيمان هو اقرار باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان
فإنه تعالى يخاطب الذين اقرؤا بالسنتهم : (يا ايها الذين آمنوا) بالسنتهم
(اتقوا الله) اي خافوه واحذروا منه (وذروا من الربا) واتركوا ههنا
ما شرطتم على الناس من الربا (ان كنتم مؤمنين) بقلوبكم ايماناً حقيقياً
فان الاقرار باللسان وحده ليس بايمان ولا ينفع شيئاً عند الله وان هذه الأوامر
والنواهي تكشف حقيقة المرأ للناس بالامثال وعدمه فيكون من لوازم الايمان
فان لم يتحرك فهو غير مؤمن ، وان المؤمن هو العامل بما شرع الله من
الحلال والحرام ، ثم ذكر الله ما هو اشد واعظم عقاباً من ذلك وهو ان
اخذ الربا لا يقتصر على خروجه من الايمان فقط بل هو اعظم من ذلك
حيث قال : -

(فان لم تفعلوا فاذلوا بحرب من الله ورسوله) فهذا الشخص او
الجماعة او الأمة اذا عرفوا حرمة الربا وهقوا مصرين على تعاطيه وأخذته
واكله فليعلموا انهم يستحقون حرب الله لهم وما يظن هذا العبد الضعيف
العاجز من كل شيء اذا حاربه الله والرسول والله هو القادر على كل شيء
فاما ان يسلبه جميع أمواله دفعة واحدة أو تدريجياً أو يهتله بالأمراض والعاهات
او يسلط عليه بعض الظالمين مثله فلا يهتلى عليه باقية فيذهب جميع ماله وقد
تذهب معه النفس والأولاد وان لم يكن احد هذه الامور فالنبي أو وصيه
هو الذي يحاربه أو يقتله هذا في الدنيا واما في الآخرة فليس له إلا النار
ثم بعد هذا الوعيد الشديد يفتح لهم باب رحمته بقوله : (وان تبتم
فلکم رؤوس اموالکم لا تظلمون ولا تظلمون) ما اعظم رحمة الله وعفوه

(١) سورة البقرة آية ٢٧٩ :

فان هذا العبد بعد ما أخذ من أموال الناس الشيء الكثير قبل نزول آية
اللعنيم لم يأمره الله برد الأموال لأهلها بل اذا تاب الى الله يرجع له رأس
ماله فان الله لا يرضى للغني ان يظلم للفقير باخذ الرها منه ولا يرضى للفقير
ان يظلم للغني بعدم دفع رأس ماله له اذا كان ذلك ميسورا له اما اذا
كان الفقير معسرا ولم يتمكن من رد مال الغني له ففي هذه الصورة أمر
الله الغني ان يصبر على الفقير وهو قوله تعالى :

(وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) (١) :

لما هدّد الله المرابي بذلك التهديد الرهيب وتوعده بمحق ماله في الدنيا
ودخول النار في الآخرة ثم عفا عنه فيما اخذه من الرها قبل التحريم ولم
يأمره برده الى اهله ، ثم أمره بعد ذلك باسترجاع رأس ماله من المدين
وترك الرها والا فهو غير مؤمن وبعد الوصول الى هذه المرحلة صار الحكم
المنزل من الله هو ان يترك الغني الرها وان يدفع الفقير المدين اصل المال
الذي اخذه من الغني وسقوط الرها عنه ، ولا ريب ان بعض الفقراء المدينين
لا يمكنهم دفع المال ولا بعضه لشدة فقرهم وقد يتصور الغني ان مثل هذا
الفقير الذي اسقط منه قسم من المال يلزمه دفع الأصل حالا بلا تأخير ولو
يبيع داره أو فرسه أو أثاث بيته ، وهنا قد دفع الله كل هذه التصورات
من نفوسهم الشريرة التواقفة الى جمع المال وأمرهم بانظار مثل هذا المدين
الفقير وعدم الضبط عليه حتى يحصل المال بيده :

وقد ورد عن النبي (ص) ان هذا الإنظار يؤجر عليه صاحب المال
ويكتب له ثوابه ، ثم بعد ذلك ارشدهم الله الى شيء آخر هو خير لهم من
هذا الانظار وهو قوله : (وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) (٢)

(١) سورة البقرة آية ٢٨٠ :

(٢) سورة الممتعة آية ٢٨٠ :

أي ان كنتم تعلمون بان هذا المدين معسر آ ليس له من المال ما يقفي به دينه فتصدقوا عليه بما لكم في ذمته فهو خير لكم فأنكم قد اخذتم منه مالا في الرها قبل هذا وان لم تكونوا اخذتم منه شيئاً فأنكم قد ضيقتم عليه والاعجموه فاذا أنتم وهبتموه هذا المال ستدخلون عليه السرور مقابل ذلك الضيق والازعاج أو يكون المعنى ان كنتم تعلمون الخير من الشر وتميزون بينها فان التصدق بهذا المال خير من المطالبة والتضييق على المدين فان في التصدق نفع في الدنيا والآخرة .

ولا يخفى ان الله عز وجل قد ادخل آيات للرها في آيات للصدقة لتقابلها في الثواب والعقاب والإحسان والإساءة والصدق في الإيمان والكذب فيه ثم وجه خطاها عاما لجميع الخلق فقال تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (١) .

فقد حذر الله سبحانه وتعالى عباده كلهم بعد ما بين لهم جزاء المتصدق وعقاب المرابي وخوفهم من اليوم الذي يجمعهم كلهم فيجازيهم على حسب اعمالهم ونياتهم وهو العالم بالسرائر والضمائر والظواهر والبواطن ، وبين لهم انهم لا يظلمون في ذلك اليوم وان الحسن لا ينقص من جزاء احسانه والمسيء لا يزداد في عقابه وقد ذكر اكلا القسمين ما يستحقه من الثواب والعقاب ، وان كان المرابي يقدر على تحمل هذا العقاب لأجل ذريهات يجمعها في الدنيا ويتركها عند الموت لغيره فهو ممن باع آخرته بدنيا غيره وهي الصفة الخاسرة اجار الله المسلمين منها ونسأله حسن العاقبة : وقد ذكر المفسرون ان هذه الآية هي آخر آية نزلت من القرآن نزل بها جبرئيل وقال للنبي (ص) ضعها في رأس الثمانين والمائتين من سورة البقرة . قال الطبرسي في مجمع البيان : قال المفسرون لما نزلت هذه الآية

(١) سورة البقرة آية ٢٨١ :

(الك ميت وانهم ميتون) . قال رسول الله (ص) ليتني اعلم متى يكون ذلك فانزل الله تعالى سورة النصر : « اذا جاء نصر الله والفتح » فكان رسول الله (ص) يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه ، فقيل له انك لم تكن تقوله قبل هذا ، فقال اما ان نفسى نعت الي ثم هكى هكاه شديداً فقيل يارسول الله او تهكي من الموت ؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : فاين هول المطلع ؟ واين ضيق القبر وظلمة اللحد ؟ واين القيامة والاهوال : : الخ ما ذكره .

ثم لما امر الله المرابين بانظار المعسر في دفع مالهم في ذمته صار ذلك المال حقاً مؤجلاً ، فعقبه يذكر احكام الحقوق المؤجلة فذكر الآيتين في احكام المدابنة ، ثم بعد ذلك ذكر آية فيها وعيد شديد لمن لم يكن سليم القلب ، هل ورد انه حقيق على الله ان لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من حب اعداء الله :

وهي : - قوله تبارك وتعالى : -

« لله ما في السموات وما في الأرض وان تهدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير » (١)
ان الذي يظهر من بعض التفاسير ان هذه الآية هي انقل آية في القران واشق تكليفاً : فقد ذكر الطبرمى في الاحتجاج رواية طويلة يرويها عن الإمام موسى بن جعفر (ع) مضمونها انه : -

جاء يهودي من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ للتوراة والانجيل والزبور وصحف الأنبياء وعرف دلائلهم ، جاء الى مجلس فيه اصحاب رسول الله (ص) وفيهم علي بن ابي طالب وابن عباس وابن مسعود وابو سعيد

(١) سورة البقرة آية ٢٨٣ :

فقال : يا أمة محمد ما تركتم لني درجة ولا مرسل فضيلة إلا نخلتموها لبيكم
فهل تجيبوني عما أسألكم ؟ فكاع القوم عنه فقال علي بن ابي طالب (ع)
نعم ما اعطى الله لنيها درجة ولا مرسلا فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد (ص)
ومحمد اعلى الأنبياء الضعافا مضاعفة ، فقال له اليهودي فهل الت مجيبي قال
له نعم سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله ما يقر الله به عيون المؤمنين
ويكون ازالة لشك للشاكرين في فضائله .

ثم جهل اليهودي بذكر فضائل الأنبياء آدم ومن بعده وعلي يبين له
ان محمداً اعطى افضل من ذلك حتى وصل إلى سليمان فقال لليهودي فان
هذا سليمان قد سخرت له الرياح فسارت به في بلاده غدوها شهرا ورواحها
شهر قال له علي (ع) لقد كان كذلك ومحمداً اعطى ما هو افضل من
هذا انه اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى مسيرة شهر وعرج
به في ملكوت السموات مسيرة خمسين الف عام في اقل من ثلث ليلة حتى
انتهى الى ساق العرش فدننى بالعلم فدننى فدننى فدننى له من الجنة رفرف اخضر
وغشى النور بصره فرأى عظمة ربه عز وجل بفؤاده ولم يرها بعينه فكان
كقناق قوسين بينه وبينها أو أدنى فاوحى الى عبده ما اوحى فكان فيما
اوحى اليه الآية التي في سورة البقرة قوله تعالى : (الله ما في السموات
وما في الأرض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) (١) وكانت الآية قد
عرضت على الأنبياء من لدن آدم الى ان بعث الله تبارك وتعالى محمداً (ص)
وعرضت على الأمم فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبيلها رسول الله (ص)
وعرضها على امته فقبلوها ، فلما رأى الله منهم القبول علم انهم لا يطبقوها
فلما ان صار الى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهمه فقال : (آمن

(١) سورة البقرة اية ٢٨٣ :

لرسول بما انزل اليه من ربه (١) فاجاب الرسول (ص) عنه وعن امته (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين احد من رسله) فقال جل ذكره لهم الجنة والمغفرة على ان يفعلوا ذلك ، فقال النبي (ص) اما اذا ما فعلت ذلك هنا (فغفرانك ربنا واليك المصير) يعني المرجع في الآخرة قال : فاجابه الله جل ثناؤه قد فعلت ذلك بك وهامتك ، ثم قال عز وجل اما اذا قبلت الآية بهشديدها وعظم ما فيها وقد عرضت على الأمم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت) من خير (وعليها ما اكتسبت) من شر ، فقال النبي (ص) لما سمع ذلك اما اذا فعلت ذلك بي وهامتي فزدني قال سل قال (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) (٣) قال الله عز وجل لست اؤاخذ امتك بالنسيان والخطأ لكرامتك علي :

ثم ذكر الله ما كان على الامم السالفة من التكليف الشاق وقد رفعه عن امة محمد فقال للنبي (ص) : « اللهم اذ اعطيني ذلك فزدني » قال الله تبارك وتعالى له سل قال : -

« ربنا ولا تحمل علينا اصرأ كما حملته على للذين من قبلنا » (٤) يعني بالاصر الشدائد التي كانت على من كان قبلنا :

فاجابه الله وذكر له الاصر والشدائد التي كانت على الامم وهي كثيرة وانه قد رفعها عن امته فقال للنبي (ص) اذ اعطيني ذلك كله فزدني

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥ ،

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ ،

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥ ،

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٥ ،

قال سل قال : (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال قد فعلت ذلك وهو حكيم في جميع الأمم ، فقال (ص) (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا) قال الله قد فعلت ذلك ثم قال النبي (ص) : (فالصبرنا على القوم الكافرين) قال الله جل اسمه : ان امتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود هم القادرون وهم القاهرون يستخدمون ولا يستخدمون لكرامتك علي وحق علي ان اظهر دينك على الأديان . . الى آخر الرواية وهي طويلة قد اخذنا موضع الحاجة منها المتعلق بالآيات :

وهنا ينبغي التنبيه على امور : -

١ - ان الذي يظهر من هذه الرواية المفصلة ان الأمة وافقت ورضيت وقبلت بحكم الآية ولكن يظهر من رواية اخرى ان بعض الأمة اعترضت على الآية ولم توافق إلا بعد التأكيد من النبي (ص) ، فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره ج ٧ آخر سطر من ص ١٣٣ قال بعد ذكر الآية :

يروى عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية جاء ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ الى النبي (ص) فقالوا يا رسول الله كلفنا من العمل ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه وان له للدنيا فقال (ص) فلعنكم تقولون كما قال بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا سمعنا واطعنا واشتد ذلك عليهم فكثروا في ذلك حولا فانزل الله تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فنسخت هذه الآية ما قبلها فقال للنبي (ص) : ان الله تجاوز عن امتي ما حدثوا به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا به :

٢ - ان الذي يستفاد من الآية ان المؤمن الكامل الايمان هو الذي وصفه النبي (ص) بقوله : (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله لا نفرق بين احد من رساله وقالوا سمعنا واطعنا (١) وان الذي يجمع شروط الايمان كلها كبيرها وصغيرها هو الكلمة الأخيرة وهي قوله سمعنا واطعنا فالمناط في تحقق الايمان في القلب هو السمع والطاعة في جميع الأوامر التي جاء بها النبي (ص) من الله فلو ان عبداً لمثل الأمر في الصلاة فأكثر منها وصرف اوقاته كلها فيها ولكنه خالف النبي في جزء من اجزائها انقصه او ازاده لا ينتفع بهذه الصلاة لانه خرج عن الضابط وهو السمع والطاعة .

٣ - ومن شجون الحديث ما ذكره العروسي الخويزي في تفسيره نور الثقلين ج ١ ص ٢٥٣ رقم الحديث ١٢٢١ عن النبي (ص) حديث طويل وفيه خطبة للغبير وفيها : - معاشر الناس قولوا الذي قلت لكم وسلموا على علي هامة المؤمنين وقولوا (سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) ان هذه الفقرة من كلام النبي (ص) اذا تحقق فيها السمع ولم تتحقق فيها الطاعة اختلت الطاعة في اغلب الأوامر والناهي لان النبي (ص) اودع احكامها عند علي وامره علينا فاذا عصينا النبي في هذه الامارة فانا الكثير مما هو مودع عنده فلم يتحقق الشرط المقوم للايمان وهو السمع والطاعة فغدير جيداً .

٤ - ان المقصود من اخفاء ما في النفس هو ما يعزم عليه للعهد من المعاصي ويفعله ولكن لم يظهره للناس وليس المراد منه ما يحتاج في النفس من الوسوس الشيطانية ثم تزول في حينها فان هذه الهواجس النفسانية الطارئة على النفس من غير ارادة من الانسان مما لا يعاقب عليه كما ورد في الأخبار ويؤيده حكم العقل حيث ان هذا غير اختياري للانسان ولا يمكنه دفعه عن نفسه فالأقرب والأولى في معنى الآية ان يكون المقصود ممن يخفي

(١) سورة البقرة اية ٢٨٥

ما في نفسه وهو المنافق الذي يخالف ظاهره باطنه وهم الذين اظهروا ما
 في انفسهم بعد رحلة النبي الى الله فانقلبوا على اعقابهم فان الله يحاسبهم
 على ما كانوا يخفونه حين وجود النبي وهم عازمون على اظهاره بعده .
 فالآية واردة في مقام التهديد والقرهيب والتخويف فانه تعالى بعد ما
 بين لنا جملة من احكام الصدقة والربا والدين والاشهاد عليه واداء الشهادة
 عرف اهل القلوب المريضة الذين يظنون ان الاعتراف باللسان والانكار بالقلب
 كاف في المقام فبين الله لهم ان هذا لا يفيدهم شيئا وان الله يحاسبهم على
 ما انطوت عليه قلوبهم من نياتهم السيئة ولو اياهم الخبيثة المخالفة لظواهر
 السننهم وأوامر الله ورسوله فهذه المحاسبة على اخفاء ما في النفس بالنسبة
 الى الشر والعصيان والتمرد والطغيان ، أما بالنسبة الى ذوى السرائر الطيبة
 وللنفوس الطاهرة الذين اذا بلغهم النبي (ص) احكام الله قالوا سمعنا
 واطعنا فانها بشارة لهم كما جاءت الروايات ان من ينوي الحسنة اذا لم يعملها
 كتبت له واحدة واذا عملها كتبت له بعشر حسنات ، وعلى ما ذكر من
 معنى الاخفاء فلا وجه للقول بان الآية منسوخة كما ذهب اليه البعض بقوله
 (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) لانه لم يتحقق التكليف بغير الوسع والطاقة
 حتى ينسخ ، نعم ان الآية الثانية بينت لنا ان هذا الشيء الذي يخفيه العبد ويخفيه
 المنافق انما هو من الأمور المقدورة له وليس من الخارج عن وسعته وطاقته :
 ه - لا يخفى على المسلم العبور البصير ان النبي (ص) قد جعل خاتمة
 هذه الأمور التي طلبها من الله اهمها واعظمها نفعا للاسلام والمسلمين وهو
 قوله : (انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) (١) للكافر هو الذي
 لا يعتقد بهذه الصفات التي وصف الله المؤمنين فهو لا يعتقد بالله على حد
 اعتقاد المؤمن الموحد المعتقد بصفات الله الثبوتية والسلبية ، فاعان المؤمن

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

بالله معناه : الاعتقاد القلبي بان الله واحد احد صمد لم يلد ولم يولد وانه هو الخالق الرازق المحيي المميت الذي يبعث الخلق بعد الموت فيجازيهم على اعمالهم وكذا الايمان بالملائكة الذي هو من الايمان بالغيب حيث جعله من صفات المؤمن المذكور في اول السورة وكذا الايمان بالكتب وآخر للكتب للقرآن الكريم :

وقد ذكرنا معنى الايمان به في الآية (١٧٧) والايمان بالرسول الذين اخبرنا بهم النبي (ص) وجاء ذكرهم في القرآن وهكذا بالنسبة الى سائر الأمور الاعتقادية فان الكافر يخالفه فيها وكذا في الواجبات العملية التي هي من شروط الإسلام والايمان فان الكافر لا يعترف بها فكلا الفريقين مختلفان في العقائد وفي الأعمال ، وكل فريق يريد ان ينشر مبدأه في الأرض فلا بد من وقوع التخاصم بين الجانبين وبالنتيجة تكون الغلبة للمنتصر وتكون له العزة ويكون هو المنتصر في الأرض حتى في نفوس الجانب الآخر واموالهم وعقائدهم ، الا ان المسلمين لما كانوا ملزمين بامور معينة منزلة على نبيهم من الله فهم متزهون من الظلم والاعتداء ومع ذلك هم مكلفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفع مادة الفساد من الأرض ، ومكلفون بإرشاد اللضال الى الطريق المستقيم ، ولا يمكنهم القيام بهذه الامور مع كون الغلبة والقوة والشوكة للكافرين ولاجل كل هذه الفوائد ولاجل التمكن من القيام بواجبهم جعل النبي (ص) خاتمة طلباته من الله قوله : (انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) فان الله لما كلف المسلمين بهذه الامور ولم يتمكن العهد من القيام بها الا بمعونة الله ومساعدته لكون الامور كلها بيده قدم للنبي (ص) الاعتراف من نفسه وعن امته بالعبودية لله فقال انت مولانا ثم طلب منه المعونة والنصر على القوم الكافرين .

وحيث ان النصر على العدو تارة يكون بالغلبة عليه في الحرب وتارة

يكون ظهور للقوة والشوكة والتمكن من تنفيذ الاوامر الحققة واقامة العدل والضرب على يد الظالم وردعه عن الظلم ونصرة المظلوم والاخذ له بحقه وبعد ما عرفت ذلك انظر الى الجواب من الله لهذا الطلب وتأمل في الجواب جيداً فالتك ستعرف ان الله قد اعطى نبيه النصر بجميع المعاني فقد قال له في الجواب : (ان امتك في الارض كالشامة البيضاء في الثور الاسود وهم القادرون ، وهم القاهرون ، يستخدمون ، ولا يستخدمون لكرامتك علي ، وحق علي ان اظهر دينك على الاديان حتى لا يبقى في شرق الارض وغربها دين إلا دينك ، او يؤدون الى اهل دينك الجزية) :

ايها المسلم : - انظر الى هذه الكلمات التي بين يديك لتعرف ما اعطى الله محمداً في امته انه وعده وعداً مطلقاً غير معلق على شرط او مقيد بقيد وعده ان يجعل امته على قلتهم قادرين على نشر تعاليم الاسلام قادرين على بث دين الاسلام في عواصم الكفر ، وعده ان يجعل امته قاهرين لسائر الامم وان كانوا اضعافهم في العدد والعدد ، وعده ان يجعل امته تستخدم (تستعمر سائر الامم ولا يستخدمهم) (ولا يستعمرهم احد) ، وعده ان يبقى دينه في شرق الارض وغربها وعده بان تؤدي سائر الامم الى امته الجزية فهل تدري من هم امه محمد ؟ امه محمد هم المسلمون الذين يقولون كما يقول محمد : (انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وكان (ص) لا يقبل هدية من كافر اما الذي يطأ ي رأسه للكافر ويخدمه بنفسه وسائر من معه فهل يعد نفسه من المؤمنين ويريد من الله النصر والتأييد وبعد هذا اوجه الخطاب والنداء الى ملوك الاسلام والى رؤساء الحكومات الاسلامية فاقول :

ما هذا للضعف في الامه الاسلامية وما هذا الوهن وما هذا اللذل وما هذا للقلاع بها من الكافرين اعداء الاسلام ؟

ان اسباب ذلك كثيرة ، فمنها التناقص بين الامم الاسلامية وتقاطع بعضها لبعض ، وهذا الشتم والقذف من بعضها لبعض وهذا الخضوع من بعضها للحكومات الاجنبية الكافرة ومن الاسباب المتجاهر بهذه المنكرات من الخمر والميسر والربها والرشوة والزنا واخذ اموال الناس بالباطل فهل ترى مع هذه الاعمال اسلاما صحيحا وان المسؤولية في حدوث هذه المنكرات انما هي على الملوك والرؤساء والمالكين ازمة الحكم والمسكين بكراسي الامر والنهي فلو انهم اطاعوا الله والرسول بقدر اطاعتهم للكافر المستعمر لانجز لهم الله وعده ولجعل لهم الامر والنهي وكانوا المستعمرين لا المستعمرين وسوف يأتي من الآيات للكثيرة الدالة على ان من اتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين فهو من الكافرين :

(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) (١) :

حائمة : في تبيين الطريق الذي يتحقق به السمع والطاعة : -

لقد تحقق مما تقدم ان صفات المؤمنين التي ذكرها النبي (ص) تتحقق كلها في السمع والطاعة وانما يتحقق السمع والطاعة بالنسبة الى الامر الصادر من الله وهو الذي يريد الله من العبد ، واما اذا كان العبد هو الذي يختار بعض الافعال الموافقة لهواه ويفعلها ثم يقول كما اخبر الله عنه (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء انقولون على الله ما لا تعلمون) (٢) فهذا لا يثمر سوى الوهال فان الامر اول ما ينزل من السماء الى الارض انما ينزل على الرسول فيكون الرسول هو المكلف باثبات كون الخبر الواصل اليه من الله فالملك الذي ينزل بالوحي اول الامر يحتاج الى معجزة تثبت كونه مبعوثا من الله

(١) سورة محمد آية ٧ :

(٢) سورة الاعراف آية ٢٧ :

والا فالنبي يحتمل كون هذا للذي جاءه شيطانا يلقي اليه هذا الكلام ولا يتيقن انه ملك الا بالمعجزة والنبي انما يكون مصدقا عند امته بالمعجزة ايضا وبعد هاتين المرحلتين تكون الاحكام التي يأمر بها النبي مابينة انها من الله فكل امر او نهى سمعه المكلف من النبي يقطع انه امر الله ونهيه اما بعد ارتحال النبي من الدنيا فالاحكام المذكورة في الآيات القرآنية اذا كانت من المحكمات ياخذ بها المكلف وبعد ذلك فالاحكام التي تكون متواترة عن النبي يرويها كل الصحابة او جلهم واما غير ذلك مما يحتاجه المكلف او يبتلي به من الامور التي تحدث تدريجا فنن اين يأخذ حكمها؟ وهنا لا بد من الرجوع الى اعلم الاصحاب بآيات القرآن وهسنة للنبي بشرط ان يكون موثوقا في النفوس مأمونا من الكذب ومن الخطأ والسهو والنسيان هذا هو اقرب للطرق الى الوصول لاحكام الله الحقيقية ولقد دلت الآيات والاخبار على ان المتصف بهذه الصفات هو علي بن ابي طالب (ع) :

فقد روى الشيخ العلامة فقيه الحرمين مفتي العراقيين للكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب وفيها يلي نص كلامه :

الباب الرابع والسبعون في تخصيص علي عليه السلام في معرفة علم الظاهر والهاطن ثم ذكر الاستناد الى ان قال عن عهد الله بن مسعود قال ان القرآن انزل على سبعة احرف ما منها حرف إلا وله ظهر وهاطن وان علي بن ابي طالب عنده منه علم الظاهر والهاطن ه
وحكي في حلية الأولياء لابي نعيم مثله ج ١ ص ٦٥ ثم ذكر للكنجي بعد هذا عن سلمان قال قلت يا رسول الله لكل نبي وصي فمن وصيك؟ فسكت عني فلما كان بعد رأني قال يا سلمان فاسرعت اليه فقلت ليبيك قال تعلم من وصي موسى قلت نعم يوشع بن نون قال ليم؟ قلت لانه كان اعلمهم يومئذ قال فان وصي وموضع سري وخبر من اترك بعدي ينجز

عدي ويضحي ديني علي بن ابي طالب :

وحكى عن الطبراني في معجمه الكبير في ترجمة ابي سعيد عن سلمان
مثله : (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب
وآخر متشابهات فاما للذين في قلوبهم زيغ فيتمهون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل
من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب) (١) لقد اطال المفسرون الكلام
في هذه الآية للشريعة : وكثر الخلاف بينهم من جهات شتى فمنها :

كلامهم في معنى الحكم والمتشابه ، ومنها كلامهم في معنى التأويل ،
ومنها كلامهم في معنى كون المحكمات ام الكتاب ، ومنها كلامهم في ان
لواو في قوله تعالى : (والراسخون في العلم) هل انها واو العطف وانها
الاستثناء وينتهي لنا قبل الكلام في هذه الامور ان نعرف ان هذه الآية
هل هي من المحكمات او انها من المتشابهات ، وبما لا ريب فيه ان الآية
للشريعة انما هي في مقام احكام وافهام لا في مقام اجمال وابهام فالقول
بانها من المتشابهات لا يناسب المقام فان الآية زلت لبيان ان الآيات القرآنية
منها محكمات ومنها متشابهات ولبيان ان الذي في قلبه زيغ يتعلق بالمتشابهات
لاجل فتنة الناس ولاجل تأويلها لما يناسب هواه واغراضه الفاسدة ، ولبيان
تأويل القرآن وانما يعلمه الله والراسخون في العلم ومن اراد تأويله للصحيح
ينبغي له الرجوع الى الراسخين في العلم والآية تريد افهام هذه الامور
لعامة الناس .

فلو قلنا ان الآية متشابهة لا يمكننا ان نخرج بها على من في قلبه

زيغ فانه يشبه بما يوافق هواه فالكلام يقع في امور : -

الاول : - في معرفة الحكم والمتشابه ، اما الحكم فقد اتفق المفسرون

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

بانه الذي احكمت الفاظه بان حفظت من الاجمال والاشتباه وعلم المراد منه
فان عبارات المفسرين وان اختلفت في تعريفه الا ان المعنى واحد .
واما المتشابهات فقد عرفها المفسرون بتعاريف مختلفة واخصر عبارة
جامعة في تعريفها هي قول الامام الصادق (ع) حيث سئل عن الحكم
والمشابهة فقال :

(الحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله) ولذا فسرنا بعض
اكابر المفسرين بقوله : (متشابهات) محتملات لا يعلم المراد منها إلا
بالرجوع الى الراسخين في العلم فان اغلب المفسرين يرجع تفسيرهم للمتشابهات
الى هذا المعنى وهو عدم العلم بالمراد من ظاهر اللفظ ولا يعرف المراد إلا
بعد للبحث والتنقيب او للرجوع الى الراسخين في العلم .

الأمر الثاني : في معنى الأم التي وصف الله بها المحكمات في قوله :
(منه آيات محكمات هن ام الكتاب) فقد اتفق المفسرون على ان الأم
هنا بمعنى الأصل الذي يرجع اليه عند الاشبهاء فقد تحصل مما ذكر ان
الآيات القرآنية منها محكمات ومنها متشابهات ، وان المتشابهات لا يجوز
الأخذ بظاهرها الا بعد ارجاعها الى المحكمات وان ارجاع المتشابهة الى الحكم
لا يتمكن منه الا الراسخون في العلم وحيث ان مائر للناس لا يمكنهم الأخذ
من الله فيلزمهم ان يأخذوا من الراسخين في العلم المستمدين من الله بواسطة
النبي (ص) .

الأمر الثالث : - هل ان قوله تعالى : (والراسخون في العلم)
معطوف على لفظ الجلالة او ان الواو للاستئناف .

لقد ذهب اكثر مفسري الامامية الى القول بالعطف وذهب اكثر
المفسرين من غيرهم للقول بالاستئناف اما مفسروا غيرهم لما كان من رأيهم
ومبدأهم عدم وجود رجال متصفين بهذه الصفة اي لا يوجد في امة محمد

من يكون عالما بجميع العلوم وهو مع ذلك معصوم من كل عيب يكون في
البشر اختاروا للقول بالامتنان اذ القول بالعطف يستلزم وجود الراسخين
وهم لا يرون من يصلح لهذا المنصب في امة محمد واما القائلين بالعطف
فالهم يرون وجوب وجود هؤلاء الاشخاص من الراسخين في العلم وقد
دل على ذلك للكتاب والسنة والعقل والوجدان فقولهم بالعطف الموافق
لاصول القواعد العربية لا يلزمهم منه محذور : وهنا ينبغي التنبيه على امور
الاول ان اتباع المتشابه امر اختياري يختاره من ساءت نيته وخبثت سريرته
ولذا ذمه الله تعالى ووصفه بانه زائف القلب وانه يمكن الوصول الى المعنى
المراد منه بالبحث والتنقيب والرجوع الى الراسخين ويدل عليه تعريف الامام
للصادق للمتشابه بقوله : (ما اشبهه على جاهله) ومثله جملة من الأخبار
ويدل عليه ايضا قول الامام الرضا (ع) : (من رد متشابه القرآن الى
محكمه هدى الى صراط مستقيم) فانه يدل على ان الرد امر ممكن لكل احد
وذلك بالرجوع الى الراسخين ، الامر الثاني يدل على ان الواو للعطف الروايات
الكثيرة لذكر جملة منها هنا فنها :

ما ذكره العروسي في تفسيره نور الثقلين ج ١ ص ٢٦ مطبعة الحكمة
يقم عن الامام الصادق في قوله تعالى : (هو الذي ازل) الى ان يقول (ع)
وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم امير المؤمنين والائمة (ع) .
ومنها في نفس الكتاب والصفحة ما يحكيه عن الاحتجاج للطبرسي
عن امير المؤمنين (ع) حديث طويل وفيه :

ثم ان الله جل ذكره لسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يحدثه المبطلون
من تغيير كلامه قسم كلامه ثلاثة اقسام .

فجعل قسما منه يعرفه العالم والجاهل : وقسما لا يعرفه الا من صفيا
ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للاسلام : وقسما لا

يعرفه الا الله وابيائه وللراسخون في العلم ، وانما فعل ذلك لئلا يدعي
اهل الهاطل من المستولين على ميراث رسول الله (ص) من علم الكتاب
ما لم يجعل الله لهم وليقودهم الاضطراب الى الايتار لمن ولاه امرهم فاستكبروا
عن طاعته تعززا وافتراء على الله واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاولهم
وعائد الله جل اسمه ورسوله (ص) فالرواية ظاهرة في ان قوله :
(وللراسخون) معطوف على الله ويستفاد من الرواية ايضا الجواب عن السؤال
عن سبب اشتغال للكتاب على المشابهة فان الظلمة وزائفي القلوب اذا عرفوا
جميع ما في القرآن من العلوم بهارات محكمة تزداد فنولهم في فئنة للناس
فيكونون كلهم اهل السنة ، ومنها ما في الكتاب نفسه ص ٢٦٢ رقم ٢٥ عن
امير المؤمنين (ع) في حديث طويل وفيه يقول وقد جعل الله للعلم اهلا
وفرض على العباد طاعتهم بقوله : (وما يعلم تأويله الا الله وللراسخون
في العلم) فالها صريحة في كون الواو عاطفة :

ومنها ما ذكره العلامة المجلسي في البهار ج ١٩ اول منه ص ١٠٨
باب ما ورد عن امير المؤمنين في اصناف آيات القرآن وهو باب مفصل
يذكر فيه الامام (ع) انواعا من العلوم وما ذكر فيه انواعا من المتشابهات
الى ان وصل الى ذكر طهقات المؤمنين في درجات الايمان وانه قابل للزيادة
والنقصان واستند ذلك الى الآيات القرآنية ، ثم قال عليه السلام ولئن يؤمن
بالله الا من آمن برسوله وحججه في ارضه قال الله تعالى : (من يطع
الرسول فقد اطاع الله) وما كان الله عز وجل ليجعل لجوارح الانسان
اماما في جسده ينفي عنها الشكوك ويثبت لها اليقين وهو القلب ويهمل ذلك
في الحجج وهو قوله تعالى : (فله الحججة البالغة فلو شاء هداكم اجمعين)
وقال : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى : (ان
يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) وقال سبحانه (وجعلنا منهم ائمة

يدعون بامرنا لما صبروا) الآية :

ثم فرض الله على الامة طاعة ولاة امره القوّم هديته كما فرض عليهم طاعة رسول الله (ص) فقال : (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) .

ثم بين محل ولاة امره من اهل العلم بتأويل كتابه فقال عز وجل : (ولو رددوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه للذين يستنبطونه منهم) وعجز كل اخذ من الناس من معرفة تأويل كتابه غيرهم لانهم هم الراسخون في العلم المأمونون على تأويل التنزيل قال تعالى : (وما يعلم تأويله الا الله وللراسخون في العلم) الى آخر الآية : وقال سبحانه : (بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم) فهذه العبارة من امير المؤمنين صريحة في كون الواو للعطف وانما ذكرنا العبارة بطولها لتكون حجة على من لم يعتبر ضرورة وجود الامام المؤمن على العلوم الالهية ويدعى ان النبي اهل امته ولم يعين لهم من يرشدهم لاحكام دينهم ، اما الامامية فيقررون ويعترفون بان النبي (ص) قد عين لامته اثني عشر اماما ليدلواهم على احكام دينهم وهؤلاء عندهم جميع العلوم الدنيوية والاخرية ويدل على ذلك من الكتاب ما ذكره امير المؤمنين من الآيات في عباراته المتقدمة ، واما ما يدل عليه من السنة فالأخبار الكثيرة الدالة على ان علي بن ابي طالب هو اعلم الناس بعد رسول الله (ص) وقد ذكرنا جملة منها في تفسير آخر آية من سورة الهقرة قبل هذه الآية ص ١١٧ ولذكر هنا بعض الروايات للدلالة على كون علي هو اعلم الامة بعد النبي (ص) منها :

ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير في الجزء الثامن ص ٣٣ عند الكلام في قوله تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم . الخ) عند التعرض لذكر الخواص الهاطنة قال ومنها للذكاء قال علي (ع) علمني

رسول الله (ص) الف باب من العلم واستنبطت من كل باب الف باب (فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي (ص) : انتهى كلام الفخر الرازي .

وقد ذكر هذه الرواية كثير من المفسرين فينبغي للالسان الفاهم ان يتأمل ويتدبر فيما يلقى به ربه من العمل هل يأخذ من هذا العالم او يأخذه ممن لاعلم له : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) : ثم ان الفخر الرازي قد ذكر تحقيقا دقيقا لطيفا في هذه الآية سوف يذكر عند الوصول اليها فانه نافع لمن كان له قلب سليم :

ومنها ما في الاستيعاب ج ٣ ص ٤٦٣ -

روى بسنده عن عهد الله بن العباس قال والله لقد اعطى علي بن ابي طالب تسعة اعشار العلم وايم الله لقد شارككم في العشر العاشر .

ومنها ما ذكره المناوي في فيض القدير (ج ٤ ص ٣٥٦) قال للنبي (ص) (علي عيبة علمي) والعيبة بفتح العين المهملة ما تجعل فيه الثياب كالصندوق والعيبة من الرجل : موضع سره :

وقال في الشرح : قال ابن دريد هذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل به في ارادة اختصاصه بالامور الباطنة التي لا يطلع عليها احد غيره وذلك غاية في مدح علي (ع) فقد كانت ضمائر اعدائه منظوية على اعتقاد تعظيمه :

لدا ذوى الالباب :

ابها المسلم :

ابها المعلم للبيب المنصف : هل سمعت ان النبي علم احد من اصحابه الف باب من العلم يفتح من كل باب الف باب فصار عدد ابواب العلم لدى الامام باصطلاح العصر الحاضر (مليون بابا : يا ذوى الالباب .

اتذكرون هذه الابواب المفتحة المنيرة اللواتي يتفجر منها العلم والحكمة ،
وتتمسكون بباب مرتج ليس ورائه الا الظلمة فتمسكوا بهذه الابواب من
قبل ان يضرب بينها وبينكم بسور له باب باطنه فيه للرحمة وظاهره من قبله
العذاب الى آخر الآية :

وهنا نذكر لك لذة من كلام المؤرخ الصدوق المسعودي في كتابه
اثبات الوصية المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف ص ١١٧
حيث قال : واختلف المهاجرون والأنصار فقالت الأنصار منا أمير ومنكم
أمير فقال قوم من المهاجرين سمعنا رسول الله (ص) يقول الخلافة في قريش
فسلمت الأنصار لقريش بعد أن ديس سعد بن عبادة ووطئوا بطنه وباع
عمر بن الخطاب أبا بكر وصدق على يديه ثم باعه قوم ممن قدم المدينة
ذلك الوقت من الأعراب والمؤلفة قلوبهم وتابعهم على ذلك غيرهم وانصل
الخبر بأمر المؤمنين بعد فراغه من غسل رسول الله (ص) وتحنيطه وتكفينه
وتجهيزه ودفنه بعد الصلاة عليه مع من حضر من بني هاشم وقوم من الصحابة
كسليمان وابي ذر والمقداد وعمار وحذيفة وابي بن كعب وجماعة نحو اربعين
رجلا فقام خطيباً فحمد الله واثني عليه ثم قال : ان كانت الامامة في قريش
فالنا احق قريش بها وان لا تكن في قريش فالأنصار على دعواهم ثم اعتزلهم
ودخل بيته فأقام فيه ومن اتبعه من المسلمين وقال .

(ان لي في خمسة من النبيين) اسوة نوح اذ قال اني مغلوب فانتصر
وابراهيم اذ قال واعترلكم وما تدعون من دون الله ، ولوط اذ قال لو
أن لي بكم قوة او آوى الى ركن شديد ، وموسى اذ قال ففترت منكم
لما خفتكم وهارون اذ قال : ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) .
ثم الف (ع) للقرآن وخرج الى الناس وقد حمله في ازار معه وهو
ينط من تحتهم : فقال لهم (هذا كتاب الله قد افتمه كما امرني واوصاني

رسول الله (ص) كما انزل) فقال له بعضهم اتركه وامض فقال لهم ان رسول الله (ص) قال اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفرقا حتى يردا علي الحوض فان قبلتموه فاقبلوني معه احكم بينكم بما فيه من احكام الله فقالوا لاحاجة لنا فيه ولا فيك فانصرف به معك لاتفارقة ولا يفارقك فانصرف عنهم : فاقام امير المؤمنين (ع) ومن معه من شيعته في منزله بما عهد اليه رسول الله (ص) فتوجهوا الى منزله فهجموا عليه واحرقوا من به واستخرجوه منه كرهاً .

وبعد هذا نقول لمن يجعل الوار للاستيناف : ان الآيات المتشابهات في القرآن كثيرة وهي تتعلق بالعبادات والمعاملات وغيرها وان كثيراً من الناس يحتاجون اليها فعلى من يعولون ولمن يلجئون وان زائفي القلوب كل يفسرها بما يطابق هواه وما تشتهيته نفسه ويلزم على المؤمنين ان يتركوها على ما هي عليه من الأجمال . فما الفائدة إذآ من انزالها وما الذي يستفاد منها سوى تشبهت ذوى القلوب للزائفة بها وهذا القول مخالف للعقل فلا ينبغي ان يصار اليه وأما الدليل على ما يمتدده الفائلون بوجود وجود عالم بجميع علوم النبي عقلاً فان دليلهم من العقل هو ان الأمة كما انها محتاجة الى الرسل في طاعة الله كذلك محتاجة الى الوصي والخليفة وليس اضطرارهم مختصاً بوقت دون آخر ، ولا بحالة دون اخرى ولا يكفي وجود الكتاب والسنة في رفع الحاجة بين الأمة فان كل طائفة تستند الى الظاهر من بعض الآيات على مبدئها الذي ذهبت اليه فالكتاب وحده لا يكفي لرفع التخاصم لما عرفت من ان فيه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمجمل والمأول وغيرها من الأقسام والسنة كذلك فيها المحكم والمتشابه وغيرها مع جهل اكثر الناس بمعاني الألفاظ ونشئت اهوائهم وزيف قلوبهم فلا ينكر ضرورة وجود الوصي الا مكابر :

ثم ان عقيدة كل مسلم : ان الله أوجب على نفسه اللطف بعباده ولا ريب أن وجود الامام العالم في كل زمان لطف اذ وجوده يجتمع للشمل ويتصف من القوى للضعيف ومن الغني للفقير ويرتدع الجاهل ويتيقظ الغافل وبدونه تنعطل اكثر احكام الدين واركان الاسلام واعتقادنا ان الله لا يفعل بعباده إلا ما هو الأصالح لهم ولا ريب ان نصب الامام العالم العادل هو الأصالح إذ بوجوده ينتظم امر المعاش والمعاد والدين والدنيا وبدونه تختل جميع هذه الأمور ويفسد نظام الدنيا والدين :

ثم انه قد اتفق اكثر علماء الأمة بان عادة الله قد جرت في جميع الانبياء من آدم الى محمد (ص) انه لم يقبض لنبياً حتى يعين له خليفة ووصياً يقوم مقامه في ارشاد امته وتعليمهم احكامه وجرت عادة لينا (ص) انه متى سافر عين خليفة في المدينة وعلى ذلك جرت عادة الرؤساء وللوزراء والولاة والتجار وسائر الناس فكيف يمكن لعاقل ان ينسب لأشرف النبيين وافضل المرسلين تخلفه عن هذه السنة مع ان شريعته هاقية الى يوم القيامة ، ولا يمكن ان يقال ان الأمة هي التي تعين خليفة يقوم بهذه الأمور لأن الذي يقوم مقام النبي يلزمه ان يكون عالماً بجميع علوم النبي بحيث لا تعسر عليه مسألة من امور الدين والدنيا وهذا الشخص لا يعرفه ولا يشخصه الا الله ورسوله ولو اغضينا عن هذا فكيف يمكن ان يؤخذ آراء جميع الأمة مع تفرقها في البلاد وبعدها لاشاع بعضها عن بعض :

ومن الذي يتولى جمع آرائهم : ولو فرضنا امكان ذلك فكيف يمكن اتفاقها على رجل واحد جامع للصفات المؤهلة له لهذا المنصب الجليل مع ما نرى من اختلاف اهل بلدة واحدة على اختيار رئيس للبلد أو اختيار مختار للمحلة وقد ينجر بل وكثيراً ما ينجر ذلك الى التعاضم والشتم أو التضارب بالأيدي أو بالسلاح القتال فيذهب صحبة الاختيار والانتخاب جملة من النفوس هذه

في اختيار المختار فكيف في اختيار الرئيس لعامة المسلمين في اقطار الأرض شرقها وغربها سهلها وجبلها برها وبحرها بلدوها وحضرها :

ثم ان الذي يجعل رئيساً عاماً وهو المعبر عنه بالأمام لا يمكن ان يكون من سائر الناس بل يلزم أن يكون معصوماً من سائر العيوب التي تكون في الناس من قبيل الخطأ والنسيان وعدم معرفته بعض الأحكام او المبل في الحكم الى من يحبه من قرابة او صديق بل وان العصمة لما كانت من الصفاة الباطنية التي لا يطلع عليها الا العالم بالسرائر والضمائر :

ولا يمكن ان يعين الامام إلا الله تعالى وليس في العالم كله من يمكن أن يقال بعصمته وجامعيته للعلوم وإرثه لعلوم النبي غير علي بن أبي طالب وباقي الأئمة من ذريته ويكفيها في هذا المقام رواية واحدة يرويهما احد العلماء فانها تكفي لطالب الحق :

ذكر سماحة العلامة الكبير المجاهد الشيخ محمد مرعي الأمين الانطاكي في كتابه (لماذا اخترت مذهب الشيعة) المطبوع سنة ١٣٨٢ هـ ص ٢١٦ تحت عنوان قول النبي (ص) هذا علي أخي وخليفتي ووارث علمي : قال روى الترمذي الحنفي في الكوكب الدرّي - ١ - عن عمران قال لما عقد رسول الله (ص) المواخات بين اصحابه قال هذا علي أخي في الدنيا والآخرة وخليفتي في اهلي ووصي في امتي ووارث علمي وقاضي ديني ماله مني ومالي منه نفعه نفعي وضره ضري من احبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني :

واخرج القندوزي الحنفي في بنايعه ص ٣٥١ نحوه : انتهى كلامه وعن القندوزي الحنفي في بنايعه الباب ١٤ عن ابن المغازلي الشافعي بسنده عن ابن عباس قال ص ٧٩ : قال النبي (ص) لما صرت بين يدي ربي كاعني وناجاني فما علمت شيئاً الا علمته علماً فهو باب علمي : وقد ذكرنا

ان الأدلة على معتقد من يقول بامامة الأئمة الأثني عشر هي الكتاب والسنة والعقل والوجدان .

وقد تقدم ذكر الكتاب والسنة والعقل وبقي الوجدان وهو ما يراه أهل العلم والفهم من العلوم الصادرة منهم على كثرتها وتنوعها فان لكل واحد من الأئمة ما نقله المؤرخون عنهم من انواع العلوم وقد نقلوا عنهم من فنون العلم مأملاً بطون الكتب والدفاتر . والقوا في ذلك المؤلفات الكثيرة فان المنصف اذا نظر الى نهج البلاغة وعرف ما فيه من الكلام في انواع العلوم يكفيه ذلك ان كان من أهل العلم . اما اذا كان لا يعرف شيئاً من معاني خطبه ورسائله وحكمه المذكورة في النهج فلا عتب عليه ولا يفيدنا اعترافه :

وكذا بالنسبة الى بقية الأئمة فليُنظر طالب الرشد تراجمهم وما نقل عنهم من العلوم منها توحيد المفضل والملحق به المسمى بالاهلبجة : يا طالب الرشد انظر الى كتاب قضاء امير المؤمنين وما فيه من عجائب القضايا التي تبهر للعقول ، انظر الى القضايا التي لم يهتد الى حلها الخلفاء الثلاثة الذين تقدموه ثم بعد الحيرة رجعوا اليه فحلها لهم من غير تأمل وتوقف بأسرع من طرفة عين وان هذه المسائل التي اضطرب الخلفاء الى مراجعة علي بن ابي طالب فيها انما هي حجة من الله على سائر الخلق الحاضر منهم في ذلك العصر والمتأخر عنهم . لا سيما العارف منهم منزلة العلم فليس له مجال لانكار تقدمه في العلم الموجب لتقدمه في الخلافة .

يا طالب الرشد : ان الله قد اوضح لك الرشد في كتابه : قال (قد تبين الرشد من الغي) وفسر ذلك النبي (ص) في اقواله وخطبه فقال : (ما من شيء يقرهكم الى الله الا وقد امرتكم به) وان العقل للسليم يحكم حكماً هاتماً بأن الأصول الاعتقادية يلزم ان يؤخذ من منبع يقيني لا يتطرقه

الشك كآليات القرآنية وأقوال النبي الجليلة الواضحة :

أما بالنسبة الى الآية المجملة المتشابهة او كلام النبي المجمل فيلزم أن يفسره لك احد الراسخين في العلم او باب مدينة العلم حتى لا يبقى لك شك فيه وان باب المدينة اذا فتحت تفتح طبعاً الى الداخل فتكون راسخة في العلم فيكون الباب عين الراسخ في العلم ومنه تؤخذ العلوم فلا مجال للأخذ من غيره فمن اخذ من غيره هذين الطرفين يلزم ان يسنده الى الله او الى الرسول فان الله سوف يسأله عن حججه في ذلك فان كان له جواب يدل على اخذه من الله أو الرسول فهو المطلوب وإلا فليس أمامك شيء تجيب به الله الا أحد أمرين لا غيرهما .

الأول : ان تقول انا وجدنا آياتنا على هذه الطريقة فاعتدنا بهم وقد أشار الله في القرآن الى بطلان هذا الجواب وعدم الاستفادة منه لقوله تعالى في سورة الزخرف (قال مترفوها انا وجدنا آياتنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) ثم بين الله سخافة هذا القول بأن الإنسان ليس له أن يتخير الطريقة التي يعبد الله بها وان الله هو الذي يختار لعباده ما هو الأصح وأن العهد اذا كان مشفقاً على نفسه يلبيغي له ان يرضى بما اختاره الله له فقد بين الله بطلان جوابهم على لسان رسوله بقوله : (قال أو لو جئناكم بأهدى مما وجدتم عليه آياتكم قالوا : انا بما أرسلتم به كافرون) (١) :

يا طالب الرشد : اتعرف للطريقة التي هي اهدى مما وجدت عليه آياتك انا اعرفك بها . هي الطريقة الموافقة للكتاب والسنة والعقل والوجدان وهي التي كتب فيها العلماء آلافاً من الكتب الاسعدالية المشتملة على الحجج القوية المأخوذة من الكتاب والسنة ، ومع جميع هذه الكتب يقول لهم ظالم

(١) سورة الزخرف ٢٤ .

نفسه انا بما جئتم به كافرين ، ولقد قالوا هذه الكلمة لامام العلماء وهو
أمير المؤمنين وسيد الوصيين كما ذكرت لك في ص ١٦٢ عن كتاب اثبات
الوصية للمسعودي ان علي بن أبي طالب الف القرآن وخرج الى الناس وقد
حمله في ازار معه وهو ينط من تحته فقال لهم (هذا كتاب الله قد الفتته
كما أمرني وأوصاني رسول الله (ص) كما أنزل) فقال له بعضهم اتركه
وامض : فقال لهم ان رسول الله قال لكم اني مخلف فيكم الثقيلين كتاب
الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فان قبلتموه فاقبلوني معه احكم
بينكم بما فيه من أحكام الله ، فقالوا لا حاجة لنا فيه ولا فيك فانصرف به
معك لا تفارقه ولا يفارقك : انتهى .

أنظر الى هذا الكلام وانظر الى الآية الشريفة : (قال اولو جئتمكم
بإهدى مما وجدتم عليه آباءكم : قالوا انا بما ارسلتم به كافرين) (١) :
فان كلامهم هذا مطابق لمضمون الآية : فلا ينفع جواباً يوم الحساب .
واما الجواب الثاني : هو الذي حكاه الله عن مخالف للطريق الذي
عينه الله ورسوله للأمة وبسلك طريقاً مخالفاً للقرآن والسنة . فاذا سأله الله
يوم الحساب عن السبب الذي دعاه للخلاف : يجيبه بعد أن يتمنى انه لو
أطاع الله والرسول بقوله : (يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا للرسول) (٢)
ولكن التمني لا ينفع ولا يجدي فانه طلب مالا طمع في وقوعه ، ثم يقولون
كما اخبر الله عنهم : (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرائنا فاصلونا
السهيل) (٣) :

(١) سورة الزخرف ٢٤

(٢) سورة الأحزاب ٦٥

(٣) الاحزاب ٦٧

باطالب الرشد : ان الذي يخالف اوامر الله مرة يكون داعية الهوى
 والنفس والشيطان بحيث : يترك امر الله ولا يفعل شيئاً آخر ، ومرة أخرى
 يكون الترك لأجل ان يكون عمله مخالفاً لأمر الله فيأخذ بأمر سيده وكبيره
 الذي لم يجعله الله سيداً ولا كبيراً وانما صار سيداً وكبيراً بالقوة والقهر فهذا
 الذي بطبعه ويعمل بأمره لا يكون سبب مخالفته الهوى والشهوة وانما خلافه
 العناد لله ومشاققة لله ولذا يتمنى في ذلك اليوم ان يكون قد اطاع الله فهذه
 الآية تنبيهاً لكل من يتخذ سيداً واميراً غير منصوب من الله وغير منصوص
 عليه من رسول الله وهذا أمر يعرفه العالم العارف بالكتاب والسنة فانه يميز
 بين الصالح للامارة وغير الصالح ، ويلزمه ارشاد الناس والعوام الى الصالح
 لها وردعهم عن لا يصلح فاذا أمرهم على متابعة غير الصالح فقد أضلهم
 واعماهم : فيكون هو من الكبراء المتبعين والمتبعين (بالفتح والكسر) هذا
 بالنسبة الى العصور السابقة حيث كانت الأمية غالبية على الناس وليس لهم
 مجال إلا التقليد الأعمى في الأصول والفروع :

أما بالنسبة الى العصر الحاضر فقد كثرت فيه المدارس وعم التعليم
 وتثقف الرجال والنساء فكل واحد عليه ان يفحص ويفتش عن أمور دينه
 وما يلزمه من الطريقة التي يتبعها فلا يكفيه أن يرى اياه سائراً على طريق
 فيسير فيه أو متخذاً طريقه خاصة فيتبع تلك الطريقة ، وقد أصبح للشباب
 يعرف ويميز المعقول والمنقول ، ويعرف للصحيح من السقيم ، والحق من
 الباطل فعليه ان يرجع الى سيرة النبي (ص) ويدرس أقواله وأفعاله من
 الكتب المعتبرة الصحيحة الصادقة التي يعترف بها جميع علماء الأمة : فيعرف
 بماذا كلفه نبيه وهل جهل لنفسه وصياً وخليفة يرجع الناس اليه اذا التهمت
 عليهم الأمور :

وعلى الشباب ان يراجعوا كتب كل فرقة فيطلعوا على ادلتهم وحجتهم

فيا اختاروا من تقديمهم من قدموا في الخلافة وهل يجوز بحكم العقل والنقل ان يقدم المفضول ويجعل زمام الحكم بيده ويترك العالم بجميع الأمور جليسه داره مع كونه جامعاً لجميع الفضائل والصفات الموجبة للتقديم من علم وزهد وكرم وحلم وشجاعة وعبادة وغيرها وغيرها ثم ان الله عز وجل قد أخبر هذا القسم من الناس وهم الذين يختارون رجلاً من سائر الناس مهما كان من الجلالة والعظمة والجاه والمال فيجعلونه اميراً عليهم ويسمونه خليفة رسول الله وأمير المؤمنين : ولكنه ليس منصوباً من الله ورسوله فقد حكى عنهم عند وقوفهم بين يديه او عند دخولهم النار كما هو صريح الآية فالهم أولاً يبدون ندمهم وتأسفهم على عدم اطاعة الله ورسوله : (يوم نقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول) .

ثم يقدمون العذر الواهن للبارد والسخيف الى الله ظناً انه ينفعهم : (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا للسبيل) فاذا رأوا ان هذا العذر لا ينفعهم شيئاً ولا يخفف العذاب شيئاً : حينئذ يطلبون ان يضاعف العذاب على هؤلاء السادات والكبراء حيث كانوا السبب في اضلالهم : (ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) لما علموا ان المتبوع كان على خلاف الحق وان اتباعهم له ايضاً على خلاف الحق طلبوا من الله ان يضاعف عليهم العذاب وان يلعن هذا للكبير بزعمه لعناً كبيراً ليناسب الجزاء صفته الهاطلة المزعومة فهو يزعم انه كبير واثابه يزعمون انه كبير ولذا يطلبون من الله ان يلعنهم لعناً كبيراً : ولعل القارىء يستغرب ما ذكرنا من جعل المعاصي للمارك لأمر الله من جملة للكافرين ويقول ان الموحد اذا عصى الله وترك بعض اوامره لا يكون كافراً فنقول له ان بعض المعاصي اذا صدرت من العبد تخرجه من زمرة المؤمنين وتجعله من الكافرين ، وقد ذكر ذلك أمير المؤمنين في ذكر اصناف آيات القرآن في الجلد ١٩ من

الهخار جزء الأول ص ١٠٩ قال في بيان الواع المشابهات واما الكفر المذكور في كتاب الله تعالى فخمسة وجوه منها :

كفر الجحود وهو ينقسم على وجهين ، ومنها كفر للترك لما أمر الله تعالى به ومنها كفر البراءة ومنها كفر النعم ، اما كفر الجحود فأحد الوجهين منه جحود الوجدانية وهو قول من يقول لارب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور وهؤلاء صنف من الزنادقة وصنف من الدهرية الذين يقولون وما يهلكنا الا الدهر وذلك رأي وضعوه لانفسهم استحسنوه بهير حجة فقال الله تعالى : (ان هم الا يظنون) وقال (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي لا يؤمنون بتوحيد الله وللوجه الآخر من الجحود مع المعرفة بحقيقته قال تعالى :

(وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلوا) وقال سبحانه : وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) (١) أي جحدوه بعد ان عرفوا :

وأما الوجه الثالث من الكفر فهو كفر الترك لما أمرهم الله به وهو

من المعاصي ، قال الله سبحانه وتعالى :
(واذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تظنون انفسكم من دياركم ثم أقررتم واتم تشهدون) الى قوله (انؤمنون بهعض الكتاب وتكفرون بهعض (٢) فكانوا كفاراً لتركهم ما أمر الله تعالى به فنبههم الى الايمان باقرارهم بألسنتهم على الظاهر دون الباطن فلم ينفعهم ذلك بقوله تعالى : (فما جزاء من يفعل ذلك منهم الا خزي في الحياة الدنيا) (٣) الى آخر الآية .

(١) سورة البقرة ٨٩ :

(٢) و (٣) سورة البقرة ٨٥ :

وأما الوجه الرابع من الكفر فهو ما حكاه الله في قول ابراهيم (ع) :
 (كفرننا بكم وبدأ بيننا وبينكم للعداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله
 وحده) (١) فقوله كفرننا بكم أي تبرأنا منكم وقال سبحانه وتعالى :
 في قصة ابليس وبعثه من أوليائه من الانس يوم القيامة : (اني كفرت
 مما امرتكموني من قبل) أي تبرأت منكم وقوله تعالى : (انما اتخذتم من
 دون الله آوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) الى قوله : (ويوم القيامة
 يكفر بعضهم ببعض ويعلن بعضهم بعضاً) (٢) الآية .

وأما الوجه الخامس من الكفر وهو كفر للنعم فان الله تعالى حكى
 عن قول سليمان : (هذا من فضل ربي أشكر ام اكفر) (٣) وقوله
 عز وجل : (لأن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) (٤)
 وقال تعالى : (فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) (٥) انتهى
 محل الحاجة من كلام امير المؤمنين ، وبعد اطلاق القارىء عليه يتضح له
 ان بعض المعاصي توجب دخول المعاصي في زمرة الكافرين :

تحقيق دقيق في كلمتين من الآية وهما في قوله تعالى : (والراسخون
 في العلم) الأول في معنى الرسوخ والثاني في المقصود من العلم اذا اطلق كما
 في الآية اما معنى الرسوخ فقد اتفق اهل اللغة واهل التفسير على ان معنى
 الرسوخ هو الثبوت او اشد الثبوت بحيث لا يمكن ان يزول عن مكانه من
 ذات نفسه الا ان يزله الذي ارسخه او من يساويه في القدرة فيقال رسيخ

(١) سورة الممتحنة ٤

(٢) سورة العنكبوت ٢٥

(٣) سورة النمل ٤٠

(٤) سورة ابراهيم ٧

(٥) سورة البقرة ١٥٢

الحبر في الصحيفة فالصحيفة اذا حفظت من الطوارئ والاحداث والآفات لا يزول عنها الحبر إلا ان يزيله المرسخ وللكتاب او من يساويه او الخالق للجميع المرسخ ومن الراسخ والمرسوخ فيه كما في الصحيفة التي علقها قرين في الكعبة حين بعث الله عليها الارضة فزال حبرها فكل شيء يكون زواله ممكناً لا يقال له راسخاً كالعلم الذي يحصل بالتعلم فانه قابل للزوال بالنسيان دفعة او تدريجاً اذا تركه صاحبه :

ثم اذا حصل انسان في آخر عمره على شيء من العلم مدة سنة او سنتين او ثلثا او ربع عمره أو ثلثه او نصفه فهل يسمى راسخاً او ان الذي يطلق عليه لفظ الراسخ يشترط ان يكون راسخاً من اول ادراكه ورشده بل من زمن طفولته بل حين تولده يكون عاقلاً يتكلم بالحكمة كما تكلم ابراهيم وموسى ويحيى وعيسى والهي محمد (ص) ، بل يكون علمه حين وجوده في بطن امه كما هو منقول عن الانبياء وعن الامام علي (ع) انه كان يمنم أمه من الدخول من الباب التي نصبت عليها الاصنام وكان يكلمها حتى ان اخاه جعفر سمع يوماً كلامه فغشى عليه :

فالرسوخ انما يطلق على من كان متصفاً فيه من اول وجوده اما الذي قضى كل عمره او اكثره جاهلاً لا يعرف شيئاً او قضى عمره في عبادة الاصنام ثم حصل على بعض العلوم اكتسبها من الرجال فهذا لا يسمى راسخاً ذكر في سفينة الهمحارج ١ ص ٥٢٠ قال الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم العاملي : الراسخ في اللغة هو اللازم الذي لا يزول عن حاله ولا يكون كذلك الا من طبعه الله تعالى على العلم في ابتداء نشوئه كعيسى (ع) في وقت ولادته (قال اني عبدالله اتاني للكتاب ::: الآية) :

وأما من بقى للسنين الكثيرة لا يعلم ثم يطلب العلم فينال من جهة غيره على قدر ما يجوز أن يناله منه فليس ذلك من الراسخين يقال رسخت عروق

الشجر في الارض ولا يرسخ إلا صغيراً والائمة الاثني عشر (ع) ما نقل
عن واحد منهم انه قعد عند معلم ولا تردد الى فقيهه ولا الى محدث فعلم
الله تعالى ان المبطل يقول كل واحد منهم تعلم من أبيه فقبض الله تعالى
الرضا (ع) ولولده الجواد ثمان سنين :

وقبض الجواد (ع) ولولده الهادي عليه السلام ثمان سنين ومع هذا
لم يقصرا عن علم آباؤها ولا ترددا الى معلم ولا فقيه ولا اخذا عن احد
شيئاً من العلم بل كان علمهم (ع) افاضة من الله تعالى وكذلك علم
أمير المؤمنين (ع) ما يخلو من ان يكون افاضة من الله بهداه الرسول (ص)
فسرى ذلك في ولده أو ان النبي اطعمه على اسرار وعلوم ما اطعم عليها
غيره من القراءة والصحابة وكلا الوجهين يدلان على فضل عظيم وخطر
جسيم : انتهى :

ثم ان الرسوخ وهو الثبوت اللازم الذي لا يزول يحتاج تحققه الى موضوع
ومحمول ، فكل مورد اذا اردنا ان يهرب عن رسوخ شيء في شيء لا يد
وان نذكر الراسخ والموسوخ فيه :

فاذا اردنا ان نعرف شخصاً او نخبر بعدم زوال علمه يلبي ان
نقول ان علم فلان راسخ في صدره اوفي قلبه ، او نقول فلان راسخ للعلم
بالاصافة . اما الرجال للذين اختصهم الله بالعلم فقد جعلهم راسخين في
العلم لا أن العلم راسخ في صدورهم ولا يخفى ما في هذا التمييز من العظمة
اذ الفرق بين التمييزين بعيد ، فان الذي برد عليه العلم اذا لم يعمل به
يكون زواله اسهل شيء كما ذكره الله تعالى في قصة بلعم بن ناعورا بقوله
« واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان » (١) اما
اذا كانت الذات هي الواردة على العلم الراسخة فيه فالتعمست فيه غمساً

(١) سورة الاعراف : ١٧٤ .

فهذه قد انكشفت لها الحقائق اذ العلم لا يكون في صدره فقط وانما يكون محيطاً به من جميع جوانبه ويكون نظره بقلبه كنظره بعينه هل اشد من ذلك وقد ذكر ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بقوله : (لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً) .

وحكى عن كتاب المحاسن والمساوىء قال : وروى أن عدي بن حاتم دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال : اين الطرفات يعني طرفنا وطرفنا وطرفة قال : قتلوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب (ع) فقال : ما انصفك ابن أبي طالب اذ قدم بليك واخر بليه : قال هل ما انصفت انا علياً اذ قتل وهقيت : قال : صف لي علياً . فقال : ان رأيت ان تعطيني قال : لا أعفئك . قال : كان والله بهيد المدى شديد القوى يقول عدلاً وبحكم فصلاً تتفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه يسبح وحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته : وكان والله غزير للدمعة طويل للفكرة : يحاسب نفسه اذا خلا بقلب كفيه على ماضى بعجهه من اللهاس للقصير ومن المعاش الخشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويدنيا اذا اتيناه ، ونحن مع تقريبه لنا وقره منا لانكلمه لهيبته ولا نرفع اعيننا اليه لعظمته - الخ .

انظر الى هذا العبد الصالح الذي نور الله قلبه كيف عرف معنى الراسخين في العلم فوصفه في قوله تتفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه ، ويمكن ان تكون الآية التي قبل هذه الآية وهي قوله تعالى : (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (١) فيها الاشارة الى ارساخ هؤلاء الرجال في العلم والحكمة وهم في بطون امهاتهم لأن للكيف يشمل جميع الصفات ولا يختص بالصور الظاهرية .

(١) سورة آل عمران : ٦ .

هذا ما يتعلق بكلمة الرسوخ وأما بالنسبة الى كلمة العلم فان لفظ العلم اذا اطلقه الله الخالق للعلم فان الذي يسبق الى الذهن ويتبادر من الاطلاق هو كل علم موجود في الدنيا . حين نزول الآية او وجد بعد ذلك فان الله انما خلق اصناف العلوم ليبتفع بها الناس ولاهد أن يتوصل اليه بعض للناس او يلهمهم الله اياه لكي ينتفعوا بها البشر ، فاذا تأملنا في لفظ العلم الوارد في قوله تعالى : (وللراسخون في العلم) نراه يشمل جميع للعلوم ولا يخص عالماً واحداً ولا يخص للعلوم التي تخص الشريعة او الدين وانما يعم للعلوم الدنيوية والأخروية ، وان العقل ليحكم بلزوم وجود مثل هؤلاء الرجال الحاوين للعلوم كافة وإلا فلا فائدة في خلقها وإيجادها لو بقيت مستورة عن البشر .

وليس في امة محمد (ص) من قبل في جمعهم لهذه العلوم الا الأئمة الاثني عشر الذين قالت طائفة من الأمة بامامتهم لأنها قدرأت منهم الخوض وللبحث في جميع العلوم التي كانت العقول تقبلها في زمانهم ولهم كلمات تشير الى العلوم التي حدثت في العصور المتأخرة عنهم كقول علي بن أبي طالب (ع) : (لو شئت لجعلت لكم من الماء ناراً) يقول بعض من شرح هذه للكلمة وهو محمد أحمد مهدي في كتابه (للقرآن وللناس محمد والناس : علي وللناس ص ٣٦) من جملة كلامه لقد توفق علماء العرب الى للكشف عن مغالقات للكلمة التي ازجها الامام منذ الف وليف من السنين بان طلوعوا على للعالم بعد جهد مرير وغوص بعيد بنتائج القنبلة الذرية التي حيرت الأفكار وملائها اعجابها فكانت اعجوبة القرن العشرين .

ولقد اوضحوا ان اجزاء الماء مكونة من عناصر مختلفة كالايديروجين (بمشتقاته الثلاث جالياً) والأكسجين وما الى ذلك . واليك مايقرره احد اولئك العلماء اذ يقول : (ان تحطيم ذرات مل فنجان شاي من الماء)

بمد محطة توليد كهربائية قوتها مائة الف كيلو وات بانقوة الحركة لها لمدة عام : انتهى محل الحاجة من الكهاب المذكور .

وكم اعلي (ع) مثل هذه الكلمة وكم له من كلمات حكمة وكم له من خطب ومواعظ وكم الف فيه من كتاب :

فقد ظهر مما ذكر ان الراسخين في العلم هم الذين لم يقتصر علمهم ببعض العلوم دون بعض ولم يعجزوا عن بعض العلوم بل كل علم لديهم واضح جلي كعلم اجهل للناس بطلوع الشمس ما لم يكن اعشى العينين وهم الذين عناهم الله بقوله : (والراسخون في العلم) الذين يعلمون تأويل للقرآن الذي فيه علم ما كان وما يكون .

وقد تحصل من هذه الآية الأمور التالية :

- ١ - ان الآيات القرآنية على قسمين منها محكمات ومنها متشابهات :
- ٢ - ان المحكمات هن الأصل الذي يلزم الرجوع اليه في معرفة ما يراد من المتشابهات :

٣ - أن الذي يرجع المتشابه الى المحكم ويخبرنا بالمراد منه هم الراسخون في العلم ويلزم الرجوع اليهم :

٤ - ان الذي يتبع المتشابه باجتهاده ويؤوله على ما يشتهي هو اهلا رجوع الى أهل العلم هو زائغ القلب بصريح القول :

٥ - الذي تحقق من هذه الأمور الأربعة ومن قوله تعالى : (هن ام الكتاب) ان كل تفسير وتأويل للآيات المتشابهات اذا لم يرجع الى آية محكمة فهو باطل لاهبة فيه ولا يعتمد عليه ولا يمكن الاستدلال به على شيء ولذا ترى الائمة الاثني عشر قد اوصوا الناس بأن كل ما جئكم منا فاعرضوه على القرآن فان كان موافقاً فخذوا به والا فردوه الى الذي جئكم به :

فآية الشريعة تحكم ببطلان كل استدلال واحتجاج بأية متشابهة مالم يكن مستندا على آية محكمة وبعبارة اخصر واصرح أن الله عز وجل امر عباده ان يأخذوا احكام دينهم من القرآن ، اما الحكم الميهن في آية محكمة فيعرفه أهل اللسان ولا يحتاج الى من يفسره ويؤوله وأما الحكم الذي يكون في آية متشابهة فيلزم الرجوع فيه الى أهل العلم وهم الذين دل الله عليهم بقوله : « والراسخون في العلم » فلا يجوز لأحد من الأمة ان يجزم بحكم يأخذه من آية متشابهة الا بالرجوع الى أهل العلم وقد دلنا النبي (ص) على أهل العلم الراسخين فيه بقوله : (أني مخلف فيكم للثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) وقد عرفنا النبي (ص) ان الكتاب لا يفارقهم وهم لا يفارقوه حتى يردا على النبي حوضه فمن اخذ بواحد وترك الآخر فقد تركهما معاً ولا يلتفتع بالكتاب وحده لانهم هم المفسرون له ولا تكفي الآيات المحكمة لأمر الدين اذ أن الكثير من احكام الدين في الآيات المتشابهة فان اخذ منها برأيه هلك وان تركها بقي ناقص الدين وان أخذ بقول غير الراسخين كان في الآخرة من أهل الجواب الثاني الذي تقدم عن قريب وهم الذين يقولون (رهنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السهيبلا) فقد تعين على المؤمن ان يأخذ احكام دينه ممن نص عليهم للرسول (ص) وثبتت عصمتهم باجماع أهل العلم والتواتر وبآية للتطهير وغيرها من الآيات .

تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٢٦٤ رقم الخبر ٤٣ في اكمال الدين وأتمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت علياً (ع) يقول : (ما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن الا أقرأ نبيها واملاها علي واكتبها بخطي وعلمي تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا الله عز وجل ان يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله

ولا علما املاه علي فكاتبته وما ترك شيئاً علمه الله عز وجل من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي وما كان او يكون من طاعته ومعصيته الا علمنيه وحفظته فلم الس منه حرفاً واحداً والحديث طويل) .

بقي شيء يتعلق بما نحن فيه وهو ان الذي يعلم من الآية بان الناس ثلاثة أقسام .

القسم الاول هم الراسخون في العلم وقد ذكرهم الله ووصفهم بما يستحقونه من الوصف ويقابل أهل العلم طبعاً غير أهل العلم وهم قسمان الاول هم أهل القلوب الزائفة وهم الذين يتبعون المشاهيات وقد مر ذكرهم أيضاً :

والقسم الثاني من غير أهل العلم هم أهل الدين والصلاح والتقوى وهم المتبعون لأهل العلم في اقوالهم وافعالهم المتقاعدون عن زائفي القلوب ، وهذا القسم لم يذكر في الآية صريحاً ثم ان قوله تعالى : (يقولون آمنا به : الخ) اما ان تكون جملة حالية من الراسخين على القول بكون الواو عاطفة وانها خبر على القول بالاستثناف واهل التفسير لم يذكروا غير هذين الوجهين فن قال بالعطف جعل الجملة حالاً من الراسخين ومن لم يقل بالعطف جهلها خبراً للراسخين ولكن يمكن أن تكون الجملة خبراً عن القسم الثالث من الناس الذي لم تذكره الآية صريحاً كما جاء ذلك في الرواية عن احمدها واليهك الرواية ينصها قال في نور الثقلين ج ١ ص ٢٦٣ رقم ٣٥ علي بن محمد عن عبد الله ابنا علي عن ابراهيم بن اسحق عن عبد الله بن حماد عن يزيد بن معاوية عن احمدها عليهما السلام في قول الله عز وجل : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) فرسول الله (ص) افضل للراسخين في العلم قد علمه الله عز وجل جميع ما انزل عليه من التنزيل

والأول وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصيائه من بعده يعلمونه كله :

والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم يعلم (١) فاجابهم الله بقوله :
(يقولون آمنا به كل من عند ربنا) (٢) والقرآن خاص وعام ومحكم
ومتشابه وناسخ ومنسوخ : فالراسخون بالعلم يعلمون :

فعلى هذا يكون قوله تعالى : (وما يذكر الا أولو الأبواب) (٣)
أما مدحاً للراسخين وهو دون مدحهم بالرسوخ بالعلم فان للرسوخ بالعلم
يشمل جميع الصفات : واما مدحاً للتاهين لهم المقتدين بهم وهو فوق مدحهم
بالافتداء والاعتقاد بأن الكل من عند الله وهكذا يكون ذو اللب وذو العقل فانه
يطلب رضى الله عز وجل ولا يمكنه الوصول الى حقيقة الرضى الا بالتابع
العالم بجميع العلوم والاحكام . أما الذى يمنع من اتباع العالم فهو لا يبالي
اوصل الى رضى الله أولم يصل :

ثم لو كان القول والتصديق والإيمان بأن كلا من المحكم والمتشابه هو
من عند الله : لو كان هو قول الراسخين في العلم فلا منافات بين قولهم
هذا ورسوخهم من العلم لأن الله يختص بعلم اشياء لا يعلمها العباد كالعلم
بوقت الساعة ، والعلم بحقيقة الروح وغيرها ، فهم خاضعون لله في كل وقت
خاشعون له على كل حال وهذا الخضوع والخشوع والعبادة والذلة لله هي
التي رفعهم وصعدت بهم الى درجة الرسوخ في العلم ثم ان الآية التي بعد
هذه الآية وهي قوله تعالى : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا

(١) قال الفيض (ره) المراد بالذين لا يعلمون تأويله : الشيعة : اذ قال العالم

فيهم يعني الراسخ في العلم الذى بين اظهرهم :

(٢) سورة آل عمران : ٧ .

(٣) سورة آل عمران : ٧ :

من لدنك رحمة انك انت الوهاب) (١) أما أن يكون من قول الراسخين في العلم فالهم قد فزعوا الى ربهم لما تفتحت عيون قلوبهم ونظروا الى زائهي القلوب فرأوهم يخبطون في الظلام ويحملون على ظهورهم الأوزار والآثام ويفسدون أمر دنياهم وأخراهم وهم منغمسون في دار الغرور ومعرضون عن دار النعيم والجهور . طلبوا من الله أن لا يكونوا مثلهم فقالوا : (ربنا لا تزع قلوبنا بعد اذ هديتنا) أي يا خالقنا ومالك أمرنا ومن بيده توفيقنا وخذلاننا لا تخذلنا وتسلب عنا لطفك وتوفيقك بسوء أعمالنا فتزيغ قلوبنا ولنحرف عن الحق والاستقامة فنكون كهؤلاء القوم الذين هرفتنا بهم وبزيغ قلوبهم نهتفي للفننة بالتلاعب بتأويل القرآن والاعراض عن الراسخين في العلم كل ذلك رغبة في اشباع شهواتهم للدنيوية وارضاء نفوسهم الشربرية الخبيثة :

ثم أنا نقول لهم هووا ان الواو ليست عاطفة وأن الله وحده مختص بتأويل القرآن ومعرفة المقصود من الآيات المتشابهات وهووا ان الله أنزل الآيات المتشابهات لتكون محفوظة بين الدفتين ولم يكلف العباد للعمل بها ، ولكن أما علمتم من هذه الآية ان الله عبادا راسخين في العلم ولماذا خلق هؤلاء العباد وأفاض عليهم هذه العلوم فهل أمرهم ان يجلسوا في دورهم ويفلقوا عليهم الابواب ولا يعلمون للناس مما عندهم من العلم أو أمرهم الله يا أهل القلوب الزائفة ان تركوا اهل العلم وتقاطعوهم ولا تطلبوا ما عندهم من العلم ، كلا ان هذه الآية الشريفة هي اكبر حجة على العباد سواء أ جعلوا الواو عاطفة أو استثنافية حيث علموا بصريح الكلام ان جماعة من عباد الله هم راسخون في العلم وان للعقل وهو الرسول الباطني يحكم حكماً قطعياً بوجود الفحص عن هؤلاء الرجال وتحصيل طريق الرشده

(١) سورة آل عمران : ٨

منهم حتى تخلص نفسك من طريق الغي وقلبك من الزيف ، فافحص عن
الراسخين في العلم وخذ بما أمروك به من طريق الإرشاد فان الله قد جعلهم
في الأرض لا في السماء وفي الدنيا لا في الآخرة وأفاض عليهم هذه العلوم
لينتفع بها عباد الله ووصفهم بهذا الوصف الجليل العظيم وهو عبارة مركبة
من كلمتين : (راسخون في العلم) ولكن لو أراد أحد ان يشرح هاتين
الكلمتين يلزمه ان يعهد العلوم التي وجدت وحدثت في الدنيا من أول
خلق الدنيا الى ان تقوم الساعة ، هذا اضافة الى علوم الآخرة والضافة الى
العلوم التي لم يتوصل اليها البشر .

فيا صاحب العقل السليم راجع عقلك فانظر لما نشره من العلم تعرف
منزلتهم ومقامهم ولا تهمل نفسك وعقلك هذا للقول من كلام الراسخين
في العلم واما اذا كان من كلام غيرهم وهم القسم الثالث من الناس وهم
الذين أتبعوا الراسخين واهتدوا بهداهم واتبعوا آثارهم وعرفوا منزلتهم فهو
منهم طلب من الله ان لا يجعلهم مثل زائغي القلوب المتلاعبين بالدين للتاركين
لرجال العلم الذين ذكرهم الله وارشدوا العباد الى متابعتهم :

فمن الكافي فيما يرويه عن الكاظم (ع) في حديث هشام (يا هشام
ان الله قد حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ
هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب حين علموا ان القلوب
تزغ وتعود الى عماها ورداها أنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم
يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه
ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصداقاً وسره وعلايته موافقاً
لان الله تعالى لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه
تأمل جيداً ايها العاقل في هذا الحديث لكي تعرف ان الأحكام
الشرعية التي كلف الله عباده بها يلزم ان تكون مأخوذة عن يسندها الى

الله ويستعملها من الله : فالنبي يأتيه الحكم من الله وقد اودع الأحكام عند
وصيه علي بن أبي طالب وعلي أودعها عند الامام والوصي بعده وهكذا
كل يودعها عند الآخر من الراسخين بالعلم : فلا تكن من زائغي القلوب
الذين يبتغون الفتنة : روى عن الامام الصادق (ع) قال : اكثروا من أن
تقولوا ربنا لا نرغ قلوبنا بعد اذ هديتنا : ولا تأمنوا الزيف :

ايقاظ :

ان من الواضح ان العلماء تختلف درجاتهم ومنزلتهم باختلاف ما عندهم
من العلم : كثرة وقلة فقد روى عن النبي (ص) : انه قال (اكثر الناس
قيمة اكثرهم علماً وأقل الناس قيمة اقلهم علماً) وعلى هذا تكون درجات
العلماء مختلفة فبعضهم عندهم علم واحد وبعضهم عندهم علمان وهكذا
فيقال فلان عالم بالنحو وفلان عالم بالصرف وفلان عالم باللغة وفلان عالم
بالكلام وفلان عالم بالمعقول والمنقول فاذا انتهت التوبة الى العالم بجميع
العلوم يقال له عالم بقول مطلق من غير نسبة الى بعض العلوم وهو الذي
نوه عنه النبي (ص) بقوله : (اعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه)
ثم ان كل عالم من أي الطبقات كان ان يكون متصفاً بالايمان واما ان
لا يكون متصفاً به فاذا كان عالماً غير مؤمن فهذا لا ينفعه علمه إلا في
الدنيا الفالية ولا يقربه علمه الى الله فان أفضل العلوم واشرفها هو المقرب
الى الله عز وجل وقد ذم الله هذا القسم من العلماء وتوعدهم بالعذاب
بقوله : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق
بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده : الخ) (١)

(١) سورة غافر ٨٢

وهذا منطبق على اهل العصر الحاضر تماماً فترى الايمان عالماً أو جاهلاً اذا كلمته بشيء من أمور الدين يجيبك منكراً عليك قائلاً : ان العلماء قد صنعوا القنبلة الذرية والصاروخ وسفينة الفضاء وانتم بعد على عقلمكم القديم فلا يخفى أن الانسان مهما تطور وتقدم وحصل على علوم مهمة فان الله لا يرفع عنه العكليف في الواجبات ولا يرخسه في ارتكاب المحرمات واما العالم المتصف بالايمان فهو الذي قد حصل خير الدنيا والآخرة فالعالم في جميع الأمور والمؤمن بالله حق الايمان هو الذي يحكم العقل والنقل بوجود تقدمه على سائر الناس وهو المرشد لسائر طبقات البشر في أمورهم الدنيوية والأخرية ، ولا يجوز لغيره التقدم عليه فاذا تقدم عليه فهو ظالم وكل من ساعده وأعانه فهو شريكه في الظلم :

روي في تحف العقول عن الصادق (ع) قال : (من هدى للناس الى نفسه وفيهم من هو اعلم منه فهو مهتدع ضال) : وقد مدح الله هذه الجماعة التي رزقت العلم والايمان في مقامات من القرآن فيها قوله في سورة الروم (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) (١) وقال تعالى في سورة المجادلة : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا للعلم درجات) (٢) حيث قررت الآية الأولى ان كلامهم هو الحق المطابق للواقع وأخبر في الآية الثانية أنه قد رفع درجاتهم فرق جميع الدرجات ، فلا شبهة ولا ريب في حكم العقل والعرف والشرع ان اعلم الناس في سائر انواع العلم يجب ان يكون هو المقدم في تولية امور الناس والمقصود من اعلم الناس في سائر العلوم هو الذي اذا تكلم للناس في أي علم من العلوم تراه هو

(١) سورة الروم : ٥٦

(٢) سورة المجادلة : ١١

المبرز فيه وحججه تكون أعلى الحجج ولا يتمكن أحد من العلماء على
دحض حجته وإبطال كلامه وبعد هذه المقدمة هل يتصور احد او يقدر
ان يعبر عن هذا الشخص الذي فرضناه اعلم الناس في جميع العلوم هل
يمكن احد ان يصف هذا الشخص بوصف يكون وافياً بالدلالة على مقامه
العلمي بهارة تشبه او تقرب من قول الله تعالى بما وصفهم الله به بكلمتين هما
قوله : (والراسخون في العلم) ثم هل ان الله سبحانه وصف رجالا موهومين
لا وجود لهم في الخارج وقرئهم بنفسه في وصفهم بمعرفة تأويل القرآن أو
أنهم موجودون ومتصفون بهذه الصفة وهي العلم بالتأويل .

ثم اني اوجه للسؤال الى اهل العلم وأهل الحكمة وأهل المعرفة من
سائر فرق المسلمين فاسألهم هل انهم بحثوا او فحصوا من يوم نزول الآية
الى يومنا هذا عن هؤلاء الرجال الذين وصفهم الله حتى يحصلوا على شيء
من علومهم حيث ان الله يقول : (واسئلو اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)
اما خطر في أذهانهم ان يتعرفوا على هؤلاء الرجال او انهم بحثوا او سألوا
فلم يعرفوهم او انهم عرفوهم فاخفوا ذكرهم لاغراض دنيوية (طهما)
وما قدر الدنيا بأجمعها في جنب هذا الامر العظيم اما يتصور ذو العقل ان
للقرآن فيه علوم الاولين والآخرين وأن الذين يمكنهم استخراج هذه العلوم
هم للذين نوه الله عنهم بقوله : (الراسخون في العلم) فلو عرفهم وانتفع
بعلومهم لظفر بخير الدنيا والاخرة اما مع تضييعهم واهمال معرفتهم او اخفاء
ذكرهم بعد معرفتهم كل ذلك طمعا في شيء من حطام الدنيا فهذا ليس
من اختيار العاقل .

هذا للسؤال موجه الى اهل العلم من سائر الفرق اما بعض الفرق فقد
ادعى معرفتهم فيلزم بقية الفرق مطالبة بالدليل ليعرف صوابه من خطأه
فانهم يدهون انهم عرفوهم وميزوهم وشخصوهم وتمسكوا بهم واعترفوا

من علومهم عرفهم بهم رسول الله (ص) وعرفهم بهم كثرة علومهم التي يعجز عنها جميع البشر وهم انفسهم أي (لرأسخون في العلم) هم عرفوا الناس بأنفسهم وليس تعريفهم لانفسهم مجرد دعوى بل قرأوا للتعريف بأدلة وحجج قوية ، واطهروا من علوم القرآن ما يعجز الناس عن عشره ومشاره اما تعريف النبي (ص) لهم فن أظهر موارده قوله (ص) (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) هذا الحديث الشريف ليس في صدره عن النبي شبهة ولا ريب فان كل من كتب عن النبي (ص) ذكر هذا الحديث من جميع فرق المسلمين ، وأما معناه ومفاده فهو واضح جلي غير متشابه ولا يحمل وليس فيه غموض ولا خفاء وليس لمدته التي أمرنا بها غاية ولا انقطاع بل جعل النبي (ص) هذين الأمرين حجة وأمرنا بالتمسك بهما من حين ارتحاله من الدنيا الى وقت ورود الحوض عليه فلا يجوز لأحد من المسلمين ان يعمل عملا من امور الدين أو للدنيا إلا بعد موافقة هذين الأمرين اللذين أمرنا بالتمسك بهما وحيث ان الكتاب لا يمكن لكل أحد أن يستخرج الحكم منه جعل النبي العترة هي التي تستخرج منه الأحكام ولذا جعلها ملازمة له فقال لا يفترقا حتى يردا عليه الحوض وقد جعل النبي للتمسك بهما موجب وسبب للهدى وعدم الضلال ، وهذه عبارة واضحة جلية لا تحتاج أن يفسرها لك عالم ديني أو عالم لغوي .

فيا ايها الشباب المنتور أنك تعرف كل شيء بحمد الله في هذا العصر فلماذا تفوتك هذه العبارة والجملة القصيرة ذات الفائدة الجلية هذا أمر ان تمسكت به كنت من المهتدين المؤمنين وان تركته كنت من الضالين (لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما) ففكر بها قليلا ستهتدي ان شاء الله تعالى فانها

واضحة هذه كلمة واحدة من كلمات النبي (ص) في تعريف الراسخين في العلم .

وهناك كثير مثلها يعجز القلم عن حصرها وعدّها ، واما للتعريف بهم من ناحية كثرة علومهم فان من له أدنى المام واول معرفة بالعلوم فانه يدرك هذا الأمر أما بالنسبة الى اولهم وهو الامام علي بن أبي طالب فان المسائل التي وجهت الى ابي بكر وعمر وعثمان وعجزوا عن الجواب عنها والتجأوا ليه في الاجابة فأجاب بسهولة عنها فهو كاف في التميز .

واما ما ذكره في نهج البلاغة من العلوم فهو وحده كاف واما ما ورد عن النبي (ص) في أنه عنده جميع العلوم كما في الصحاح الستة فهو وحده كاف ، وأما قوله (ع) (علمني رسول الله (ص) الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب) فهو وحده كاف في الموضوع واما اعتراف الصحابة بكثرة علمه كأبي بكر وعمر وابن عباس وابن عمر وسلمان وابي ذر وغيرهم فهو كاف في الموضوع .

وأما ما ذكره هو في بعض المناسبات وهو للصادق المصدق كقوله (سلوني قبل ان تفقدوني : : : الخ) فهو كاف في الموضوع هذا بالنسبة الى اول الأئمة واما بالنسبة للباقي وهم بقية الاثني عشر للذين نوه عنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر اسمائهم فهم كذلك فيما صدر منهم من العلوم انظر الى ما صدر عن الامام للصادق (ع) حيث انه لم يكن مضيقاً عليه في ذلك الوقت فانه صدر عنه في جميع العلوم الاحاديث الكثيرة انظر الى توحيد المفضل وما فيه من العلوم استمع لما يقوله ابو حنيفة حكى عن مسند ابي حنيفة قال الحسن بن زياد ، سمعت ابا حنيفة وقد سئل من افقه من رأيت قال جعفر بن محمد لما اقدمه المنصور بعث إلي فقال يا ابا حنيفة ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهبي له من مسائلك الشداد فهبث له اربعين

مسألة ثم بعث إلي وإبو جعفر بالحيرة فأثبته فدخلت عليه وجعفر (ع) جالس
عن يمينه فلما بصرت به دخلني من الهبة لجعفر (ع) ما لم يدخاني لأبي جعفر
فسلمت عليه فأومى الي فجلست ثم التفت اليه فقال يا أبا عبد الله هذا
أبو حنيفة قال نعم اعرفه ثم التفت الي فقال يا أبا حنيفة للقي علي أبي
عبد الله من مسائلك فجمعت الي عليه فيجيبني فيقول انعم تقولون كذا
وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا وربما تابعنا وربما تابعهم وربما
خالفنا جميعاً حتى أثبت علي الأربعين مسألة فما أدخل منها بشيء ثم قال
أبو حنيفة أليس ان اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس انتهى :
فهذه شهادة من ابي حنيفة ان الامام الصادق هو افقه الناس وقال
ابن قتيبة في كتاب ادب الكاتب ما نصه وكتاب الجفر كتبه الامام الصادق
ابن محمد الهاقر فيه كل ما يحتاجون الي علمه الي يوم القيامة والى هذا الجفر
أشار ابو العلاء المعري :

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم في جلد جفر
ومرأة المنجم وهي صفري تربه كل عامرة وقفر
وحكي عن السيد الشبلنجي الشافعي في نور الابصار في احوال الصادق
عليه السلام قال ومناقبه كثيرة تكاد تفوت عند الحاسب ويحار في انواعها
فهم اليقظ الكاتب روى عن جماعة من اعيان الأئمة واعلامهم كيجي بن
سعيد وابن جريح ومالك بن السنن والثوري وابن عيينة وابي حنيفة وابي ايوب
السجستاني وغيرهم :

وقال مالك بن السنن ما رأيت عين ولا سمعت اذن ولا خطر علي قلب
بشر افضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً ثم انظر الي
ما صدر من الامام الثامن حين جمع له المأمون اهل الأديان واهل الكلام
كيف غلب الجميع واقام لهم الأدلة من الآيات القرآنية واللسنة النبوية فلا
تفوتك الفرصة انظر الي تاريخ حياتهم واحداً واحداً سوف تعرف الحق

فاذا عرفته فلا تعرض عنه ولا تغمض فيه لأجل شيء من الدنيا وكن مع الحق أينما كان فان الدنيا زائلة فقد روى عن الصادق (ع) قوله :

علم المحجة والضح لم يرد به وأرى القلوب عن المحجة في عمى
ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجى
وعن تفسير الثعالبي روى الأصمعي له (ع) :

أتأمن بالنفس النفيسة ربها فليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها يشتري الجنات ان انا بعثها بشيء سواها ان ذاكم غبن
اذا ذهبت نفسي بدنيا اصبتها فقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

وينبغي للانسان أن يتأمل في هذه الآيات الثلاثة ليعرف معناها
فانه (ع) يقول ان نفس الانسان نفيسة لا يقدر على دفع ثمنها إلا الله
تعالى فلا ينبغي للانسان أن يبيعها إلا على الله إذ الخلق كلهم لا يقدر
على دفع ثمنها وإذا كان البيع على الله فحسب فلا ينبغي بيعها إلا بالجنة
ثمناً فانها أحسن الأشياء للانسان فاذا باعها بشيء آخر غير الجنة فهو إذا
مغبون والعاقل الملتفت لا يغبن فلو أنك يا ذا النفس بعث نفسك بشيء من
الدنيا أو بالدنيا كلها فاعلم انك قد خسرت نفسك لانك بعثتها والثمن الذي
اخذته عوضاً عن نفسك فسوف تخسره ايضاً لانك ستتركه اذا أتاك الموت
وان لم تتركه انت فهو يتركك والمقصود من البيع والشراء هنا هو الدين
الذي يدين الانسان به ربه فان كان اخذه عن الله وكان بأمر الله وارشاده
وبواسطة من جعله الله واسطة بينه وبين خلقه واودع عنده جميع الأحكام
والعلوم فهذا هو الذي باع نفسه على الله اما اذا كان آخذاً لدينه من
رجال لم يجعلهم الله وسطاء بينه وبين عبادته وليس لهم اطلاع بالأحكام
الآلية وليس عندهم من العلم إلا ما اكتسبوه من افواه الرجال ويكون هذا
التابع لهم ملتفتاً الى ذلك فقد باع نفسه بالدنيا فسوف تذهب نفسه وتذهب

الدنيا فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .
وأما دلالتهم لنا على انفسهم وانهم هم الراسخون في العلم وهم
للوسطاء بين الله وبين عبادته وانهم هم ساسة العباد واركان للبلاد وأمناء
الرحمن فقد وردت عنهم احاديث كثيرة بهذا المضمون نذكر منها ما تيسر
في هذا الكتاب وبالله نستعين :

الأول ما ذكر في بحار الأنوار ج ١ ص ٩٥ كهباني قال إشارة الى
كتاب الارشاد روى ثقة اهل النقل عند العامة والخاصة عن أمير المؤمنين
عليه السلام في كلام افتتاحه الحمد لله والصلاة على نبيه (ص) اما بعد
فدمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا
يظماً عنه سنج اصل وأن الخير كله في من عرف قدره وكفى بالمرء جهلاً
ان لا يعرف قدره وأن بعض الخلق عند الله رجل وكله الى نفسه جائر
عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة قد لهج فيها بالصوم والصلاة فهو
فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله فضل لمن اقتدى به حال
خطايا غيره رهين بخطيئة قمش جهلاً في جهال غشوه غار باعاش الفتنة
هم قد سماه اشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً بكر فأستكثر مما قل
منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واستكثر من غير طائل جلس
للناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره ان خالف من سبقه لم
يأمن من نقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله وان نزلت
به احدى المهمات هياً لها حشواً من رأيه ثم قطع عليه فهو من لبس الشبهات
في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ ، ولا يرى ان من وراء
ما بلغ مذهباً ان قاس شيئاً بشيء لم يكذب رأيه وان اظلم عليه امر اکتتم
به لما يعلم من نفسه من الجهل والنقص والضرورة كي لا يقال انه لا يعلم ثم
اقدم بغير علم فهو خائض عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر

من لا يعلم فيسلم ولا يعرض في العلم بضرس قاطع فيهمم بذرى الروايات
ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء ويستحل بقضائه
الفرج الحرام ويحرم به الحلال لا يسلم باصدار ما عليه ورد ولا يندم على
مامنه فرط ثم بعد ما اعلمنا بوجود هذا الصنف من الناس وهم للدجالون
الذين يجلسون في مجلس القضاء وليسوا من اهله وعلى الناس ان يقاطعوهم
ويتركوا مراجعتهم فان الله يودع العلم عند اناس معدودين فلا يتمكن غيرهم
ان يحصلوا على هذا العلم فان الله ينقله من واحد الى واحد ممن يختارهم
لارشاد العباد فيلزم على العبد ان يفحص عن هؤلاء الرجال الذين نوه الله
عنهم بقوله : (والراسخون في العلم) ليرشدوه الى طريقة الدين التي يريدنا
الله ويعلموه احكام الدين الحقيقية المستمدة من الله :

فيلبغى للعاقل ان يفرغ قلبه ويضفي بسمعه لكلام الامام ليدرك ما يخاطبه
به : بعد المقدمة المذكورة قال (ع) بعد كلامه المتقدم (ايها الناس عليكم
بالطاعة والمعرفة بمن لا تعذرون بجهالته فان العلم الذي هبط به آدم وجميع
ما فضلت به النبيون الى محمد خاتم النبيين في عترة محمد فأين يتاه بهم بل
ابن تذهبون يامن نسخ من اصلااب اصحاب السفينة فهذه مثلها فيكم فاركبوها
فكما نجا فهاتيك من نجا كذلك في هذه من دخلها انا رهين بذلك قسماً
حقاً وما انا من المتكلمين ، الويل لمن تخلف ثم الويل لمن تخلف اما بهلكم
ما قال فيهم نبيكم (ص) حيث يقول في حجة الوداع اني تارك فيكم للثقلين
ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانها لن
يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيها الا هذا عذب
فراش فاشربوا وهذا ملح اجاج فاجتنبوا) :

هذا آخر كلامه فقد اوضح لك للطريق وبين لك ان العلم الذي هبط
به آدم وكذا للعلوم التي عند سائر الانبياء الى خاتمهم هو محمد بن عبدالله (ص)

هذه العلوم كلها عند عترة محمد (عليهم السلام) فمن اراد العلم الصحيح
ومن اراد الدين الحق الذي امر الله به نبيه وبينه النبي لعلي حرفاً حرفاً فليقتصد
عترة محمد (ص) ولا أقول كل العترة بل الاشخاص الذين اشار الله اليهم
في قوله : (والراسخون في العلم) واولهم وافضلهم النبي ثم اوصياؤه الاثنى
عشر الذين قرئهم بالكتاب وجعلهم خلفاء لنا وامرنا بالتمسك بهم حتى
لا نكون من الضالين :

الثاني : - مرواه الشيخ البهائي في اربعينه الحديث الحادي والعشرون
ورواه المجلسي في البحار ج ١ طبع كتهاني ص ١٤٠ والسند واحد عن
سليم بن قيس الهلالي :

قال : قلت لأمير المؤمنين علي (ع) اني سمعت من سلمان والمقداد وابي
ذر شيئاً في تفسير القرآن واحاديث عن النبي (ص) غير ما في ايدي الناس
ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في ايدي الناس اشياء كثيرة
من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن نبي الله (ص) انتم تخالفونهم فيها
وتزعمون ان ذلك كله باطل افترى الناس يكذبون على رسول الله (ص)
متعمدين ويفسرون القرآن بأرائهم قال اقبل علي علي فقال قد سألت فافهم
الجواب ان في ايدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً
وعاماً وخاصاً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً وقد كذب علي رسول الله (ص) في
عهده حتى قام خطيباً . فقال ايها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب
علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ثم كذب عليه من بعده والما اتاكم
الحديث من اربعة ليس لهم خامس :

١ - رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج
ان يكذب علي رسول الله (ص) متعمداً فلو علم الناس انه منافق كذاب
لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله وراه وسمع

منه فاخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله وقد اخبر الله عز وجل عن المنافقين
بما اخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل : -

(واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم) :

ثم بقوا بعده ففقرهوا الى ائمة الضلال والدعاة الى النار بالزور والكذب
والبهتان فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا وانما
الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله فهذا أحد الأربعة .

٢ - ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه وهم فيه
ولم يتعمد كذباً فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه ويقول انا سمعته
من رسول الله فلو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوه ولو علم انه وهم لرفضه
٣ - ورجل ثالث سمع من رسول الله شيئاً امر به ثم نهى عنه وهو
لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ منسوخه ولم
يحفظ الناسخ واو علم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه
منسوخ لرفضوه .

٤ - وآخر رابع لم يكذب على رسول الله مبغض للكذب خوفاً من
الله وتعظيماً لرسول الله (ص) لم يلبسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به
كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ
وفض المنسوخ فان امر النبي (ص) مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام
ومحكم ومتشابه ، وقد كان يكون من رسول الله (ص) الكلام له وجهان :
كلام عام وكلام خاص مثل القرآن . وقال الله عز وجل في كتابه :
(ما آتاكم الرسول فعخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فيشتهه على من
لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله وليس كل اصحاب رسول الله كان
يسأله عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى ان كانوا
ليحبون ان يجيء الاعرابي وللطاريء فيسأل رسول الله حتى يسمعوا : وقد

كنت ادخل على رسول الله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخيلني فيها ادور معه حيث دار وقد علم اصحاب رسول الله انه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري وربما كان ياتيني رسول الله اكثر ذلك في بيتي وكنت اذا دخلت عليه بعض منازل اخواني واقام عني نساءه فلا يبقى عنده غيري واذا اتاني للخلاوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة (ع) ولا احد من بني وكنت اذا سأله اجابني واذا سكت عنه وفيت مسائلتي ابتدأني فما لزنت على رسول الله آية من القرآن إلا اقرأنيها واملاها علي فكتبتها بخطي ، وعلمني تأويلها ونفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله ان يعطيني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله عز وجل ولا علما إلا أملاه علي وكتبته منذ دعا لي بما دعا وما تركت شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام امر ولا نهى كان او يكون ولا كتاب منزل على احد قبله من طاعة او معصية إلا علمنيه وحفظته فلم انس حرفاً واحداً ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي ان يملا قلبي علماً وحكماً ونوراً فقلت يا بني الله بأبي انت وامي منذ دعوت الله بما دعوت لم انس شيئاً ولم يفنتي شيء لم اكتبه افتتخوف علي النسيان فيما بعد فقال لا لست اخاف عليك النسيان ولا الجهل .

اذا تأمل العاقل في كلمات هذه الرواية وعرف معانيها واراد ان ينصف نفسه ولا يبيعها بثمن بخمس فتذهب نفسه ويذهب الثمن يذهب له ان يعرف واجبه وان يعرف الذي يأخذ منه معالم دينه ولا يأخذ من افواه الناس فان الامام (ع) جعل الرواية عن النبي (ص) اقساماً اربعة لا يجوز للعاقل الأخذ عن ثلاثة اقسام منها ويتعين عليه الأخذ من قسم واحد وهو الذي لم يكذب على رسول الله (ص) ولم ينس ما القاه اليه النبي (ص) بل يحفظ ما سمعه على الدقة ويجيء به كما سمع بلا زيادة ولا نقصان وان

يكون عالماً بالناميخ والمنسوخ والخاص والعام والمحكم والمتشابه ، وان لا يشتهه عليه شيء من هذه العوارض وان يكون معصوماً من الذنوب كلها ومن الخطأ والسهو والنسيان فلم نر ولم نسمع بأحد نسب هذه الصفات الى نفسه غير علي بن أبي طالب (ع) وهو الصادق المصدق للذي لم تنسب له كذبة قط مدة عمره وقد اخبرنا بخطبته هذه ان رسول الله (ص) ما نزلت عليه آية من القرآن إلا علمه بقاويلها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ، وكذا ما نزل في سائر الكتب علي من تقدمه من الأنبياء فاذا كنت ممن يصدق أمير المؤمنين علي (ع) في كلامه هذا فهل يبقى لديك شك او شبهة في دخوله في قوله تعالى :

(وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم) فاذا تيقنت أنه من جملة الراسخين فهل يجوز لك للعقل والمنطق ان تقدم عليه غيره او تأخذ بغير ما يجبرك به من امور الدين ولكل واحد من الأئمة الاثني عشر كلمة او اكثر من كلمة يستدل بها على أنه هو حجة الله في عصره ويثبت هذه الدعاوى بحجة قوية وبرهان جلي تبصرة لمن تبصر :

قال الفخر في تفسيره الكبير ج ٢٩ ص ٨٤ في تفسير سورة الرحمن قال المسألة الثالثة قوله تعالى : (علم القرآن) لا بد له من مفعول ثان فما ذلك انتهى : وذلك حيث ان علم المضاعفة يحتاج الى مفعولين وأن أحد المفعولين هو لفظ القرآن والمفعول الثاني غير مذكور فانه بعد ما يجيب عن هذا الأمر بجوابين ثم يذكر المسألة الرابعة ويشير الى السر في حذف المفعول الثاني : يقول بعد ذلك .

(المسألة الخامسة) مامعنى للتعليم ؟ -

نقول على قولنا له مفعول ثاني افادة العلم به فان قيل كيف يفهم قوله تعالى : (علم القرآن) مع قوله : (وما يعلم تاويله إلا الله) نقول

ان لا يقف عند قوله (إلا الله) ويعطف (الراسخون) على الله عطف
المفرد على المفرد لا يرد عليه هذا - اقول هذا هو قول الامامية القائلون
بالعطف .

ثم قال الفخر الرازي ومن يقف ويعطف قوله تعالى : (والراسخون
في العلم) على قوله : (وما يعلم تأويله) عطف جملة على جملة .
يقول انه تعالى يعلم علم القرآن لأن من علم كتاباً عظيماً ووقع على
ما فيه ، وفيه مواضع مشكلة فعلم ما في تلك المواضع بقدر الامكان يقال
فلان يعلم الكتاب الفلاني ويتقنه بقدر وسعه وان كان لم يعلم مراد صاحب
الكتاب بيقين وكذلك القول في تعليم القرآن او يقول : (لا يعلم تأويله
الا الله) وأما غيره فلا يعلم من تلقاء نفسه مالم يعلم فيكون اشارة الى ان
كتاب الله ليس كغيره من الكتب يستخرج ما فيها بقوة الذكاء والعلم .
انتهى كلامه :

هذا هو قول من يقول بالعطف .

يقولون ان علوم القرآن كلها عند رسول الله (ص) بتعليم من الله
لرسوله وقد اودعها الرسول عند وصيه وخليفته علي بن أبي طالب اي علمه
اياها كما قال علمني رسول الله الف باب من العلم . الخ
ومن بعد علي انتقلت الى الأوصياء فقد وردت عنهم الروايات الكثيرة
في تفسير هذه الآية بقولهم : (ان رسول الله افضل الراسخين في العلم
فقد علم جميع ما انزل الله عليه من التوريل والتأويل وما كان الله لينزل
عليه شيئاً لم يعلمه تأويله واوصياؤه من بعده يعلمون ذلك كله) .
فالفخر الرازي وان اختار في هذه الآية الوقف على لفظ الجلالة
ولكنه في سورة الرحمن اختار ما قاله الامامية من مفاد العطف ومعناه ونسأل
الله ان يهدي أهل القرآن الى صواب القول وعدم الزلل .

قوله تعالى :

(زين للناس حب الشهوات من النساء والهنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) (١) .

(قل أولئبيكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) (٢) .

ان الله سبحانه ذكر هذه الأشياء التي زينت للناس فهم يحبونها ويشتهونها فان الله جعل هذه الشهوة فيهم ولا يمكنهم التخلص منها ولكنه امرهم ان يكون حبهم لهذه الأمور وتمتعهم بها واخذهم منها بمقدار حاجتهم اليها بحيث تكفي لتلك الشهوة حتى يطمئن الانسان ولا يبقى في قلق واضطراب .

اما التوغل في هذه المشتبهات والازدياد منها واحتكارها ومنعها عن الغير وشدة الحرص الموجب للقلق والخروج عن الحالة الطبيعية الموجبة لانقلاب الشيء الى ضده فهذا مالا يريد الله ، فالخلاف الواقع بين المفسرين من أن المزين لهذه الامور هل هو الله عز وجل كما اختاره جماعة او انه الشيطان كما اختاره جماعة غيرهم يمكن للتوفيق فيه بين القولين بما ذكر وهو ان المرتبة الأولى وهي الأخذ بمقدار الحاجة انما هي من الله .

المرتبة الثانية وهي الحرص على الاكثار والاحتكار ومنع الغير عنه انما هي من الشيطان وقد يشير الى المرتبة الأولى قوله تعالى : (ذلك متاع الحياة الدنيا) فان المتاع اخذ مقدار الحاجة وغض النظر عن الزيادة ،

(١) سورة آل عمران ١٣ :

(٢) سورة آل عمران ١٤ :

ويشير الى المرتبة الثانية قوله تعالى : (والقناطر المقنطرة) فانه لا يكون الا من تزين الشيطان فان للعقل بحكم أن هذا المقدر من المال يكون سبباً لطغيان صاحبه فيتكبر على الناس بل قد يتكبر على عبادة الله فهو مذموم غير محمود فان الله خلق هذه الأشياء وزينها في نفوس عباده ليم استقامة هذه الحياة وبقاء النوع في الانسان وفي الحيوان ولتكون وسيلة وسبباً موصلًا الى الآخرة ايضاً ولكن ابليس العدو لله وللانسان في نفس بعض الناس بل القسم الاكثر منهم فاتخذها غاية لنفسها مستقلة لا مقدمة للآخرة وقد قال الله تعالى : (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايبهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرأاً) (١) :

فلينظر الانسان الى كل قسم من هذه الأمور التي ذكرها الله فاولها النساء وآخرها الحرث فانه يجد مرتبة آهية يرضى بها الله ويأمر عباده ان يكونوا كذلك حيث لم يتجاوزوا فيها الحدود التي ترضي الله ويتوصلوا بها الى دار البقاء والخلود ويجد مرتبة شيطانية دلبوية محضة لا يعمل فيها إلا بالمحرمات الضارة التي نهى الله عنها ولم تكن لإملاذ دنبولية زائدة على مقدار ما يحتاج اليه الانسان ، ونرى هذه الزيادة تكون موجبة لاضطراب الانسان محدثة للخلل في دينه او عقله او بدنه فينقلب الغرض الى ضده فكل من خالف الغرض من هذه الأمور وتعدى الحدود ولم يستعملها في المقامات النافعة ويتركها في المقامات الضارة بل انغمس فيها انغماساً حتى غلبت على حواسه كان حظه منها ١٠ يحصل عليه في الحياة الدنيا فقط ولم ينتفع فيها بعد انقضاء مدة الدنيا كما نهبنا الله في قوله : (ذلك متاع الحياة الدنيا) :

وأما الذي اقتصر منها على موارد النفع سار على الطريقة التي أمر بها

(١) سورة الكهف : ٨

الله وترك الزيادة المخلقة به فلم تغلبه بشيء من زيلتها وانما عمل بها كقائمة
لما يقدم عليه من الآخرة فهذا قدر بريح الدنيا والآخرة كما لبهنا الله بقوله :
(والله عنده حسن المآب) .

قوله (قل أولئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري
من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير
بالمعاد) (١) :

لقد ذكر الله عز وجل في الآية السابقة الأمور التي خلقها للدنيا
وعرفنا ان للعبد المطيع الذي يريد النفع لنفسه يمكنه ان ينتفع بالأمور المخلوقة
للدنيا ومع ذلك يحصل على جزاء وتهيئة في الآخرة وذلك كمن يتزوج
لاجل احياء السنة وطلب النسل وطلب الولد لا كذا أمة النبي (ص)
وتثقبيل الأرض بمن يوحد الله ويطلب المال للنفقة على العيال وصلة الرحم
ومساعدة الفقراء وقس على ذلك بقية الأمور فالله عز وجل حيث انه يريد
لعباده النفع في كل الأحوال ويحب لهم ان يحصلوا على الثواب في دار
الخلود عرفهم ولبهم أن ذلك ممكن حتى في الانتفاع بالأمور الدنيوية ثم
بعد ذلك ذكر لنا الأمور التي تنفعنا في الآخرة وانها احسن واحسن بكثير
من الأمور الدنيوية ، وهذه الأمور انما تكون لمن ارادها وعمل بها وهم
المتقون الذين يعملون الأعمال التي يأتي ذكرها في الآية التي بعد هذه الآية
اما في هذه الآية فقد بين الله لنا الأشياء التي يحصل عليها المتقون اذا هم
عملوا بما يأتي في الآية الأخرى من الأعمال :

أما الأشياء التي اعدّها الله لهم فهي ما ذكرها بقوله : (قل أولئكم
بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين

(١) سورة آل عمران : ١٥

فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله) (١) فقد ذكر ثلاثة أشياء اعددها الله للمتقين .

الأول : جنات تجري من تحتها الأنهار والجنات كما عرفها لنا للقرآن وعرفنا بها النبي (ص) في مقامات عديدة وبعد رجوعه من معراجه الى السماوات ودخوله الجنة حيث وصفها وصف مشاهدة وعيان وقد بين للقرآن والنبي (ص) ان فيها كل شيء من مأكول ومشروب وملبوس وفيها انواع المآكل من لحوم مشوية وفواكه متنوعة وغير ذلك ، وكذلك بالنسبة الى المشروبات وهكذا الملابس المتنوعة الاجناس وأعظم كلمة قالها الله في وصفها ان فيها ما تشتهيهِ الأتفس وتلد الأعين اذ ليس بعد هذه الكلمة وصف يمكن ان توصف به الجنة وقد ذكر الله وذكر لنا النبي ان أحسن ما ترغب اليه النفس في الجنة الحور العين وهن اللاتي يكنن ازواجاً للمتقين فهي داخلة ومشمولة لقوله : (جنات تجري من تحتها الانهار) اذ الجنة لاهد ان يكون فيها الحور ولكن الله خصها بالذكر وجعلها الأمر الثاني .

الثاني : مما اعدده للمتقين فقال : (وازواج مطهرة) وانما خصها بالذكر لالها اهم شيء للرجل والذ من كل لذة مقدمة على سائر اللذات ولذا جعلها الله المقدمة في ذكر لذات الدنيا ، اما بالنسبة الى لذات الآخرة فهي ليست الأولى من اللذات وانما الأولى هي دخول الجنة فان الهشارة بدخول الجنة يعلم للشخص انه نجا من النار والنجاة من النار اعظم من كل بشارة والسبب الثاني لذكر الأزواج هو وصفها بهذا الوصف وهو انها مطهرة بخلاف نساء الدنيا فان نساء الدنيا يحدثن ويحضن ويعرض لمن بعض العوارض من مرض وكبر وهرم وشيب وتشويه وسوء خلق وعدم أمن وأمان وكراهة منها لزوجها او من زوجها لها ولو لم يحصل كل هذا

(١) سورة آل عمران : ١٥ :

فالفرق النهائي الذي لا رجعة له وهذه الصفات لا يوجد شيء منها في الحور فهن مطهرات من كل حدث وعارض فلا يحدثن كحدث نساء أهل الدنيا وكذا جميع أهل الجنة وليس عندهم حدث .

ولا بأس بذكر قصة ديدية علمية لها تعلق ودلالة بعدم حدث أهل الجنة لنقلها بطورها لان فيها دلالة على كلامنا في الآية السابقة : وهي وجود رجال اودع الله عندهم جميع العلوم وان الأرض لا تخلو منهم وهم أوصياء لبيبا الاثني عشر وهم الأئمة الذين ذكرهم النبي (ص) أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي المنتظر عليهم سلام الله :

قال السيد عبد الله شبر في جلاء العيون ج ٣ ص ١٩ روى ابن طاووس في كتاب (أمان الاخطار) باسناد معتبر عن الصادق (ع) قال حجج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد عليهما السلام فقال جعفر بن محمد الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً واکرمنا به فنحن صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده وخلفائه فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا وخالفنا ثم قال فاخبر مسلمة بن عبد الملك اخاه هشاماً بما سمع فلم يعرض لنا حتى انصرف الى دمشق والصرفنا الى المدينة فانفذ بريد الى عامل المدينة باشخاص أبي واشخاصي فلما وردنا مدينة دمشق حججنا ثلاثاً ثم اذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا واذا به قد قعد على سرير الملك وجنده خاصة وقوف على أرجلهم سباطان متسلحان وقد نصب البرجاس حذاه واشياخ قومه يرمون فلما دخلنا وأبي امامي وانا خلفه فنادى ابي وقال يا محمد أرم مع اشياخ قومك الغرض فقال له ابي اني قد كبرت عن الرمي فهل رأيت ان تعفيني فقال وحق من اعزنا بدينه ونبينا محمد (ص) لا أعفيك ثم أومى الى شيخ من بني أمية ان اعطه قوسك فتناول ابي عند ذلك قوس للشيخ ثم تناول

منه سهماً فوضعه في كبد القوس ورمى ثم انزع ورمى وسط الهرض فنصبه
فيه ثم رمى فيه للثالية فشق فواق سهمه الى نصله ثم تابع الرمي حتى شق
تسعة اسهم بعضها في جوف بعض وهشام يضطرب في مجلسه فلم يتمالك
ان قال اجدت اجدت يا أبا جعفر انت ارمى العرب والعجم كلالزعت انك
كبرت عن الرمي ثم ادركته لدامة على ما قال وكان هشام لم يكن احداً
قبل أبي ولا بعده في خلافته فهم به واطراق الى الارض اطراقة يعزى
فيه وانا وأبي واقفان حذاءه مواجهين نه فلما طال وقوفنا غضب ابي
فهم به وكان أبي اذا غضب نظر الى السماء نظر غضبان يرى الناظر للغضب
في وجهه فلما نظر هشام الى ذلك من ابي قال له الي يا محمد فصعد ابي
الى السرير وانا اتبعه فلما دنا من هشام قام ليه واعتنقه واقعهده عن يمينه
ثم اعتنقني واقعدني عن يمين ابي ثم اقبل على أبي بوجهه فقال له يا محمد
لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك لله درك من علمك
هذا الرمي ؟ وفي كم تعلمته ؟ فقال ابي قد علمت ان اهل المدينة يتعاطونه
فقطايته أيام حدثتي ثم تركته فلما أراد امير المؤمنين مني ذلك عدت فيه
فقال له مارأيت مثل هذا الرمي قط مذ عقلت وما ظننت ان في الأرض
احداً يرمي مثل هذا الرمي ايرمي جعفر مثل رميك فقال انا نحن نتوارث
الكمال والتمام اللذين انزلها الله على نبيه في قوله (اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) والارض لا تخلو ممن
يكمل هذه الأمور التي يقصر غيرنا عنها فلما سمع ذلك من ابي انقلبت
عينه اليميني فاحولت واحمر وجهه وكان ذلك علامة الغضب ثم اطرق
هنيئاً ثم رفع رأسه فقال لأبي السنابني عهد مناف سبنا ونسبكم واحد فقال
ابي نحن كذلك ولكن الله جل ثناؤه اختصنا من مكنون سره وخالص علمه
بما لم يخص به احداً غيرنا فقال ليس الله جل ثناؤه بعث محمداً من شجرة

بني عهد مناف الى الناس كافة ابيضها واسودها واحمرها من ابن ورثتم
 ما ليس لغيركم ورسول الله مبعوث الى الناس كافة وذلك قول الله تبارك
 وتعالى : (ولله ميراث السماوات والأرض) الى آخر الآية فمن أين ورثتم
 هذا العلم وليس بعد محمد نبي ولا انتم انبياء فقال ابي عليه السلام من
 قوله تبارك وتعالى لنبيه (لا تحرك به لسانك لتعجل به) الذي لم يحرك به
 لسانه لغيرنا امره الله ان يخلصنا به من دون غيرنا فلذلك كان ناجي اخاه
 علياً من دون أصحابه فانزل الله بذلك قرآته في قوله تعالى : (وتعيها
 اذن واعية) فقال رسول الله سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي فلذلك قال
 علي بن ابي طالب بالكوفة علمني رسول الله الف باب من العلم ففتح من
 كل باب الف باب خصه رسول الله من مكنون سره بما يخص امير المؤمنين
 اكرم الخلق عليه فكما خص الله نبيه خص نبيه اخاه علياً من مكنون سره
 مما لم يخص به احداً من قومه حتى صار الينا فتوارثناه من دون اهلنا ،
 فقال هشام بن عبد الملك ان علياً كان يدعي علم الغيب والله لم يطلع على
 غيبه احداً فمن اين ادعى ذلك ؟ فقال ابي ان الله جل ذكره انزل على نبيه
 كتاباً بين فيه ما كان وما يكون الى يوم القيامة في قوله تعالى : (ونزلنا
 عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (١) وفي
 قوله : (وكل شيء احصيناه في امام مبين) وفي قوله تعالى (ما فرطنا
 في الكتاب من شيء) وأوحى الله الى نبيه ان لا يبقى في غيبه وسره
 ومكنون علمه شيئاً الا يناجي به علياً فأمره ان يؤلف القرآن من بعده
 ويتولى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه وقال لأصحابه حرام على
 أصحابي وأهلي ان ينظروا الى عورتي غير اخي فانه مني وأنا منه له مالي
 وعليه ما علي وهو قاضي ديني ومنجز وعدي ثم قال لأصحابه علي بن

(١) سورة النحل : ٨٩

ابي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ولم يكن عند أحد
تأويل القرآن بكلامه وتماهه إلا عند علي ولذلك قال رسول الله (ص)
اقضاكم علي : اي هو قاضيكم ، وقال عمر بن الخطاب لولا علي لهلك
عمر ، يشهد له عمر ويحجده غيره ، فاطرق هشام طويلاً ثم رفع رأسه
فقال سل حاجتك فقال خلفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي فقال :
قد آتس وحشتهم برجوعك اليهم ولا تقم سر من يومك فاعتنقه أبي ودعا
له وفعلت انا كفعل أبي ثم نهض ونهضت معه وخرجنا الى بابيه واذا ميدان
ببابه وفي آخر الميدان الناس قعود عديد كثير قال ابي من هؤلاء ؟
فقال الحجاب هؤلاء القسس والرهبان وهذا عالم لم يقعد اليهم في كل سنة
يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم فلف ابي عند ذلك رأسه بفاضل ردائه وفعلت
انا مثل فعل ابي فاقبل نحوهم حتى قعد نحوهم وقعدت وراء ابي ورفع
ذلك الخبر الى هشام فأمر بعض غلمانه ان يحضر الموضوع فينظر ما يصنع
ابي فاقبل واقبل عدد من المسلمين فأحاطوا بنا واقبل عالم للنصارى قد
شد حاجبه بحريرة صفراء حتى توسطنا فقام اليه جميع القسيسين والرهبان
مسلمين عليه فجأوا به الى صدر المجلس فقعد فيه واحاط به اصحابه وابي
وانا بينهم فادار نظره ثم قال لأبي أمنا ام من هذه الأمة المرحومة فقال
هل من هذه الأمة المرحومة فقال من ابن انت من علمائها ام من جهالها
فقال له أبي لست من جهالها فاضطرب اضطراباً شديداً ثم قال له أسألك
فقال له ابي سل :

فقال من أين ادعيتم ان اهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يتحدثون
ولا يبولون وما الدليل فيما تدعونه من مشاهد لا يجهل ؟
فقال له أبي : - دليل مائدي من مشاهد لا يجهل : الجنين في بطن امه
يطعم ولا يتحدث :

قال فاضطررب النصراني اضطرارهاً شديداً ، ثم قال : هلا زعمت انك لست من علمائها فقال له ابي انما قلت لك لست من جهالها واصحاب هشام يسمعون ذلك ، فقال لابي اسألك عن مسألة اخرى ، فقال له ابي سل ، فقال له من ابن ادعيتم ان فاكهة الجنة ابدأ غضة طرية موجودة غير معدومة عند جميع اهل الجنة وما الدليل عليه من مشاهد لا يجهل ؟

فقال له ابي دليل ما ندعي انه سراجنا وفي نسخة تراينا اهدا يكون غصاً طرياً موجوداً غير معدوم عند جميع اهل الدنيا لا ينقطع ، فاضطررب اضطرارهاً شديداً فقال هلا زعمت انك لست من علمائها :

فقال له ابي انما قلت لك لست من جهالها ،

فقال له اسألك عن مسألة فقال سل قال اخبرني عن ساعة لامن ساعات الليل ولا من ساعات النهار فقال له ابي هي الساعة التي بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس يهدأ فيها المبتلى ويرقد فيها الساهر ويفيق فيها المغمى عليه جعلها الله في الدنيا رغبة للراغبين وفي الآخرة للعاملين لها دليلاً واضحاً وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين التاركين لها .

قال فصاح النصراني صيحة ثم قال بقيت مسألة واحدة والله لاسألك عن مسألة لا تهتدي الى الجواب عنها ابداً ، قال له ابي سل فانك حاث في يمينك ، فقال اخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد عمر احدهما خمسون سنة وعمر الآخر مائة وخمسون سنة في دار الدنيا فقال له ابي ذلك عزيز وعزيره ولدا في يوم واحد فلما بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين عاماً مر عزيز على حماره راكباً على قرية بانطاكية وهي خاوية على عروشها فقال اني يحبي هذه الله بعد موتها وقد كان اصطفاه وهده فلما قال ذلك القول غضب الله عليه فاداه الله مائة عام سخطاً عليه بما قال ثم بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرايه وعاد الى داره

وعزيرة اخوه لا يعرفه فاستضافه فاضافه وبعث اليه ولد عزيرة وولد ولده
وقد شاخوا وعزير شاب في سن ابن خمس وعشرين سنة فلم يزل عزير
يذكر أخاه وولده وقد شاخوا وهم يذكرون ما يذكرون ويقولون ما اعلمك
بامر قد مضت عليه السنون والشهور ويقول له عزيرة وهو شيخ كبير ابن
مائة وخمسة وعشرين سنة ما رأيت شاباً في سن خمس وعشرين سنة اعلم بما
كان بيني وبين أخي عزير ايام شبابي منك فن اهل السماء انت أم من
اهل الارض ، فقال يا عزيره انا عزير سخط الله علي بقول قلته بعد ان
اصطفاني وهداني فاماتني مائة سنة ، ثم بعثني لتزدادوا بذلك بقيتنا ان الله
على كل شيء قدير وهاهو هذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت به
من عندكم اعاده الله تعالى كما كان فعندها ايقن فاعاشه الله بينهم خمسة وعشرين
سنة ثم قبضه الله واخاه في يوم واحد فنهض عالم النصرارى عند ذلك قائماً
وقام النصرارى على ارجلهم فقال لهم عالمهم جئتموني باعلم مني واقعدتموه
معكم حتى هتكني وفضحتني واعلم المسلمين بان لهم من احاط بهلومنا وعنده
ماليس عندنا لا والله لا كلمتكم من رأسي كلمة واحدة ولا قعدت لكم
ان عشت سنة فتهرقوا واني قاعد مكانه وانا معه .

وروى القطب الراوندى ان للديراني اسلم مع اصحابه على يديه ورفع
ذلك الخبر الى هشام فلما تفرق الناس نهض ابي والنصر الى المنزل الذي
كنا فيه فوافانا رسول هشام بالجائزة وامرنا ان ننصرف الى المدينة من
ساعتنا ولا نجلس لان الناس ماجوا وخالصوا في ما دار بين ابي وبين عالم
النصارى فركبنا دوابنا منصرفين .

وفي رواية انه امر بحبسه فقالوا له ان اهل الحبس قد تعلقت قلوبهم
بحبه فارسلنا الى المدينة وقد سبقنا يريد من عند هشام الى عامل مدين على
طريقنا الى المدينة ان ابني ابي تراب الساحرين محمد بن علي وجمعه بن

محمد للكذابين فيما يظهران من الاسلام وردا علي ولما صرفتهما الى المدينة
مالا الى القسيسين والرهبان من كفار النصارى واطهرا لها دينها ومرقا من
الاسلام الى الكفر ودين النصارى وتقربا اليها بالنصرانية فكرهت ان الكل بهما
لقربتهما فاذا قرأت كتابي هذا فناد في الناس برأت للذمة ممن يشاريها
او يباليها او يصادفها او يسلم عليها فانها قد ارتدا عن الاسلام ورأى
أمير المؤمنين ان يقتلها ودوابها وغلماها ومن معها شر قتلة .

قال فورد البريد الى مدين فلما شارفا مدينة مدين قدم أبي غلما
ليرتادوا لنا منزلا ويشترروا لدوابنا علفاً ولنا طعاماً فلما قرب غلماننا من باب
المدينة اغلقوا الباب في وجوهنا وشتموننا وذكروا على بن أبي طالب فقالوا
لانزول لكم عندنا ولا شراء ولا بيع يا كفار يا مشركين يا مرتدين يا كذابين
ياشر الخلائق اجمعين فوقف غلماننا على الباب حتى انتهينا اليهم فكلمهم
أبي وهين لهم القول وقال لهم اتقوا الله ولا تغلظوا فلسنا كما بلغكم ولانحن
كما يقوون فاسمعونا فقال لهم فهبنا كما تقولوا ، افتحوا لنا للباب وشارونا
وبايهونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى والمجوس فقالوا انتم اشر
من اليهود والنصارى والمجوس لان هؤلاء يؤدون الجزية وانتم ماتودون
الجزية ، فقال لهم ابي فافتحوا لنا الباب وانزلونا وخذوا منا الجزية كما
تأخذون منهم فقالوا لانفتح ولا كرامة لكم حتى تموتوا على ظهور دوابكم
جباةً لباة او تموتوا ودوابكم تحتكم ، فوعظهم أبي فازدادوا عتواً ونشوزاً ،
قال فنفى أبي رجله عن سرجه ثم قال لي مكائك يا جعفر لا تبرح ثم
صعد الجبل المطل على مدينة مدين واهل مدين ينظرون اليه ما يصنع فلما
صار في اعلاه استقبل بوجهه المدينة وحده ثم وضع اصبعه في اذنيه ثم
نادى باعلى صوته (والى مدين أخاهم شعيبا الى قوله ببقية الله خير لكم
ان كنتم مؤمنين) نحن والله ببقية الله في ارضه فأمر الله رجلاً سوداء مظلمة

فهيت واحتملت صوت أبي فطرحته في اسماع الرجال والصبيان والنساء فما
بقي احد من الرجال والصبيان والنساء الا صععدوا السطوح وابى مشرف عليهم
وصعد فيمن صععد شيخ من اهل مدين كبير السن فنظر الى أبي على الحيل
فنادى بأعلى صوته اتقوا الله يا أهل مدين فانه قد وقف الموقف للذي
وقف فيه شعيب حين دعا على قومه فان انتم لم تفتحوا له الباب ولم
تنزلوه جاءكم من العذاب واني أخاف عليكم وقد أعذر من انذر ففرعوا
وفتحوا الباب فأنزلونا وكتب بجميع ذلك الى هشام فارتحلنا في اليوم الثاني
فكتب هشام الى عامل مدين بأمره بأن يأخذ الشيخ فيقتله فأخذوه فدفتوه
حيأ رحمه الله :

وفي رواية ان هشام بن عبد الملك كتب الى عامل مدين بحمل الشيخ
اليه فمات في الطريق وكتب الى عامل مدينة الرسول (ص) ان يحتمل في
سم أبي في طعام او شراب فضى هشام ولم يتهياً له في أبي من ذلك شيء
هذا آخر ما ذكر في هذه الرواية :

واني ارجو من أهل العلم ومن يحب العلم وأهله وارجو ممن يطلب
الرشد الذي قد تهن في هذه الرواية وفي غيرها من أمثالها ارجو ممن يريد
انصاف نفسه ولا يرضى بهلاكها هلاكاً أهدباً ارجو من كل مسلم ذي عقل
وفهم ان يتأمل في فقرات هذه الرواية تأملاً دقيقاً فان الذي دعاني :

أولا لذكرها هو الوصف الذي ذكر في القرآن للازواج بقوله :
(وازواج مطهرة) فقد بين الامام عليه السلام امكان كون الشخص يأكل
ويشرب ولا يحدث ومثل لنا بشيء مشاهد لا يجهل وهو الجنين في بطن
أمه ثم رأيت ان الأصوب ان اذكر الرواية كلها لما فيها من فنون العلم
والكمال وليعرف الناس حق العلماء وليعرفوا ان العالم اذا قاهله جاهل كيف
يحل عنه ويتحمل أذاه ، فان الامام (ع) لما دخل على هشام ما تركه ان

يسلم ويجلس بل ناداه حين دخوله وهو في الباب يا محمد ارم مع اشياخ
 قومك ولما استعفاه الامام لم يعفه وحلف يمينا انه لا يعفيه ثم لما اخذ القوس
 وأبدى تلك المهارة في الرمي التي فاق بها العرب والعجم كما اعترف هشام
 نفسه بذلك لم يحقرمه ويقدره على هذا العلم الذي ابداه ثم لما سأله عما عنده
 من العلم وعرفه الامام ان علمه الهامي من الله واستدل بالقرآن والسنة على
 ذلك لم يظهر منه أي تقدير واحترام ، ثم لما خرج منه وقابل عالم النصرارى
 وأجاب عن تلك الأسئلة العميقة التي لا يمكن لأحد ان يجيب عنها قد كان
 يلهي له ان يشكره على تلك ويفخر به ويظهره للناسن ويفخر الأمم من
 يهود ولصارى اذ ان للرجل من المسلمين وهو يدعي انه خليفة المسلمين
 ولكن جهله دعاه ان يحسده ويظهر له العداة ويكتب الى عامله على مدين
 ان هذا مال الى النصرارى فانظر ايها المنصف : اكان هذا جزاؤه من
 خليفة المسلمين ومع جميع هذه الأفعال لم يفعل الامام معه شيئا وحلم عنه
 وعاقبه وقت الفراق ودعاه وقد كان يمكنه ان يرفع يده الى الله ويطلب
 منه ان يفتقم منه في تلك الساعة الا ان هؤلاء الرجال وهم للراسخون في
 العلم لا يريدون الا ما يريد الله ثم ان ذلك الشيخ السني انذر اهل مدين
 وحذرهم من العذاب لما توجه اليهم وصار سببا لانجاتهم ، ما كان ذلبيه
 حتى يأمر بقتله ان ذلك كله ناشيء عن الفرور والجهل والظغيان واتمس
 واجهل من الذين يطيهوه ويسمونهم خليفة المسلمين وأمير المؤمنين فاذا ذكر
 قول الله : (ولذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) :

الأمر الثالث : الذي اعده الله للمتقين هو ما ذكره بقوله تعالى :
 (ورضوان من الله) قرىء بكسر الراء وضمها ومعنى الرضوان هو الرضا
 فالآية الشريفة تخبرنا ان الله عز وجل اذا امر بهمه ان يدخل الجنة وزوجه
 من النساء المطهرات يظهر له بهد ذلك أي يعلمه ويظهره او يعلن لأهل

الجنة جميعاً انه راض عن عبده فلان وهذه رتبة عظيمة يشرف الله بها عبده فيزداد بها سرور العبد وبتلذذ لذة روحية كما يتلذذ بنعيم الجنة لذة جسمية فقد قالوا ان الله نبه على مراتب النعم وانها ثلاث فأدناها نعم الدنيا واوسطها الجنة واعلاها رضوان الله ، وبدل على هذه الآية الثانية والسبعين من سورة التوبة وهي قوله : (ورضوان من الله اكبر) .
قال العلامة البلاغي في تفسيره آلاء الرحمن عند وصوله لهذه الفقرة ورضوان من الله . وهو الغاية القصوى لأولى الأبواب في النعيم وقال الحكماء : ان الجنات بما فيها اشارة الى الجنة الجسمانية والرضوان : هو اشارة الى الجنة الروحانية واعلى المقامات انما هو الجنة الروحانية :
ثم ان الدنيا التي جعلها الله للدلالة على نعم الآخرة وان كان البون بهيداً :

منها ما يؤكل وهي جميع انواع المآكل المفردة والمركبة ، ومنها المشروب بجميع انواعه ، ومنها الملبوس ، ومنها المركوب ، ومنها المضاجع وهي النساء :

وهناك شيء آخر لا يدخل في احد هذه الانواع ولا يصلح لأن يكون واحداً منها ، ولكن الانسان يتلذذ به ويسر اذا حصل عليه وهو القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فانه يصلح ان يجلب جميع هذه الاشياء اذا استمعت عليه اذ به يحصل كل شيء وهكذا يكون رضوان الله ، فانه اذا حصل للعبد الساكن في الجنة وحظي به يمكنه تحصيل كل شيء بسببه في الآخرة بل اذا حصل رضا الله لعبد في الدنيا يمكنه ان يحصل على كل شيء يقربه من الله اما الأمور المادية الدنيوية اذا كان للصالح في حصولها فكذلك يمكن تحصيلها بواسطة الرضا عنهم من الله :

فقد روى ان موسى (ع) قال يا ربني اخبرني عن آية رضاك عن

عبدك ، فأوحى الله تعالى إليه اذا رأيتني اهيء عبيدي لطاعتي واصرفه عن
معصيتي فذلك آية رضائي . وفي رواية أخرى اذا رأيت نفسك تحب
المساكين وتبغض الجاهلین فذلك آية رضائي .
قوله تعالى « والله بصير بالعباد » .

لما ذكر الله عز وجل الأمور التي خلقها للدنيا وامرنا ان نأخذ منها
ما هو من الوجوه المباحة وان نرفض ما هو من الوجوه المحرمة وأمرنا ان
تكون نياتنا في الأخذ منها نيات صحيحة بسريرة حسنة وكذا بين لنا الأمور
التي خلقها الآخرة وعرفنا ان التوصل اليها لا بد ان يكون بمقدمات مباحة
غير محرمة وهليات خالصة غير مشوبة بأمر من امور الدنيا ولا يخفى على
النبيه ان بعض الناس يستعمل امور الدنيا للآخرة وهم اولو الألباب وبعض
الناس وهم السفهاء او الجهال يستعمل امور الآخرة للدنيا ظناً منه ان ذلك
كما يخفى على الناس يخفى على الله ، نبيه الله عباده بهذه الكلمة ليكونوا
على بصيرة من أمرهم فلا تغفل عن نفسك فانها اعز الأنفس عليك وتذكر
دائماً قوله تعالى : (والله بصير بالعباد) وتذكر البيت الذي روي عن
الامام الصادق (ع) الذي مر عليك في صحيفة سابقة :

اذا ذهبت نفسي هادياً اصبتها فقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن
قوله تعالى :

« الذين يقولون ربنا اننا آمننا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » (١)
لما بين الله سبحانه ما هي زينة الحياة الدنيا وامر نبيه ان يلبثنا بخير
من تلك الزينة واحسن من تلك الأمور التي ذكرها ولكنه خص هذا الخبر
وهذا الاحسن بالمتقين في الدنيا بان يكون لهم في الآخرة وفي هذه الآية
عرف لنا المتقين حتى نعرفهم فنكون فيهم كي نهضى بهذه الأمور التي

(١) سورة آل عمران : ١٥

تقدم ذكرها فقد عرفنا المتقين مرة باقوالهم ومرة أخرى بافعالهم فان الأفعال وان كانت من لوازم الأقوال ولكنها تحتاج الى الهيان لانها لا بد وان تكون بأمر من الله و باختياره و ارادته لا باختيار العبد فالقول والفعل معاً لا بد فيهما ان يكونا باختيار الله الذي دلنا عليه بواسطة نبيه (ص) والنبي اودعه عند وصيه فليس هناك شيء يرضى الله والله يشيب عليه الا وان يكون بدلالة من الله وللواسطة التي تكون بين الله وبين عبده يلزم ان تكون بتعيين الله وإلا فاطاعة الله لا يمكن ان تكون بنظر العبد واختياره سواء اكان ذلك في الكرم والكيف او الوسطة او غير ذلك والكلام الآن في ما بينه الله من اقوال المتقين فقال عز وجل : (الذين يقولون ربنا اننا آمننا فاعفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) :

الايان : هو التصديق بالله وبرسوله ، فاذا قال الشخص آمنت بالله أي اني صدقت الله ورسوله فاذا كان هذا القول مسبوقاً بثناء يكون المنادي هو المخاطب فقول المتقين ربنا قد جعلوا الله مخاطباً حين نادوه وقبل ان ينطقوا بما يريدون اظهاره من الايمان قد اكدوه ؛ (ان) التثنية فقالوا ربنا اننا آمننا :

لا يخفى ان تصديق الله والرسول حيث انه كان مطلقاً غير مقيد بزمان او مكان او قضية خاصة فيلزم ان يكون عاماً في كل امر ونهي فاذا قال العبد اني آمنت أي صدقت بكل ما يأمرني به رسولك عنك وهذا عهد من العهد يعاهد به ربه فانه يفعل كل شيء يأمره به الرسول عن الله ويترك كل شيء ينهاه عنه للرسول عن الله فاذا خالف العهد بعد ذلك شيئاً من الأوسر او النواهي فقد نقض عهده وخالفه واخرج نفسه عن زمرة المتقين فعليه ان يتبع ما اراده منه الله والرسول في جميع احكامه القولية والفعلية سواء اكان وقتها في حياة الرسول او بعد ارتحاله من الدنيا ولا يجوز بحسب

العقل والمنطق والعرف ان يجتمع جماعة من امة النبي فيختاروا شخصاً مثاهم ويجعلوه واسطة بينهم وبين الله ورسوله فيقول افعلوا كذا واتركوا كذا والشيء الفلاني واجب وذاك محرم .

اما اذا كان الرسول هو الذي عين هذا الوسيط حيث انه علمه الأحكام وان الله اخبره بصلاحيته لهذه الوساطة لأن الله عصمه من اللذوب ومن الخطأ والسهو واللسيان فهذا مما يحكم العقل والشرع والعرف والوجدان بوجوب الأخذ منه والاعتماد على أقواله وان من ترك أقواله واحكامه فهو في متاهة وظلال فمن عرف من الناس هكذا شخصاً نصبه الرسول لأمره من بعده فليتمسك به ومن لم يعرفه فعليه الفحص والبحث والسؤال عن اهل العلم والدين ولا يسوغ له في حكم العقل ان يهمل نفسه فان له نفساً واحدة اذا خسرها يكون قد خسر الدنيا والآخرة هذا هو الايمان الصحيح الذي يعده الله ايماناً ويصف قائله بالمؤمن ويعده بالأمور الثلاثة المتقدمة : -

جنات تجري من تحتها الأنهار :

وازواج مطهرة :

ورضوان من الله :

اما الذي يقول آمنت ولا يعرف معناها اما الذي يقول آمنت ولا يرتب اثرآ على كلامه ، اما الذي يقول آمنت ويعمل بما يشتهي او يختار وسيطاً كما يشتهي ويعمل بأمره ونهييه فهذا ليس له من الايمان الا القول باللسان لا غير ومثل هذا نداء الله موجه اليه ان يؤمن بقلبه كما آمن بلسانه (يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) فليقبل مليون مره آمنت آمنت ففي كل مرة يقولها تكتب عليه كذبة او اشد من الكذبة هذا بالنسبة الى وصف المتقين بأقوالهم ، واما وصفهم بأعمالهم وافعالهم فقد وصفهم الله بخمس صفات فقال عز وجل :

« الصابرين والصادقين والقائمين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار »
فهذه الصفات الخمس قد وصف الله بها المتقين ويُنهي الكلام في كل صفة
منها حتى تتضح لمريد الخير الطالب للرشد :

اما الصابرون فقد ذكر المفسرون ان الصبر على ثلاثة اقسام :

١ - صبر على الطاعات .

٢ - وصبر عن المعاصي :

٣ - وصبر عند المصيبة :

اما الصبر على الطاعات فهو ان يأتي العبد بجميع الواجبات ولا يترك
منها شيئاً لثقله وصعوبته وكذا يأتي بالمندوبات ما يمكن منها ووسعه الوقت
واما الصبر عن المعاصي فهو ان يترك جميع المحرمات والمكروهات وان
يخالف نفسه للتواقة وهو المردي بل ينهي ان يترك المباحات ولا يفعل
الا واجباً او مندوباً :

واما الصبر عند المصيبة فهو ما يرد عليه من موت أحبة أو ذهاب مال
او اعتداء من الناس وغير ذلك فعليه ان يصبر في جميع هذه الموارد :

قال الراغب في مفرداته أنه قال الصبر هو حبس النفس على ما يقتضيه
العقل والشرع او عما يقتضيان حبسها عنه . فالصبر لفظ عام وربما خولف
بين اسمائه بحسب اختلاف مواضعه فان كان حبس لمصيبته سمي صبراً لاغير
ويضاده الجزع ، وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن ، وان كان في
ناثية مضجرة سمي ربح الصدر ويضاده الضجر ، وان كان في امساك للكلام
سمي كتماناً ويضاده المذل (مثل بسره افشاه ق) وقد سمي الله كل ذلك
صبراً لانه عليه بقوله : (الصابرين في البأساء والضراء وحين الباس) :

(والصابرين على ما اصابهم) (والصابرين والصابرات) •

وعن المحقق الطوسي قال : الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه

وهو يمنع الباطن عن الاضطراب واللسان عن الشكابة والاعضاء عن الحركات غير المعتادة ولقد وردت الآيات الكثيرة في مدح الصبر والصابرين حتى ان بعض الآيات جعلت عاقبة الصبر هو الفوز بخير الدنيا والآخرة كما في سورة النحل : (ولنجزين للذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) وفي سورة الزمر : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وفي بعض الآيات ان الأئمة الذين جعلهم الله هداة للناس انما اختارهم لعلمه بصبرهم على ما لا يصبر عليه احد غيرهم كل ذلك لاجل المحافظة على صورة الدين الظاهرة والآية في سورة التنزيل وهي قوله : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فان الظاهر من سياق الآية وان كانت بالنسبة الى بني اسرائيل ولكن لا يخفى على ذوي المعرفة ان ذكر القصص القرآنية انما هي لانهاد هذه الأمة وتبشيرهم فهي موجهة لهم مع انه قد قال رسول الله (ص) انه يقع في هذه الأمة ما وقع في بني اسرائيل حذو النحل بالنحل فذكر قصة موسى واياته الكتاب ، وجعل الأئمة من بني اسرائيل وهم هارون وأولاده نظير بعثة النبي واياته القرآن وجعل الأئمة من أخيه وابن عمه وأولاده كما قال (ص) انت مني بمنزلة هارون من موسى .

ثم انا اذا لاحظنا سيرتهم فراهم قد صبروا على أمور لا طاقة لأحد من البشر ان يصبر عليها فقد حكى عن كنز جامع الفوائد :
 روى عن موسى بن جعفر عن ابيه قال جمع رسول الله (ص) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين واغلق عليهم الباب وقال يا أهلي واهل الله ان الله عز وجل يقرأ عليكم السلام وهذا جبرئيل معكم في البيت بقول : ان الله يقول اني قد جعلت عدوكم لكم فتنة فما تقولون ؟ قالوا نصبر يا رسول الله لأمر الله وما نزل من قضائه

حتى تقدم على الله عز وجل ونستكمل جزيل ثوابه فقد سمعناه يعد الصابرين
الخير كله فبكى رسول الله (ص) حتى سمع تحببه من خارج البيت فنزلت
هذه الآية (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) (١)
ولنتسمع الى اول الائمة واعظهم شاناً وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)
حين يصف لنا صبره ويذكر المصائب والمحن التي صبر عليها ففي الرواية
المسندة الى ابن عباس قال ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب فقال :

أما والله لقد تقمصها اخوتيم وانه ايعلم ان محلي منها محل القطب من
الرحى ينحدر عن السيل (٢) ولا يرقى الى الطير فسدلت دونها ثوباً وطويت
عنها كسحاً وطفقت ارتقى بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية
عمياء (٣) يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدر فيها مؤمن حتى
يلقى ربه فرأيت للصبر على هاتنا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الخلق
شجى ارى تراثي نهبا حتى مضى الأول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده
ثم تمثل بقول الأعشى :-

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جاهر

(١) سورة الفرقان آية : ٢٠ .

(٢) قال الشيخ محمد عبده عند تعليقه على هذه الكلمة - تمثيل بسمو قدره
كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي وان ما يصل الى غيره من فيض الفضل فانما
يهدق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله ، وعلى ذلك
قوله ولا يرقى :- الخ ، غير ان الثانية ابلغ من الاولى في الدلالة على الرفة :

(٣) طخية بطاء فحذاء بعدها باء ويثلاث اولها اي ظلمة ونسبة العمى اليها مجاز
عقلي وانما يعنى القائمون فيها اذ لا يهتدون الى الحق وهو تأكيد لظلام الحال
واسودادها .

فياعجبا بدنا هو يستقبلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته اشد
 ماتشطرا ضرعها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها (وفي نسخة كلامها)
 ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة
 ان اشتق لها خرم وان اسلس لها تقحم فني الناس امر الله بخبط وشماس
 وتلون واعراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله
 جعلها في جماعة زعم اني احدهم فيالله وللشورى متى اعترض الريب في
 مع الأول منهم حتى صرت اقرب الى هذه النظائر لكني اسفقت اذا سفوا
 وطرت اذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن
 وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو
 ابيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة للربيع الى ان انتكث فتله واجهز
 عليه عمله ولبت به بطنته فما راعني الا والناس كهرف الضيع الي يثناون
 علي من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي
 كريبضة الدم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط
 آخرون كأنهم لم يسمعوها كلام الله حيث يقول : (تلك الدار الآخرة
 نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) (١)
 بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حللت للدنيا في اعينهم وراقهم زهرجها
 اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحججة بوجود
 الناظر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم
 لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها ولألفيتم دلياً كم هذه
 ازهد عندي من عطفة عنز :

قالوا وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من
 خطبته فنأوله كتاباً فاقبل ينظر فيه قال له ابن عباس رضي الله عنهما

(١) سورة القصص آية : ٨٣ .

يا امير المؤمنين لو اطردت خطبتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس فوالله ما اسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث اراد . انتهى كلام ابن عباس .

ارأيت ايها القارئ الكريم :

كيف وصف لك أمير المؤمنين المصائب العظام التي مرت عليه فتلقاها بالصبر وسعة الصدر وعرفت قيمة الدنيا عنده فانها لانساري عطفة عز ، وانما يريد احقاق الحق واقامة العدل ولكن الناس لا يريدون ذلك فهو سيد الصابرين وامام المتقين ، وقال أيضاً يصف صبره على المصائب كما في النهج (فنظرت فاذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فظننت بهم عن الموت واغضيت على اللذی وشربت على الشجی وصبرت على اخذ الكظم وعلى أمر من طعم العلقم وآلم للقلب من حز الشفار) .

تأمل ايها القارئ في كلامه لتعرف مقدار صبره ويتضح لك ان الآية الشريفة إنما تنطبق عليه وهي قوله تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (١)

ومن الشعر المنسوب اليه قوله عليه السلام :

هي حالان شدة ورخاء وسجالان نعمة وبلاء
واللفى الحاذق الأريب اذا ما خانه الدهر لم يخنه الهزاء
ان الملت ملمة بي فاني في الملمات صخرة صماء
صابر في الهلاء علماً بأن ليس يدوم للنعم والبلواء

وقال أمير المؤمنين (ع) الصبر مطية لانكبو والقناعة سيف لا يلبو ، ثم ان هؤلاء الذين جمعهم رسول الله في الدار واغلق عليهم الباب واخبرهم

(١) سورة السجدة آية : ٢٤ .

بان الله قد جعل عدوهم فتنة لهم وهم امير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين
(عليهم السلام) قد اهتلوا من اعدائهم وهم الشجرة الملائنة من بني امية
وبني الحكم بمصائب عظيمة وقد صبروا عليها فان الامام الحسن (ع) قد
اهتلى بمعاوية فانه قد فعل معه من الاذى ما تمكن منه وقابله الامام بالصبر
والحلم الى ان دس اليه السم فمات شهيدا .

وأما الامام الحسين (ع) فكل احد يعلم ما فعل معه بنو امية من
تشريد وقتل وسلب وتمثيل وسبي عيال وهذه الأفعال والاعمال ليست مع
الحسين وانما هي مع رسول الله (ص).

وأما فاطمة الزهراء (ع) فيكفي من عظم مصائبها الها وقفت قبيل
قبر أبيها (ص) وبهته احزانها وحكت له ماجرى عليها وآخر بيت خاطبته
به هو قولها سلام الله عليها :

صبت علي مصائب او انها صبت على الأيام صرن لياليا
وقد ذكروا قصصاً وحكايات عن بعض الصابرين والصابرات لايسع
المقام لذكرها .

وعن أمير المؤمنين (ع) انه قال اياكم والجزع فانه يقطع الأمل
ويضعف العمل ويورث الهم واعلم ان المخرج من امرين ما كانت فيه حيلة
فالاتيال وما لم تكن فيه حيلة فالاصطبار :

حكى عن بعض التواريخ ان كسرى سخط على بزر جمهر فحسبه
في بيت مظلم وامر ان يصفد بالحديد فبقي اياماً على تلك الحال فارسل
اليه من يسأل عن حاله فاذا هو منشرح الصدر مطمئن للنفس ، فقال له
انت في هذه الحالة من الضيق ولراك ناعم البال ! فقال اصطنعت سعة
اخلاط وعجنتها واسعملتها فهي التي اهتني على ما ترون، قالوا له صف لنا هذه
الاخلاط لعلمنا لمتنع بها عند البلوى فقال نعم :

أما الخلط الأول فالثقة بالله عز وجل :
وأما الثاني فكل مقدر كائن :
وأما الثالث فالصبر خير ما استعمله الممتحن :
وأما الرابع فإذا لم اصبر فإذا اصنع ؟ ولا اعين على نفسي بالجزع
وأما الخامس فقد يكون اشد مما انا فيه :
وأما السادس فمن ساعة الى ساعة فرج : فبلغ ما قاله كسرى فاطلقه
وأعزه :

الصفة الثانية من صفات المتقين : -

هي صفة الصدق المرادة بقوله تعالى : (والصادقين) :
فقد ذكر القرآن آيات عديدة في مدح الصدق والصادقين وكذا
ورد المدح في السنة ثم الصدق يكون تارة بالقول وهو للظاهر المتبادر عند
اطلاق كلمة الصدق وهو ما كان مجانياً للكذب بحسب اعتقاد المتكلم حين
تكلمه وهذا هو المطلوب من الانسان وهو صفة حسنة جميلة يوصف صاحبها
بالصدق ومرة أخرى يكون الصدق بالفعل بمعنى انه يأتي بفعله على اللوجه
الأكمل بلا زيادة ولا نقيصة ولا عيب ولا خلل تام الاجزاء والشرائط
موافقاً لارادة الأمر وهو الشارع المقدس ، حيث ان كلامنا في صفات
المؤمنين فيلزم على العاقل الرشيد الذي يريد ان ينتفع من افعاله فتكون
محفوظة عند مولاه العالم بأسراره ان تكون افعاله موافقة لارادة المولى أي
تكون بدلالته وإرشاده وتكون مستمدة من الله بالوسائط التي يقطع للعهد
الها مرضية لله ولا يجعل لله على نفسه حجة يوم يلقاه فإذا سأله الله وقال له
من الذي امرك ان تأخذ بقول زيد وقول عمرو ومن الذي سوغ لك الأخذ
بقول فلان وفلان ؟

فليس للعهد جواب مقبول ، اما اذا اخذ بقول اهل بيت النبوة

وموضع الرسالة ومختلف الملائكة فاذا سأله الله عن ذلك يقول له ان رسول الله قال لنا اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن تضلوا ما ان تمسكتم بها :

فالعبد الذي تكون أفعاله العبادية مطابقة لمذهب اهل البيت تكون يوم القيامة ويوم السؤال ويوم العرض اكبر حجة واضحة قوية اما غيره الآخذ بأقوال أبي هريرة واشباهه فليس لديه جواب في ذلك اليوم « كل نفس بما كسبت رهينة » هذا هو الصدق بالفعل الحمد الممدوح عند الله وعند الرسول وعند كل احد ومرة ثالثة يكون الصدق في النية قال الامام الصادق (ع) صاحب النية للصادقة صاحب القلب السليم لان سلامة القلب من هواجس المحذورات يتمخيلص النية لله في الأمور كلها قال الله : (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) (١) .

فالنية بالمسبة الى الأعمال العبادية التي يريد العبد ان يتقرب بها الى ربه وهذه النية تكون هي الواسطة بين العلم والعمل فان الانسان اذا لم يعلم الشيء لم يمكن قصده ، ومالم يمكن قصده لم يصدر منه وان المتعبد حيث كان غرضه التقرب الى الله يلزمه معرفة ما يطلبه الله منه معرفة حقيقية حتى يمكنه التقرب به فتكون النية منه صادقة وان لم يجزم يكون الشيء مطلوباً ومحبوياً لله فلا يمكن ان تتأني منه النية .

هذا بالنسبة الى كل احد وانما الفرق بين العالم والجاهل ان العالم يتوصل الى كون الشيء مطلوباً لله بالأدلة القطعية المقبولة عند الله ، والجاهل يعمل باخبار العالم العادل فالعالم يكون مكلفاً عن عمله وعمل الجاهل فان لم يبن عمله على ادلة صحيحة مقبولة يكون عليه وزره ووزر من يعمل بقوله وهذا من اعظم الهلاك الذي يجلبه المرء على نفسه ، ولا تظن ان

(١) سورة الشعراء آية : ٨٨ / ٨٩ هـ

النية ان تخطر بقلبك عند ارادة العبادة بان تنوي الك تأتي بهذه العبادة
قربة الى الله تعالى ، فان هذا الاخطار غير كاف وانما النية المعتبرة النافعة هي
البعث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها وهذا الميل والالبعث
اذا لم يكن حاصلها لم يمكنها اكتسابه بمجرد التصور لتلك الألفاظ أو
النطق بها .

ولا يخفى ان طريق البعث النفس وصرف القلب الى الشيء انما
يكون بتحصيل الأسباب الموجبة له واجتناب الأمور المضادة له ، فاذا كان
قلبك عند ارادة العبادة منهمكاً ومشغولاً بالأمور الدنيوية والتوجه بطلبها
او نويت العبادة المطابقة لفتوى العالم الذي يوجد في الأمة اعلم منه وذلك
الاعلم هو المنتصف بالعدالة والعصمة دون هذا ، فكيف يمكنك ان تتقرب
بهذه العبادة الى الله وانت لا تعلم بأن الله طلبها منك حيث لم تكن موافقة
للغرض ، فالنية على هذا غير صادقة وانما هي مجرد الفاظ تخطر على
قلبك فكل من اخذ احكام دينه من غير العالم الذي اودع النبي عنده
الأحكام لم يكن حين النية جازماً بكون الفعل مطلوباً لله ولم يكن صادقاً
في نيته :

روى عن النبي (ص) انه قال لا يقبل قول الا بعمل ولا يقبل
قول وعمل إلا بنية ، ولا يقبل قول وعمل ونية الا باصابة السنة :
فمن يقول انا مسلم مؤمن ويقول اشهد ان لا إله إلا الله لا يقبل منه
هذا القول الا ان يعمل بمضمونه ومن يعمل لا يقبل منه للعمل إلا بنية
صادقة ومن يعمل بنية لا يقبل منه إلا باصابة السنة وللسنة لا يتوصل لها
الانسان الا بوسائط عدول يتقلون له الاحكام التي نزلت على النبي ولا
واسطة عدل غير علي وأولاده المعصومين : لان الله قال لابراهيم لما طلب
منه ان يجعل الامامة في ذريته قال : « لا ينال عهدي الظالمين » ومن اظهر

مصاديق الظلم عبادة الأصنام فمن عبد صنماً في يوم من أيام حياته لا يصلح أن يكون اماماً والشرط في الامام ان يكون موحداً مؤمناً من يوم ولادته وليس كذلك غير علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعليه آلاف الصلاة والسلام :

وروي عن الامام الصادق (ع) في قوله تعالى : (ليهلكم ايكم احسن عملاً) قال ليس يعني اكثركم عملاً ولكن اصوبكم عملاً وانما الاصابة خشية الله والنية للصادقة :

ثم قال الاهواء على العمل حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمذك عليه احد إلا الله عز وجل فقوله تعالى ليس يعني اكثركم عملاً لان العمل الغير الخالص مهما كثر فهو لا يعتد به بل تضييع للعمر ، وانما العمل النافع ما ذكره بقوله : ولكن اصوبكم عملاً ، والاصابة مطابقة العمل حقيقة لما أمر به المولى ، اما اذا كان المأمور به شيئاً والمأني به شيئاً غيره فهذا شيء غير مفيد وان كانت المغايرة بزيادة جزء او نقصه فالشرط في قبول العمل اصابته للسنة وان يكون خالصاً لله تعالى اما اصابة السنة فتعرفت في الخارج من اخذ للعمل من الدليل المنصوب من قبل الله ، واما الاخلاص فلا يمكن معرفته ولا يدل عليه دليل لأنه أمر قلبي لا يطلع عليه احد ولا يدل عليه شيء ولا يعلمه إلا الله تعالى والله قد يجبرنا عنه في بعض الأوقات لاجل ان ترسخ العقيدة في قلوبنا ، فمن تلك الموارد التي اخبرنا بها قوله اخيراً عن نزلت في حقهم سورة هل أتى في قوله تعالى : « انما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » فان المطعمين المسكين واليتيم والأسير لم يتكلموا بذلك وانما علمه الله فأخبر عما انطوت عليه سرائرهم ، وكذا قوله تعالى : « وسيجنها الاتقى الذي يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجهه ربه

الأعلى » (١) فإنه لا يعلم هذه النية إلا الله تعالى ، هذا بالنسبة الى صدق النية في العبادة :

واما بالمسبة الى صدق النية في اصل العقيدة المعتبرة في تحقق الايمان التي هي الأصل وعليها يبني كل شيء من عمل وغيره وعليها تكون معاملة الله لعبده في الدنيا والآخرة فانها أي للصدق في العقيدة هي المقصودة من قوله تعالى : في وصف المتقين للذين هم الأمور الثلاثة :

١ - جنات تجري من تحتها الأنهار :

٢ - أزواج مطهرة .

٣ - رضوان من الله :

ثم وصفهم بقوله تعالى : (الصابرين وللصادقين) للخ : فان صدق النية التي ينعقد بها الايمان اذا تحققت من العهد تحقق معها كل شيء وتبعاتها كل الصفات الخمس وتحقق منه معنى القول الذي ذكره انه يقوله وهو قوله : (ربنا اننا آمننا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) وان لم ينطبق به بلسانه فان هذه النية الصادقة تنوب عنه وتفي به واذا تحقق الصدق في النية تحقق الصدق في القسمين المتقدمين وهما :

الصدق في القول ، والصدق في الفعل :

فن أراد ان يكون من المتقين واراد أن يحظى بوعده الله للمتقين بالأمور الثلاثة ، عليه ان يتصف بصدق النية في العقيدة فان الله سيهديه الى صدق النية في العبادة ويجعله صادقاً في القول والفعل :

فقد تواترت الرواية عن النبي (ص) انه قال : (لية المؤمن خير من عمله) وقد أولت هذه الكلمة بتأويلات عديدة ومن أحسن التأويلات

(١) سورة الليل آية : ١٧ / ١٨ / ١٩

ان مراده من النية هي :

العقيدة الحققة فالفها لا شك خير من عمله والعقيدة الحققة هي الموافقة للفرقة الناجية المقابلة لاثنين وسبعين فرقة كلها في النار فيلزم على المرء ان يتصف بهذه النية بعد ان يبحث ويفحص ويبدل الجهد في تمييز الفرقة الناجية حتى تكون نيته عندما يضل الى حد الرشد ويتوجه اليه الخطاب من الله تعالى بان يعتنق الدين الاسلامي وان يدخل في زمرة المؤمنين ويشمله التكليف الموجه الى العقلاء من عبادات ومعاملات ، وبريد العهد في ذلك الحين ان يسلم وجهه لله ويؤمن به وبرسوله ينهي له ان تكون نيته نية صحيحة موافقة لتلك الفرقة الناجية ، ولا اقول انه يلزمه في تلك الحالة البحث عن عقائد الفرق كلها واختيار العقيدة الحققة فان هذا غير ممكن ان يحقق في سنين عديدة ولكن اقول عليه اذا نوى الدخول في الدين الاسلامي ان تكون نيته اتباع ما جاء به النبي من الله ، وامثال اوامره ونواهيها واخذ احكامه من القرآن بواسطة العلماء العاملين باحكامه الذين عينهم النبي الاعظم بقوله : (انى تارك فيكم للثقلين كتاب الله وعترتى) فالنبي انما جعلهم عدلا للقرآن لا يفرقان الى يوم القيامة لان عندهم علم للقرآن ولا يوجد عند غيرهم ، فاذا نوى ان يأخذ احكام دينه ممن هو عالم بها حقيقة بجميع اقسامها اصولا وفروعا ، فقد تحقق منه صدق النية وان الله سبحانه ويسدده ويرشده ويوصله الى مطلوبه ، هذا اذا كانت النية صادقة اما اذا كانت نيته غير صحيحة من اول الامر او انها فسدت بعد ذلك حين تغره الدنيا ويستولي عليه الطمع فتكون نيته كما ذكر الله في قوله : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض) (١)

(١) سورة البقرة آية : ١٠ / ٩ / ٨ .

الخ . فقد اخبر الله ان هؤلاء الناس يقولون آمنا ولكنهم غير مؤمنين وان نيتهم الخديعة ولكن لا يخدعون الا انفسهم وقال الله ان هؤلاء لهم عذاب عظيم اليم بما كانوا يكذبون .

أما الذي يكون صادقا في مثل هذا القول أي اذا قال آمنت بالله وباليوم الآخر بنية صادقة فقد اخبر الله عنهم بقوله (وهذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فقد ظهر ان نية الايمان والاسلام اذا كانت صادقة تهما خيرا للدنيا والآخرة مادامت مستقيمة ، واذا كانت كاذبة فليس لصاحبها في الآخرة نصيب ولا يصيبه في الدنيا الا ما قدر له الله ثم ان الصدق في النية انما هو مصداق واحد وطريق واحد ليس فيه للتواء ، وأما الكذب فيها فله مصاديق عديدة لأن الكذب انما ينشأ عن عدم العقيدة :

وعدم الاعتقاد مرة يكون بالنسبة الى الواحد الأحد ، وتارة يكون بالنسبة الى نبوة محمد بن عبد الله ، وثالثة يكون بالنسبة الى ما جاء به النبي (ص) كلا او بعضا ، ومرة رابعة يكون بالنسبة الى الوسطة الذي نصبه النبي ليكون علما من بعده وغير هذا وذلك ، ولذا صارت الفرق الهالكة اثنين وسبعين ، والناجية واحدة :

وقد وردت الآيات والروايات الكثيرة في تصحيح النية والصدق فيها والتعبير عنها تارة بلفظ النية وتارة اخرى بالسريرة فلا يتحقق الايمان الا بصحة السريرة فلا ينبغي للعاقل أن يخدع نفسه كما نطقت الآية الشريفة : (وفي الآخرة ليس له الا العذاب الاليم) ومن جملة الروايات التي ترشدنا الى تصحيح النية وانها اذا صحت اربعين يوما اثبت الله الحكمة في قلبه :

مارواه في البحار بالاسناد الى ابن عمينة عن السندي عن أبي جعفر قال : (ما اخلص عبد الايمان بالله اربعين يوما الا زهده الله في الدنيا

وبصره دائها ودوائها واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه ثم تلى : (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) (١) فلا ترى صاحب بدعة الا ذليلاً او مفترياً على الله عز وجل وعلى رسوله واهل بيته صلى الله عليه وآله الا ذليلاً :

فاخلاص الايمان لله انما يكون ايمان لا يشوبه شيء آخر من الشرك والرياء وسائر المعاصي بحيث تكون نيته خالصة لله في جميع اعماله من عباداته ومعاملاته وسائر حركاته من كلام وسكوت وقيام وقعود واكل وشرب ويقظة ونوم ، ونظر وسماع ، وغيرها واهم هذه الأمور واصلاها ومنبعها واولها وآخرها معرفة الواسطة للذي يكون بين النبي وبين أمته في تيليغ الأحكام ، فان النبي ترك لامته القرآن والسنة :

أما القرآن فلا يتمكن كل احد من معرفة احكامه وتفسيره وتأويله . وأما السنة فلا تفني بجميع الاحكام مع ان فيها للناسخ والمنسوخ والمجمل والمحكم والمتشابه وترك النبي لامته مع القرآن اهل بيته وهم المفسرون للقرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم فن اخذ هو احد وترك الآخر فقد تركها جميعاً بل لا يمكن الأخذ هو احد منها على الحقيقة لان الأخذ بالكتاب وحده يحتاج الى فهم معاليه ومعرفة ما فيه من الأحكام ولا يعرفها الا أهل البيت فاذا كان الأخذ به تاركاً لأهل البيت لم يكن حينئذ أخذاً بالقرآن وانما هو أخذ بهواه وأما الأخذ بأهل البيت وحدهم فلا يتصور لانهم متمسكون بالقرآن :

وقد عرفونا مراراً عديدة بان كل شيء يجيئنا منهم انما يجوز لنا الأخذ به اذا كان موافقاً للقرآن فالأمر أن اللذان تركها لنا النبي متلازمان لا يمكن ان يفارق احدهما صاحبه فمعنى اخلاص الايمان لله ان يكون العبد

(١) سورة الاعراف آية : ١٥١ :

مستمداً من الله في جميع اموره بمن عينه الله له ولا يجعل هو من ذات نفسه
 احداً من الناس واسطة بينه وبين الله ورسوله فان من جعل احداً من ذات
 نفسه فهو من اتباع الهوى ولذا ترى الامام الباقر (ع) استدل بالآية الشريفة
 وهي قوله تعالى : (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب الخ : ه) ولا
 يخفى على النهيه ما في الاستدلال بالآية المتعلقة بقوم موسى من معنى دقيق
 وذلك ان قوم موسى انما اتخذوا للعجل حينما غاب عنهم موسى ، وجعل
 اخاه هارون خليفة عنه يأمرهم وينهاهم فتركوه واتخذوا للعجل ، فهذا احد
 اوصياء النبي واحمد خلفائه محمد الباقر يريد ان يعرفنا بان كل من ترك
 الوسائط الذين عينهم النبي لكم في امور دينكم ودنياكم واخذ بقول غيره
 واعتبر غيرهم واسطة فان عبادته غير خالصة وهو كمن اتخذ العجل سيناله
 غضب من الله وذلة فالمتقي الذي وصفه الله بالصدق لا بد وان يكون صادقاً
 في جميع هذه المواطن صادقاً بالقول وصادقاً بالفعل وصادقاً في نية العبادة
 وصادقاً في نية العقيدة والايان ، فاذا اتصف بالصدق في هذه المواطن
 كلها كان هو الرجل الكامل من جميع الجهات الجامع لجميع الصفات لان
 كلامه صادق وعمله صادق ونيته صادق فليس فيه من جميع النواحي كذب
 ونقص وهو المعنى والمقصود بقوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
 وكونوا مع الصادقين) فقد امر الله المؤمنين بالتقوى وبالملازمة للصادقين
 والافتداء بهم والأخذ باقوالهم لان اقوالهم ليس فيها كذب وكذا بالنسبة
 الى افعاله فكل من كتب في تفسير القرآن او كتب عن هذه الآية شيئاً
 لا ريب انه من المؤمنين وان الله قد أمره بامر حتمي مطلق غير معلق على
 شيء ، امره ان يكون مع الصادقين :

فيلزم عليه ان يفحص ويبحث عن هؤلاء الرجال المتصفين بالصدق
 في جميع المواطن وان يكون معهم لأمع غيرهم فان عرفهم وتركهم فيلزمه

له ان يحكم على نفسه بلا تردد انه غير مؤمن وان لم يعرفهم وترك البحث عنهم فهو ايضاً غير مؤمن لان الله امره بالتمسك بهم والله لا يأمر بالتمسك بشيء غير موجود اما اذا قال انه بحث وفحص فلم يجدهم فانا ادله عليهم واقول له اللهم ائمة اهل البيت الاثني عشر الذين قرنهم النبي بالكتاب فعليه ان يلاحظ تراجعهم وايام حياتهم فسوف يقف على ما اتصفوا به من الصدق في القول والفعل والنية في العبادة والعقيدة فضلاً عن سائر الصفات الأخر من الصبر وغيره واذا ابى وامتنع عن ملاحظة احوالهم فانه لا يريد أن يكون من المؤمنين ، وذلك يعود اليه وسيأتي الكلام على هذه الآية مع ما قبلها من الآيات في سورة التوبة انشاء الله تعالى :

الصفة الثالثة من صفات المتقين : هي

التي ذكرها الله بقوله (والقائنين) :

القنوت في اللغة بمعنى الدعاء والطاعة والسكون والقيام في الصلاة والامساك عن الكلام والخشوع وغير ذلك ، واما في اصطلاح الفقهاء فهو الدعاء في اثناء الصلاة في الركعة الثانية بعد الفراغ من القراءة قبل الركوع سواء أكان مع رفع اليدين او بدونه وان كان الغالب اطلاقه على الدعاء مع رفع اليدين وقال الجوهري القنوت : الطاعة هذا هو الأصل ومنه قوله تعالى : (القائنين والقائنات) وقريب منه كلام ابن فارس ولا يخفى ان الطاعة تشمل جميع المعاني فاذا كان القنوت هو الطاعة او الخشوع فانه يختلف باختلاف حال الناس قلة وكثرة فن كان طائعاً او خاشعاً في بعض الأوقات ويكون في وقت آخر غير طائع ولا خاشع فهذا لا يمكن ان يكون هو الممدوح في الآية الشريفة وان الذي يقطع بكونه داخلاً في مضمون الآية وانه ممدوح من قبل الله هو ما يكون طائعاً وخاشعاً في جميع احواله وفي جميع اوقاته وافعاله وهو نفس الموصوف بالصفتين المتقدمتين من الصبر

والصدق ، وهو عين المتصف بالصفة القولية التي ذكرها الله قبل هذه الصفات بقوله : (الذين يقولون ربنا اننا آمننا فاغفر لنا .. الخ) فهو المؤمن الكامل الايمان من جميع الجهات وبجميع المعاني وهم رجال معدودون ذكرهم الله لعباده ليعرفونهم باسمائهم وصفاتهم فيقنطون بهم ويتعلمون منهم العلوم وكيفية العبادة والطاعة لله والخشوع له وهم الذين قرأهم النبي بالكتاب وأمر بالتمسك بهم .

وقد روى عنهم العارفون بهم من رجال المؤمنين ادعية كثيرة كانوا يدعون بها في الصلاة وفي غير الصلاة فالمؤمن او المسلم الذي يطلب الرشاد ويروم القرب من الله ومن رسوله يلزمه ان يتعرف على هؤلاء الرجال للذين خصهم الله بذكره ويتأمل فيما علمونا به من الأدعية والاذكار والأوراد حتى يصل الى حقيقة الحق والى الدين الصحيح :

انظر الى دعاء كميل الذي علمه امير المؤمنين لكميل بن زياد ، والى غيره من الأدعية ، والنظر الى دعاء الحسين (ع) يوم عرفة والى ما فيه من المضامين العالية الدقيقة :

وانظر الى ادعية الصخيفة للسجادية المروية عن زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) :

وانظر الى دعاء ابي حمزة الذي يقرأ وقت السحر في شهر رمضان .
وانظر الى القنوتات الواردة عنهم لكل امام قنوت يقنت في الصلاة :
وانظر الى الأدعية التي يدفعون بها شر الجاهرة من اعدائهم : انظر الى الدعاء الذي أمر الامام الحادي عشر الحسن بن علي للعسكري اهل قم ان يدعوا به لما شكوا من موسى بن يحيى فالك اذا طلعت على هذه الأدعية تعرف معنى القنوت وتعرف من هم القانتون : لقد ضيق ملوك بني أمية على الامام علي بن الحسين (ع) غاية للتضييق ومنعوه من الجلوس الى الناس

وتعليم العلوم ولما رأى هذا الضيق منهم صار يجلس في المسجد ويدعو الله عز وجل بمنون الدعوات ويعلم للناس مكارم الأخلاق بدعوته ويعلمهم آداب الدين واحكام العبادات بدعائه حتى جمعوا من دعواته الصحيفة وبقيت الى هذا اليوم يدعى بها ولكن لا يعرفها إلا من يعرف مقام الامام مع شهرتها وانتشارها وطبعتها مرات عديدة :

فيا أيها المسلم اعرف للقائين الذين عناهم الله في كتابه الكريم « حكي عن كتاب طب الأئمة قال روي عن أبي عبد الله (ع) قال دعاء المكروب والملهوف ومن قد اعتمه الحيلة واصابته هلية « لا إله إلا انت سبحانه اني كنت من الظالمين » يقولها ليلة الجمعة اذا فرغ من الصلاة المكتوبة من للعشاء الآخرة وقال اخذته عن أبي جعفر (ع) قال اخذته عن علي بن الحسين ذي الثنينات اخذه عن الحسين بن علي (ع) اخذه عن امير المؤمنين (ع) اخذه عن رسول الله (ص) اخذه عن جبرئيل من الله عز وجل اقول هل يوجد هذا السند عن احد من الناس غير اهل بيت النبوة هذا واحد من ملايين فلا تغفلوا عنه :

يا طالب الرشد : استمع لما يرويه حبة العربي قال حبة بينا انا ونوف نائمين في رحبة القصر اذ نحن بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب في بقية من الليل واضمأ يده على الحائط شبيه الواله وهو يقول : (ان في خلق السموات والأرض : ، : الى آخر الآية) قال ثم جعل يقرأ هذه الآيات ويمر شبه الطائر فقله فقال لي اراقد انت يا حبة ام راقم قال قلت راقم هذا انت تعمل هذا العمل فكيف نحن قال فارخى عليه فبكي :

ثم قال لي يا حبة ان لله موقفاً ولنا بين يديه موقفاً لا يظلم عليه شيء من أعمالنا ، يا حبة ان الله اقرب الي واليك من حبل الوريد ، يا حبة انه ان يحجبني ولا إياك عن الله شيء :

قال ثم قال : اراقد انت يا نوف قول قال لا يا امير المؤمنين ما انا
براقد ولقد اطلت بكائي هذه الليلة فقال يا نوف ان طال بكائك في هذا
الليل مخافة من الله تعالى قرت عينك غداً بين يدي الله عز وجل ، يا نوف
انه ليس من قطرة قطرت من عين رجل من خشية الله الا اطفأت بحاراً
من النيران ، يا نوف انه ليس من رجل اعظم منزلة عند الله من رجل
يكى من خشية الله واحب في الله وابغض في الله ، يا نوف انه من احب
في الله لم يستأثر على محبته ومن أبغض في الله لم ينل ببغضه خيراً عند ذلك
استكملتم حقائق الايمان : ثم وعظهما وذكرهما وقال في اواخره فكونوا من
الله على حذر فقد انذرتكما .

ثم جعل يمر وهو يقول : ليت شعري في غفلاتي امعرض انت عني
ام ناظر الي وليت شعري في طول منامي وقلة شكري في نعمك علي ما حالي
قال فوالله ما زال في هذا الحال حتى طلع الفجر ، وقد ذكر نوف للمعاوية
ابن أبي سفيان بعض صفات الامام وانه ما فرش له فراش في ليل قط ولا
أكل طعاماً في هجير قط ، وقال نوف اشهد لقد رأيت في بعض مواقفه
وقد ارخي الليل سدوله وغارت نجومه وهو قابض بيده على لحيته يتململ
تململ السليم ويبكي بكاء الحزين : الخ الحديث المشهور :

فاذا أردت ان تعرف للقائتين من هم فانظر الى افعالهم واقوالهم :
الصفة للرابهة من صفات المقيمين :

التي ذكرها الله هي قوله : (والمنفقين) الانفاق هو اعطاء المال في
سبيل الله لمن هو محتاج اليه سواء اكان بقصد الزكاة الواجبة او المندوبة
او صلة الرحم او للصدقة المطلقة او المساعدة والمعاونة او الهدية او سائر الوجوه
الواجبة أو المندوبة ، بشرط ان يكون خالصاً لوجه الله تعالى لا يخالطه
شيء من امور الدنيا وقد ذكرنا في سورة الهقرة الآيات الآمرة بالانفاق

وشروطه التي تجعله مقبولاً عند الله :

وقبل الشروع في ذكر ماورد في الحث على الانفاق من الآيات والأخبار يلغى الالتفات الى ان الله عز وجل قد ذكر في الآية المتقدمة قبل هذه الآية ان الامور التي زينت للناس وهم يحبونها ويشتهونها بما هي متاع الحياة الدنيا ، وقد لبها في هذه الآية على شيء مهم وهو ان من جملة امتعة الدنيا الذهب والفضة وانه يتمكن الرجل العالم للعقل ان يجعل للذهب والفضة سبباً للتمتع في الآخرة مضافاً الى الدنيا وذلك بان ينفق للكل او البعض في سبيل الله فيحرز بهذا الانفاق صفة من صفات المتقين فاذا ضم اليها بقية الصفات دخل في جملة المتقين فيحصل على ما اعد الله له في الآخرة من الجنات والازواج والرضوان .

وقد ورد جملة من الأخبار بهذا المعنى فمنها ما روي عن الصادق (ع) عن أبيه الهاقر انه سئل عن الدينير والدرهم وما على الناس فيها فقال ابو جعفر (ع) هي خواتيم الله في ارضه جعلها الله تعالى مصالحة لخلقها وبها تستقيم شؤونهم ومطالبهم فمن اكثر له منها فقام بحق الله تعالى فيها وادى زكاتها فذلك الذي طابت وخلصت له ، ومن اكثر له منها فبخل بها ولم يؤد حق الله فيها واتخذ منها الآنية فذلك الذي حق عليه وعهد الله عز وجل في كتابه : (يوم يحمى عليها في نار جهنم) .

وروي ان يهوديا أتى الى امير المؤمنين (ع) فسأله عن مسائل فكان فيما سأله ان قال لم سمي الدرهم درهماً والدينار ديناراً ؟ فقال (ع) الباسمي الدرهم درهماً لانه دارهم من جمعه ولم ينفقه في طاعة اورثه للنار وانما سمي الدينار ديناراً لانه دار النار من جمعه ولم ينفقه في طاعة الله اورثه النار ، فقال لليهودي صدقت يا امير المؤمنين :

وقال رسول الله (ص) الدينار والدرهم اهلكا من كانا قبلكم
وهما مهلكا كم وقد تكاثرت الآيات والروايات على الحث عليه :

(الانفاق)

ومدح فاعله بصورة مطلقة وان للسخي قريب من الله قريب من
الناس قريب الجنة بعيد عن النار، وان الهخيل بعيد عن الله بعيد عن الناس
بعيد عن الجنة قريب من النار، ولكن الانفاق يختلف ثوابه بحسب معرفة المنفق
وعلمه حيث انه يعرف ابن يضع المال وفي أي وجه ينفقه ، فالنا قد نرى
اشخاصاً ينفقون الشيء الكثير من المال ولكن في غير محله ، وقد يعطي
للرجل شيئاً قليلاً مصادفاً محله فيمدح عليه كثيراً وقد يعطي وهو لا يملك
غير المال الذي اعطاه فيمدح عليه كثيراً حيث انه لا يملك سواه فالمناط في
الانفاق معرفة المحل والموارد الذي يلهي الانفاق فيه :

وقد روي عن الصادق (ع) انه قال ليس للسخي المهذر الذي ينفق
ماله في غير حقه ولكنه الذي يؤدي الى الله عز وجل ما فرض عليه في ماله
من الزكاة وغيرها والبخيل الذي لا يؤدي حق الله عز وجل في ماله ، ولهذا
نرى ان اعلم للناس بحقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة اسمح الناس كفاً وازهدهم
في المال بل لا يفرق بينه وبين التراب في بذله لمريده ولقد كان الائمة
الاطهار من حيث معرفتهم بزوال الدنيا ومن حيث أنهم اكمل للناس في
كل شيء كانوا اسمح للناس واسخى الناس بعد رسول الله وقد شهد الله
لهم بذلك ورسوله ومحبههم وعدوهم :

اما شهادة الله لأول الائمة وهو علي بن أبي طالب فقد انزل آية
واحدة عرفنا فيها انه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وانه الخليفة والولي علينا

بعد الرسول (ص) وهي قوله تعالى : (أما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة وبؤتوا الزكاة وهم راكعون) . فهذه الآية للشريفة فيها شهادة من الله على اربعة اشياء :

الأول : كونه من المؤمنين الكاملي الايمان :

الثاني : كونه مقبياً للصلاة :

الثالث : كونه مؤتياً للزكاة :

الرابع : كونه ولياً للمؤمنين بعد النبي وانما لم نذكر الجهة الاولى وهي الايمان لانه جعله ولياً للمؤمنين ولا يكون ولي المؤمنين الا الكامل في ايمانه ولا يجوز ان يكون الولي ناقص الايمان ، واعني من ناقص الايمان هو الذي تصدر منه معصية واحدة من اول عمره الى آخره ولو كانت صغيرة او صدرت منه سهواً او خطأ فكيف بمن عبد الأوثان وسجد لها وهذا يعرف من اداة الحصر التي صدرت بها الآية وهي الفظة (انما) حيث حصر للولاية بالله وبالرسول وبالمؤمنين المتصفين باقامة الصلاة وابتداء الزكاة وهم راكعون . وليست هذه الآية وحدها نزلت في حق الامام بل هناك آيات غيرها ستذكر انشاء الله عند الوصول اليها .

وأما شهادة النبي والمحبين فهي الاخبار التي رواها الاصحاب عن النبي في حقته وهم بها مقرون معترفون :

وأما شهادة اعدائه فمنها قول ألد الأعداء وهو معاوية بن أبي سفيان وكان يجتهد في وصيته وعيبيه وذلك حينما جاءه محفن ابن أبي محفن الضبي وقال له جئتك من عند الجمل الناس فقال له معاوية ويحك كيف تقول انه الجمل الناس ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لاتفد تبره قبل تبنه ، وهو الذي كان يكتسب بيوت الاموال ويصلي فيها وهو الذي قال باصقراء

وبا بيضاء غري غيري وهو الذي لم يخلف ميراثاً وكانت الدنيا كلها بيده
الا ما كان من الشام .

وأما سبعة امامنا الحسن بن علي (عليهما السلام) فنه ما روي انه
اعطى سائلاً خمسين للف درهم وخمسة دینار واعطى ظيلسانه لكرى الجمال
واعطى سائلاً آخر ما في الخزانة وانشد قائلاً :

نحن الناس نوالنا خضل يرتع فيه للرجاء والأمل
تجود قبل للسؤال انفسنا خوفاً على ماء وجه من يسأل
لو علم البحر فضل لائلنا لغاض من بعد فيضه خجل

وقال انس بن مالك ان جارية للحسن (ع) حيتة بطاقة ربحان فقال
لها انت حرة لوجه الله فقلت له في ذلك فقال هكذا اديننا الله (واذا
حييم فحيوا باحسن منها) وكان احسن منها اعتاقها وله (ع) شعر :

ان السخاء على للعباد فريضة لله يقرأ في كتاب محكم
وعد العباد الاسخياء جنائله واعد للبخلاء نار جهنم
من كان لا تندى يده بنائل للراغبين فليس ذاك بمسلم
وله حكايات كثيرة في السخاء :

قال البيهقي في المحاسن في باب محاسن الحسن (ع) وكان (ع)
اسخى اهل زمانه وذكروا انه اناه رجل في حاجة فقال اذهب فاكتب
حاجتك في رقعة وارفعها الينا نقضها لك قال فرفع اليه حاجته فاضعفها
له فقال بعض جلسائه ما كان اعظم بركة الرقعة عليه يا الهن رسول الله ؟
فقال بركتها علينا اعظم حين جعلنا للمعروف اهلاً .

واما حكايات السخاء عن امامنا الحسين الشهيد فهي كثيرة منها : قضاؤه
دين اسامة وهو سقون للف درهم ، واعطاؤه الفرزدق اربعمائة دينار .
ومنها انه وفد اعرابي إلى المدينة فسأل عن اكرم للناس فدل على

الحسين فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بازائه وانشأ يقول :
 لم يخب الآن من رجاك ومن حرك من دونهاك الحلقة
 أت جواد وانت معتمدٌ ابوك قد كان قاتل الفسقة
 لولا الذي كان من اوائلكم كانت علينا الجحيم منطهقه
 قال فسلم الحسين وقال يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء قال
 نعم اربعة آلاف دينار فقال هاتها قد جاءها من هو احق بها منا ، ثم
 نزع برده ولف للدنانير فيها ودفعها للاعرابي وانشأ يقول :
 خذها فاني اليك معتذر واعلم بالي عليك ذو شفقه
 لو كان في سيرنا الهداة عصيً امست سمانا عليك مندفة
 لكن ريب الزمان ذو غير والكف مني قليلة النفقه
 قال فاخذها الأعرابي وبكى فقال له (ع) لعلك استقلت ما اعطيتك
 قال لا ولكن كيف يأكل القرا ب جودك .

وروي ان عبد الرحمن السلمي علم ولدأ للحسين سورة الحمد فلما قرأها
 على ابيه اعطاه الف دينار واللف حلة وحشى فاه درأ فقيل له في ذلك
 فقال وابن يقع هذا من عطائه يعني بذلك تعليمه .

وروي انه جاء الحسين رجل من الانصار يريد ان يسأله حاجة فقال
 يا اخ الانصار صن وجهك عن ذل المسألة وارفع حاجتك في رقعة وأت
 بها سامرك انشاء الله فكتب اليه ياها عبد الله ان لفلان علي خمسمائة دينار
 وقد الخ بي فكلمه ينظرني إلى ميسرة فلما قرأ الحسين الرقعة دخل منزله
 فاخرج صرة فيها الف دينار وقال له اما خمسمائة فاقض بها دينك واما
 خمسمائة فاستعن بها على دهرك ولا ترفع حاجتك إلا إلى احد ثلاثة إلى
 ذي دين أو مروة أو حسب .

واما ما ذكر من سخاء علي بن الحسين : فقد روي عن عمر بن دينار

قال حضرت زيد بن اسامة بن زيد الوفاة فجعل يبكي فقال له علي بن الحسين ما يبكيك قال يبكي ان علي خمسة عشر للف دينار لم اترك لها وفاء ، فقال له علي بن الحسين لا تلك فهي علي واثت بريء منها فقضاها عنه ، وروي عن ابي عبد الله الصادق قال لما حضر محمد بن اسامة الموت دخلت عليه بنو هاشم فقال لهم قد عرفتم قرابتي ومنزلي منكم وعلي دين فاحب ان تضمنوه عني فقال علي بن الحسين اما والله ثلث دينك علي ثم سكت وسكتوا فقال علي بن الحسين علي دينك كله :

ثم قال اما انه لم يمنعني ان اضممه اولاً الا كراهة ان يقولوا سبقنا وكان علي بن الحسين يقول مائة اهل بيت من فقراء المدينة وكان يعجبه ان يحضر طعامه اليتامى والاضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم وكان يناولهم بيده ومن كان منهم له عيال حمل له الى عياله من طعامه وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله .

واما ما يروى من سخاء ابي جعفر الامام الهاقر (ع) فانه كان يجيز بالخمسمائة الى الستمائة الى الالف درهم ، وكان لا يمل من صلة اخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه ، واما ما روى عن سخاء امامنا جعفر للصادق (ع) روي عن ابي جعفر الخثعمي قال اعطاني الصادق (ع) صرة فقال لي ادفعها الى رجل من بني هاشم ولا تعلمه الي اعطيتك شيئاً قال فاتيته فقال جزاه الله خيراً ما زال كل حين يبعث بها فنعيش به الى قاهل ولكن لا يصالني جعفر بدرهم في كثرة ماله :

وروي عن الامام موسى بن جعفر قال كنت عند سيدنا للصادق اذ دخل عليه اشجع السلمي يمدحه فوجده عليلاً فجلس وامسك فقال له سيدنا للصادق عد عن العلة واذكر ما جئت له فقال اشجع :

البسك الله منه عافية في نومك المعترى وفي ارقك

يخرج من جسمك السموم كما اخرج ذل السؤال من عنقك
فقال الصادق (ع) يا غلام ابش معك قال اربعمائة درهم فقال
اعطها للإشجع قال فاخذها وشكر وولى فقال ياسيدي سألت فاعطيت فلم
رددتني قال حدثني ابي عن آهائه (عليهم السلام) عن النبي انه قال خير
العطاء ما ابقى نعمة باقية وان الذي اعطيتك لا يبقى لك نعمة باقية وهذا
خاتمي فانه اعطيت به عشرة آلاف درهم والا فعد علي وقت كذا وكذا
او فك اياه قال ياسيدي قد اغنييني وانا كثير الاسفار واحضر في المواضع
المفزعنة فتعلمني ما آمن به علي نفسي قال فاذا خفت امرأ فانك يمينك
علي ام رأسك واقرا برفيع صوتك افهيم دين الله يبغون وله اسلم من في
السموات والارض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون قال اشجع فحصلت في
واد فعتت فيه الجن فسمعت قائلاً يقول خذوه فقرأتها فقال قائل كيف
نأخذه وقد احتجز بأية طيبة :

واما سخاء الامام السابع موسى بن جعفر (ع) فانه كان يصل بالمتتي دينار
الي الثلاثمائة وكانت صرار موسى مثلاً بين الناس كانوا يقولون عجباً لمن
جاءته صرة موسى فشكى القلة وقد اعطى العمري للذي كان يؤذيه ويسبهه
ثلاثمائة دينار وله قصة لطيفة واعطى محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق
الذي اراد ان يسمي به عند هارون اربعمائة وخمسين ديناراً ولفاً وخمسمائة
درهم :

وروي انه حضره فقير مؤمن يسأله سد فاقتنه فضحك في وجهه
فقال اسألك مسألة فان اصبحت اعطيتك عشرة الصعاف ما طلبت وان لم
تصبها اعطيتك ما طلبت وكان قد طلب منه مائة درهم يجعلها في بضاعة
يتعيش بها فقال الرجل سل فقال موسى (ع) لو جعل للهك للمني
لنفسك في الدنيا ما كنت تتمني ؟ قال كنت اتمني ان ارزق التقية في ديني

وقضاء حقوق اخواني قال ومالك لم تسأل الولاية لنا اهل البيت ؟ قال
ذلك قد اعطيته وهذا لم اعطه فاننا اشكر على ما اعطيت واسأل رد ما منعت
فقال احسنت اعطوه الف درهم وقال اصرفها في كذا يعني في العفص
فاله متاع يا هس .

واما سخاء الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع) فانه قضى دين
ابي محمد الغفاري وكان ديننا ثقيلاً واعطى الرجل الخراساني الذي افقد
نفقته في طريق الحج مائتي دينار واعطى ابا نواس ثلثمائة ديناراً والبهلة التي
ركبها ولما دخل عليه دعبل ابن علي و ابراهيم بن العباس في ولاية العهد
الشده دعبل قوله :

مدارس آيات خلت من تلاوة

والشده ابراهيم :

ازال عزاء القلب بهد التجلد

وهب لها عشرين الف درهم من الدراهم التي عليها اسمه :
وروى الصدوق عن البنظي قال قرأت كتاب ابي الحسن الرضا (ع)
الى ولده ابي جعفر (ع) يا ابا جعفر بلغني ان الموالي اذا ركبت اخرجوك
من الباب الصغير وانما ذلك من بخل بهم لثلاثين منك احد خيراً فاستلك بحقي
عليك لا يكون مدخلك ومخرجك الا من الباب الكبير واذا ركبت فليكن
معك ذهب وفضة ثم لا يستلك احد الا اعطيته ومن سلك من عمومتك
ان تبره فلا تعطه اقل من خمسين ديناراً والكثير اليك ومن سلك من عماتك
فلا تعطها اقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير اليك اني اريد ان يرفعك
الله تعالى فالفق ولا تخش من ذي العرش اقتاراً :

واما الامام التاسع محمد الجواد فانه عمل بما كتب ابوه الرضا فصار
يخرج ويدخل للباب الكبير ويعطي كل من يجده عند الباب :

اما ما ذكر عن سخاء الامام العاشر علي بن محمد الهادي فانه اعطى كل واحد من احمد بن اسحق وعلي بن جعفر الهمداني وعثمان بن سعيد ثلاثين الف دينار واعطى الرجل الذي قصده من الكوفة لأداء دينه ثلاثين الف درهم :

اما الامام الحادي عشر الحسن العسكري فقد اعطى علي بن ابراهيم ابن موسى بن جعفر خمسمائة درهما واعطى ابنه محمد ثلاثمائة وكان علي للوقف واعطى اسماعيل العباسي مع كذبه في سؤاله مائة دينار واعطى لأبي يوسف شاعر المتوكل وكان فقيراً اربعمئة درهم واعطى بعض العلويين خمسين ديناراً .

وأما ما يكون من سيرة الامام المنتظر عجل الله فرجه وجعلنا من انصاره فقد اخبرنا بها اجداده الأئمة الأطهار الابرار ، فن ذلك ما رواه في البحار عن جابر قال دخل رجل على ابي جعفر الباقر (ع) فقال له عافاك الله اقبض مني هذه الخمسمائة درهم فانها زكاة مالي فقال له ابو جعفر خذها انت فضعها في جيرانك من اهل الاسلام والمساكين من اخواتك المسلمين ، ثم قال اذا قام قائم اهل البيت قسم بالسوية وعدل في للرعية فن اطاعه فقد اطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وانما سمي المهدي لانه يهدي الى امر خفي ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غار بانطاكية ويحكم بين اهل التوراة بالتوراة وبين اهل الانجيل بالانجيل وبين اهل الزبور بالزبور وبين اهل القرآن بالقرآن ويجمع اليه اموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها • فيقول للناس تعالوا الى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء الحرام وركبتم فيه ما حرم الله عز وجل فيعطي شيئاً لم يعطه احد قبله ويملا الأرض عدلاً وقسطاً ووراً كما ملئت ظلماً وجوراً وشراً :

وروي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) في قصة المهدي قال فيجيء الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيحني له في ثوبه ما استطاع ان يحمله .

وفي خبر آخر في البحار مسنداً الى أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) يخرج في آخر الزمان خليفة يعطي المال بغير عد هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن زهير ابن حرب عن عبد الصمد ابن عبد الوارث عن أبيه عن داود . انتهى .

الصفة الخامسة التي ذكرها الله للمتقين : -

بقوله (وللمستغفرين بالأسحار) الاستغفار هو طلب العبد من الله ان يغفر له ذنبه وتقصيره والمغفرة والغفران هو ان يستر عليه الله ذنبه وان يعفو عما يستحقه العبد من العقوبة على ما صدر منه من الذنوب والتقصير والاستغفار وطلب العفو من الله لا يعني انه صدر منه احد الذنوب التي يعرفها الناس من المعاصي للصغائر والكبائر فان هذا المعنى انما يكون بالنسبة الى سائر البشر غير الأنبياء والأوصياء الذين يلزم كونهم معصومين من الذنوب فان هذا اللقسم يرى نفسه مذنباً اذا اشتغل بأكل او شرب او نوم حيث انه شغل نفسه بما ينفع به جسمه ويرى ان الواجب عليه ان يصرف جميع أوقاته في عهدة الله .

ثم ان هذه الصفة وهي الاستغفار بالأسحار تدخل في صفة القنوت للذي تقدم اذا قلنا انه بمعنى الخشوع او الدعاء وتكون هذه الصفة في وقف خاص وهو وقت السحر اذا عرفت ذلك فهلزم ان تعرف ان الاستغفار انما يتحقق من العبد اذا كان ملتفتاً الى نفسه ولدى تقصيره في حق مولاه وان هذا التقصير يستحق عليه العقوبة ويحذر من المولى ان يوقع به هذه العقوبة فيتدارك تقصيره بالعقوبة وطلب العفو والمغفرة ومن أحسن الأوقات

والسبها لطلب العفو والاستغفار وقت السحر فان النوم يطيب ويلذ في ذلك الوقت فاذا ترك العهد النوم في وقت طيبه ولذته وتوجه لعبادة الله بعد ان اسبغ وضوءه وصلى الصلاة المطلوبة منه في ذلك الوقت وهي صلاة الليل وبعد فراغه من الصلاة يتذكر ذنوبه وآثامه او يلتفت الى تقصيره ثم يتذكر ما اعد الله للعاصي من العذاب او يتذكر حال المقصرين وهمهم عن الله عز وجل فيندم على ما فرط منه من الذنب او للتقصير فيستغفر الله من ذلك ويسأله ان يغفر له هذا الذي صدر منه من ذنب او تقصير ويعاهد الله انه لا يعود الى هذا للعمل اهـ وان أولياء الله وعباده المقربين الذين ذاقوا حلاوة المناجاة يستأنسون في مناجاتهم في تلك الساعة وهي ساعة السحر لان الناس كلهم في نوم عميق وليس في ذلك الوقت اصوات تشغلهم عما هم عليه ، فهم في فراغ من كل الأمور الدنيوية وقد انقطعوا الى الله بقلوبهم واناجوه مناجاة الحبيب الحبيب فهم يستغفرونه ويطلبون منه عتق رقابهم من النار .

ثم ان الاستغفار فيه فوائد كثيرة دنيوية وأخرية كما جاءت الآيات والروايات بذلك فن الآيات قوله تعالى : حاكياً عن نوح (ع) (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) (١) فهذه الآية الشريفة تبين لنا ان الانسان اذا استغفر ربه بعد ارتكاب المعصية ولم يبق مصراً على الذنب يغفر له الله ولا يعاقبه في الآخرة على فعله للتائب عنه وأما في الدنيا فان الله يرسل عليه من السماء كل شيء يظلمه من الله ويزيد له في امواله واولاده ويجعل له جنات وانهاراً في الدنيا والآخرة .

(١) سورة نوح آية : ١٠ / ١١ / ١٢ .

تبيينه :

ومما يلبيغي للحكومات الاسلامية ان يلتفتوا اليه ويتأملوا فيه ويعتبروا
بقوله تعالى : في سورة هود « ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل
السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تقولوا مجرمين » (١)
اني اكتب هذه الاسطر في سنة ١٩٦٦ والحكومات الاسلامية في غاية
الاضطراب فيما بينهم فترى كل حكومة لا ترضي اعمال غيرها من الحكومات
وتنظر الى سوريا قد احاط بها الخطر من جميع جوانبها قد حشدت لليهود
جيشها على حدودها هؤلاء اليهود اذل الأمم واحقرها واقبلها قوة وهأساً
واخضعها للاسلام واذا بهم يحشدون جيشهم على حكومة اسلامية فيالاسف
اين قوة الاسلام ومطوته ورمقه فهل تعرفون السبب في هذا فاني اخبركم
به . ان السبب هو ارتكابهم للجرائم وعدم استغفارهم كالاعلان في بيع
الخمور واكل للرهاب ومخالفة قوانين القرآن وعدم اتفاق المسلمين بعضهم مع
بعض وقد قال الله تعالى في سورة النساء : « ولوانهم اذ ظلموا أنفسهم
جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » (٢)
وان من اصعب الأمور على الاقتداء بالكافرين ولو في اقل الأمور وانما
ذكرت تاريخ كتابة هذه الاسطر بالتاريخ الميلادي لاني او ارخته سنة
١٣٨٦ لجهله اكثر للناس ولظنوا ان الكتابة كانت قبل ستمائة سنة :

فليستغفر المجرمون ربهم ويتوبوا اليه حتى يزدحم قوة الى قوتهم
ويخلصهم من كيد المستعمرين للذين يلعبون بهم لعب الاطفال بالكرة ومع
الأسف يلبيغي ان نقول في هذا العصر لعب الرجال بالكرة فان رجالنا

(١) سورة هود ٥٢ .

(٢) سورة النساء ٦٣ .

اقتداء بالأعداء قد تركوا ما ينفعهم واهتموا بلعبة الاطفال : ومن شجون الحديث اني بالأمس قرأت في بعض الصحف الاسلامية افخار المسلمين بفوز البطل محمد علي كلاي في الملاكمة فما ادري اي فرقة أو اي مذهب من مذاهب المسلمين جوز أو رجح لهذا للبطل هذه اللعبة الخطرة التي قد تأتي على بعض اعضائه الرئيسية فتعيبها او تسقطها عن الاعتبار وقد تأتي على عينيه فتتركه جليس داره لا ينفع نفسه ولا ينفع المسلمين بشيء من هذه القوة التي وهبها الله إياها ، وما ادري اي فائدة تعود عليه او على المسلمين من هذه الملاكمة ، نعم لو كانت في حرب المسلمين مع اعدائهم لكان ذلك من اعظم الأمور ألا ترون ان ضربة ، علي (ع) يوم الخندق الى الآن تذكر على المنابر وتكتب في الدفاتر حيث انها كانت لأجل الدين وأما ماجاء من الاخبار في فوائد الاستغفار فقد روي عن النبي (ص) انه قال لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار ، وعن الامام الخامس أبي جعفر الباقر قال : كان رسول الله والاستغفار لكم حصنين حصينين من العذاب فضي اكبر الحصنين وبقي الاستغفار فاكثروا منه فانه ممحاة للذنوب قال الله عز وجل : (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) (١) وعن النبي (ص) قال طوبى لمن وجد في صحيفته عمله يوم القيامة تحت كل ذنب استغفر الله : وعن الامام الصادق قال كان رسول الله (ص) لا يقوم من مجلس وان خف حتى يستغفر الله خمسا وعشرين مرة .

وعن الصادق (ع) قال كان رسول الله (ص) يتوب الى الله في كل يوم سبعين مرة من غير ذنب قلت يقول استغفر الله واتوب اليه ، قال كان يقول اتوب الى الله وعن النبي (ص) قال من كثرت همومه فليكثر

(١) سورة الانفال الآية ٣٣ .

من الاستغفار ، وقال أمير المؤمنين (ع) العجب ممن يهلك والمنجاة معه ،
قيل وما هي قال الاستغفار ، وعن النبي (ص) قال من لزم الاستغفار جعل
الله له من كل هم فرجا ومخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب :
فالذي يظهر من الاخبار ان الهلاك الذي يصيب الناس انما يصيبهم
لأجل اصرارهم على الذنوب وعدم استغفارهم تأمل في كلمة الامام
أمير المؤمنين (عجبت لمن يهلك والمنجاة معه) فالعهد يلبي له ان يذكر
الله في كل أمر يريد فعله أو يذكره في كل يوم مرة ، اما الذي بيده
السلطة والأمر والنهي فيلبي له ان يكون على حذر في كل حين وان
يستغفر الله من كل خطيئة في كل وقت ومعنى الاستغفار من ذوي الأمر
هو ترك ظلم العباد والا فان قول استغفر الله ربي واتوب اليه لا ينفعه اذا
كان مجرداً عن ترك الذنوب :

فقد ورد في الاخبار ان العهد اذا استغفر الله وهو باق على فعل
المعاصي فهو كالمستهزىء بره وان العقوبة ونزول الهلاك اقرب واسرع الى
هذا العهد من غيره : : هذا ما أمكن ذكره في باب الاستغفار والآيات
والأخبار الواردة فيه كثيرة جداً وبعد الوصول الى هنا فقد علمنا من الآية
للشريعة ان المتصف بهذه الصفات الخمس فهو من المتقين ومن وعده الله
بالأمور الثلاثة الآخرة ، وان الذي فيه صفة واحدة أو صفتان أو ثلاث
من هذه الصفات فانه حائز على بعض صفات المتقين ويمكن ان توصله هذه
التي فيه الى بقية الصفات ان كان ممن يتطلب العلي ويجاهد نفسه وبعد
هذا نقول لما انتقل النبي (ص) من دار الدنيا الى دار الخلود فهل عثرت
الامة بعده او وجدت من هو حاو لهذه الصفات كلها او بعضها من أصحابه
وخاصته وأهل بيته وهل ذكر اهل التاريخ ان احداً فحص وبحث وتصفح
بعد النبي عن اجتمعت فيه هذه الخصال أو ان القرآن والنبي (ص) أشار

الى من تجمعت فيه هذه الخصال باسمه الصريح حتى يعرف في الأمة - والجواب
عن هذا السؤال هو ان القرآن لم يصرح باسم احد كما صرح باسم النبي
محمد (ص) انه رسول الله ولكنه وصفه لنا وصفاً ببعض أفعاله والنبي (ص)
عرفنا أيضاً بصاحب الصفة التي ذكرها القرآن فمن اراد الحق والحقيقة فقد
عرفه بصفته من القرآن وباسمه ، من النبي فيلزمه ان ينزله بالمنزلة التي انزله
بها القرآن واما من يريد المغالطة والمماراة ويبتغي الفتنة بتأويل المتشابه من
القرآن فانه سيكون مع زائفي القلوب ويحشر الى النار :
وأما النبي (ص) فقد ذكر لنا من هو المتصف بالصفات الخمس
وبغيرها مما يؤهله الى منصب الخلافة بعد رسول الله :

أما ما ذكره القرآن فهو قوله تعالى : « انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راکعون » (١) فهذه الآية
عربية صريحة محكمة يفهمها كل عربي له أدنى فهم ولا يظفى إلا على انسان
يقول ويعترف بأنه لا فهم له ولا معرفة فالآية تعرفنا وتأمراً بان للولي
علينا بعد رسول الله هو صاحب هذه الصفة وان الله هو الذي جعله ولياً
علينا وليس لنا ان نرفضه او نبدله ، فالآية ليس فيها اجمال ولا تحتاج
الى ترجمة لمن لا يعرف شيئاً من العربية ، يبقى علينا ان نعرف صاحب
هذه الصفة من هو :

فقد ذكر المفسرون من علماء الأمة المحمدية من جميع فرقهم ان
النبي (ص) لما نزلت عليه الآية قال لأصحابه قوموا حتى لرى من صاحب
هذه الصفة فتوجهوا الى المسجد فعرفوا ان المتصدق هو علي بن أبي طالب
تصدق بخاتمه على المسكين وهو رابع :

(١) سورة المائدة : ٥٥

وبعد هذا نرجع الى ما نحن فيه فنقول ان هذا المؤمن المتصدق في
صلاته الذي جعله الله ولياً على المؤمنين بعد رسوله لا بد وان يكون حائزاً
على هذه الصفات الخمس وعلى غيرها من العلم والعمل به والزهد وغيرها
الى آخر الاخلاق الحميدة ، هذا اذا اراد الانسان ان يعرف صاحب الصفات
فان ما ذكره كاف في المعرفة اما اذا اراد المجادلة بالباطل فان أبواب الباطل
كثيرة وان كانت كلها واهية وان في القرآن آيات آخر كلها تدل على
مادلت عليه هذه الآية فمن ارادها فليطلبها ومن لم يرددها فهي حجة عليه
ولا يهطل مدلوها اذا لم يرددها المتكبر على احكام الله .

وأما ما ذكره النبي فهو موقوف على ذكر مقدمة ليكون الامر واضحاً
جلياً لكل احد ويظهر لكل احد ان المجادل فيه انما هو مجادل بالباطل
اما المقدمة فهي قوله تعالى : « واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها
حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد
الحسنين » (١) :

وحاصل الامر من هذه الآية ان قوم موسى لما كتب الله عليهم ان
يتيهوا في الارض اربعين عاماً وبعد انقضاء المدة لما فصلوا من أرض التيه
ودخلوا لل عمران وكان بنو اسرائيل قد اخطأوا خطيئة فأحب الله ان يتقدم
منها ان تابوا فعلمهم طريق التوبة ووعدهم على ذلك ان يرغد لهم العيش
فيكونوا منعمين في الدنيا والآخرة ، اما طريقة التوبة فهي في غاية السهولة
وذلك بأن يدخلوا الباب التي امرهم بالدخول منها بحالة مخصوصة وان يقولوا
كلمة مخصوصة اما كيفية الدخول فهي ان يدخلوا حائزين ظهورهم كزي
الراكع اشارة لخضوعهم لله تعالى والهم مطيعون لامره واما للكلمة التي
امروا ان يقولوها فهي كلمة الاستغفار المعبر عنها بكلمة (حطه) والمقصود

(١) سورة البقرة : ٥٧ :

منها الطالب من الله أن يحط عنهم خطيئتهم ويغفر لهم وقد جعل الله الدخول من الباب بهذه الكيفية المخصوصة علامة للمؤمن المطيع وعدم الدخول من هذه الباب أو الدخول بكيفية اخرى أو عدم التكلم بهذه الكلمة حين الدخول أو عدم نية الامتثال لأمر الله بأن يدخل ويقول ولكن لاعتن عقيدة وإيمان وهو المنافق الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر ، وبعد ان جعل الله للدخول بهذه الكيفية هي العلامة الفارقة بين المؤمن والكافر كان المؤمن من بني اسرائيل اذا اراد الدخول من الباب احنى ظهره اي دخل الباب ساجداً وهو خاضع لله وهو يقول اللهم حط عنا الذنوب واغفر لنا ، وأما الكافر كان اذا اراد للدخول ولم يتمكن من الدخول قائماً حيث ان الباب كان واطناً فكان الكافر يزحف على امته ويقول بدل حطة حنطة حمراء وقد اشار الله الى هؤلاء الذين بدلوا القول والفعل بقوله : (فبدل الذين ظلموا فولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) .

فقد اتضح للمسلم الذي يروم التنبصير في دينه والذي يطلب للرشد ولا يكون كالاعمى الذي يقوده غيره ، فلا يدري اين يضع قدميه وما يبطأ برجليه اتضح له ان المؤمن هو الذي يدخل باب حطة على الكيفية التي امره الله بها وان الذي يمتنع من الدخول او يدخل على خلاف ما امره الله فهو كافر وأنه من الظالمين وأنه من الفاسقين الذين سينزل الله عليهم رجزاً من السماء . اذا عرفت هذا فاستمع لما يقوله النبي استمع ايها المسلم المصدق بالنبي محمد (ص) لما يقوله لك لبيك ويرويه عنه للثقة من العلماء ثم ارجع الى عقلك فاسأله عما يحكم به من امور الدين فاعمل به ولا تخالفه فانك ان خالفت حكم العقل وحكم القرآن وحكم النبي فلماذا تسمى نفسك

مسلماً فهل تريد ان تتخذ لنفسك او تتخذ الناس فان ذلك لا يضر غيرك
فاحذر وثبت .

(في الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٧ قال الحديث الرابع والثلاثون
اخرج الدار قطني في الافراد عن ابن عباس ان النبي (ص) قال علي
باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً) .
واخرج علي المتقي في كنز العمال جزء ٦ ص ١٥٣ والمناوي في فيض
القدير ج ٤ ص ٣٥٦ وكل منهما قال اخرج به الدار قطني في الافراد عن
ابن عباس الى آخر الحديث المتقدم .

ايها المسلم : - قد عرفت معنى باب حطة وسمعت قول النبي (ص)
والمراد من قوله ان من اتخذ علياً اماماً بعد النبي وعمل باقواله فهو كالدخل
من باب حطه يعد عند الله وعند الرسول مؤمناً ويغفر الله له ذنوبه ومن
لم يتخذ علياً اماماً ولم يعمل باقواله ولم يتخذ احكام دينه منه لم يكن من
المؤمنين كما ذكر للنبي فهو عند الله من الكافرين ، ولم يغفر له ذنوبه
وبعاقبه عليها ، هذا صريح قول النبي فان كنت تفهم من قوله (ص)
معنى آخر خلاف هذا الظاهر فخذ بما تفهم ودن الله به فانه سبحانه
عليه ويعلم بسرك وخفي امرك فانه يعلم خائفة الاعيين وما تخفي الصدور .
هذه رواية واحدة ذكرتها لك وهي كافية لمن يتطلب الرشد فقد
ذكرها رجل مناويء للشيعة ولف للصواعق رداً على الشيعة وذكر فيه
هذه الرواية فالطالب للتحق يكتفي بها بعدما عرف حقيقة باب حطة وسمع
قول النبي واذا اردت للتأكد وللزيادة على هذه الرواية فان مثلها كثير
من الروايات .

قال في منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند احمد (ج ٥ ص ٣٩)
علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً (فظ)

في الافراد عن ابن عباس وهكذا ذكره في المناقب المرتضوية للعلامة الشيخ محمد صالح الكشفي الحنفي وكذا ذكره في ارجح المطالب للشيخ عبيد الله الأمر تسري الحنفي وكذا ذكره في امنى المطالب للعلامة الشيخ محمد درويش الحوت ، وكذا في ينابيع المودة للشيخ سليمان القندوزي الحنفي ، وكذا في مفتاح النجافي مناقب آل العبا ، وذكره العلامة النبهاني في الفتح للكبير (ج ٢ ص ٣٤٢) ، وكذا ذكره للكثير من العلماء والمؤرخين ، وما الفائدة من التعداد والكتابة فان القاريء اما ان يكون طالباً للتحق فانه يكفيه حديث واحد يذكره عالم غير متهم وان كان يريد كثرة الرواة وتعداد الروايات من غير تأثر بذلك فعليه بالكتب الكبار ، فليقرأ ما يشاء فان كل خبر وكل رواية يقرأها تكون حجة عليه يسأله الله عنها يوم الحساب الاكبر فلا يجد عذراً له ولا جواباً .

اذا عرفت هذا فلنرجع الى ما نحن فيه من الصفات الخمس المذكورة في الآبة الشريفة وهل انها مجموعة في رجال نوه الله والرسول عنهم ؟ فنقول ان النبي (ص) لم يكن ليأمر أمته اجمع بالرجوع الى شخص ويحثهم على اخذ احكام دينهم منه ويحكم بايمان المتمسك وكفر المبتعد عنه كما سمعت من قوله : (علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً) فان النبي (ص) لم يحث على هذا الا بالنسبة الى شخص يكون مثله باتصافه بجميع الاخلاق والصفات الحميدة وجمعه لجميع العلوم هذا الذي يمكن ان نقوله في حق النبي (ص) واذا قلنا غير هذا فقد قصرنا في حق النبي ، واما رواية عهد الله بن مسعود التي خرجها للعلامة للشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده حيث قال وعن عبد الله بن مسعود قال : (قال رسول الله (ص) علي بن أبي طالب باب الدين من دخل فيه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً) : فن ان اراد ان يدين

الله بالدين الذي جاء به رسول الله فليمثل امر النبي وليدخل من باب
الذي عينه له النبي (١)

فقد تحصل عندنا ان الرجال المتصفين بهذه الصفات من اول وجودهم
في الدنيا الى ساعة خروجهم منها هم الذين خصص الله لهم جزاء في الآخرة
خيراً من الدنيا كلها من اولها الى آخرها ولا يكفي اتصاف البعض بهذه
الصفات في بعض أيام حياتهم وان كان له عند الله الجزاء الحسن ولكنه
لا يساوي المتصف في جميع أيام حياته ، فيلزم على الانسان للعقل ان
يفحص ويبحث عن هؤلاء الرجال الذين مدحهم الله ورضى عنهم وجعلهم
اهلاً للجزاء الاخروي يلزم على المرء معرفة هؤلاء ليقتدي بهم في أقوالهم
وأفعالهم ان كان ممن يطلب الرشيد ويريد التقرب الى الله فان الله قد
وصفهم بصفات كثيرة في آيات عديدة فمنها الآية التي بعد هذه الآية وهي
قوله تعالى :

(شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم) (٢) .

الشهادة لغة مأخوذة من الشهود وهو الحضور ولا يجوز أن يكون
أحد شاهداً على شيء حتى يكون متيقناً للشيء باحد الحواس وحيث ان
وحدانية الله وعدله المعبر عنه بقيامه بالقسط ليسا مما يدركان بالحواس
والحواس الظاهرية وانما يدركان بالعقل والمعرفة ، فالشاهد عليهما من البشر
لم يكن شاهداً بذلك المعنى أي مدركاً لهما بالحواس وانما قيل له شاهداً
لكمال يقينه وقدرته على إقامة الحججة عليهما وقد جعل الله أولي العلم شهوداً

(١) ان الله يقول : (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر
من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها) .

(٢) سورة آل عمران : ١٨ :

على هذين الأمرين وهم من البشر قرنهم الله بالملائكة وأنزلهم بهذه الرتبة
العالية بحيث اختارهم شهوداً على وحدانيته وعدله .
وهذا مقام رفيع اختص الله به أولي العلم من خلقه فان الآية وان
لم تكن من موضوع الكتاب فانه خصص لصفات المؤمنين ولكن الآية هي
من صفات أولياء المؤمنين فيلزم ذوي العقل وطالبي الرشد ان يفحصوا عن
اهل العلم الذين اختارهم الله شهوداً لوحدانيته وعدله ، حتى يسمعوا منهم
ما يفرضونه عليهم من العلوم المتعلقة بالوحدانية والعدل فهؤلاء الذين جعلهم
الله شهوداً على هذين الأمرين والمطلوب من امة خاتم الأنبياء ان يدينوا الله
بالاعتقاد بهذين الأمرين يلزم على كل فرد من الأمة ان يستمع الى ما يلقيه
هؤلاء الشهود حتى يعرفوا معنى الوحدانية والعدالة والقيام بالقسط معرفة
حقيقية مطابقة لما يريد الله وتعرفه الملائكة ، فانه لا يعرفها من البشر إلا
أولوا العلم وان هؤلاء أي أولوا العلم الذين ذكرهم الله عندهم علوم القرآن
بجميع انواعها واصنافها وحيث ان امة النبي ملزمة بالعمل بالقران يلزمهم
الرجوع الى العلماء ليتعلموا منهم احكام القرآن أيضاً ، ثم نسأل الأمة
هل انها تعرف من هؤلاء العلماء أحداً بعد رسول الله او انها بقيت في
التيه عن معرفة الطريق اليهم ، نعم يتمكن التائه ان يعرف الطريق اليهم
بكلمة واحدة اذا تأمل فيها واراد الاهتداء الى الطريق واذا اردت ان
تعرف ماهي الكلمة فهي قول أولهم ورئيسهم الصادق المصدق قال علمني
رسول الله لل ف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب فهل ترى
أيها العاقل الطالب للرشد الذي يريد للدين الصحيح الحقيقي هل ترى في
امة محمد رجلا كهذا علمه رسول الله الف باب أو مائة باب أو عشرة
أبواب يفتح له من كل باب عشر ابواب ، فما هال للناس لا تطلب العلم
من هذا الرجل وقد خاطبهم مراراً عديدة قائلاً لهم سلوني قبل أن تفقدوني .

أبها الأديب ان هذا العصر يختلف عما سبقه من العصور هذا عصر
عرف فيه قدر العلم فانظر الت في خطب أمير المؤمنين وما فيها من هديع
المعاني انظر إلى خطبته في التوحيد وما جمعت من أصول للعلوم مالا تجمعه
خطبة فنها قوله : -

« ما وحده من كیفه ولا حقیقته اصاب من مثله ولا اياه عنى من
شبهه للخ ::: » وقد اودع امیر المؤمنین هذه العلوم كلها عند الاثمة
الاحد عشر من نبيه وهم الذين لوه عنهم رسول الله وسماهم باسمائهم فانظر
لما صدر منهم من العلوم النافعة للهمش ولا تسلك طريقاً سلكه قبلك الناس
اميون ليس لهم شيء من المعارف ، فانك بحمد الله عارف اديب تفهم الكلام
وتميز بين الحسن وغيره .

انظر الى توحيد المفضل لتعرف الأدلة والبراهين التي بينها الامام
الصادق للمفضل بن عمر واعرف لأهل العلم حقهم واعرف كيف فضلهم
الله وعرف الأمة بهم حيث جعلهم شهداء لتوحيده وعدله وقيامه بالقسط
وهي منزلة رفيعة عالية فلا تبخسها ولا تكن من الجاهلين ثم بعد ما بين
لنا الله الأمور التي زبلت للناس في الدنيا وانها نزول أو بزول عنها صاحبها
وابنا ان عند الله خيراً منها وان هذا لا يكون الا للمتقين واخبرنا ان
المعقنين الحقيقيين انما هم من اتصف بهذه الصفات ، وعرفنا ان التقوى انما
تحصل بالاعتقاد بعدله وانه قائم بالقسط ، وحيث ان الاعتقاد بقيامه
بالقسط يلزمه الكف عن الظلم سواء كان ظلاماً للنفس أو ظلاماً للغير فانه
ان لم يكف عنه فمقتضى عدل الله القصاص منه ، وحيث ان الإنسان خلق
جاهلاً لكل شيء وهو محتاج الى العلم بجميع انواع العلم حتى يتركه فيفور
برضى الله ولهذا خلق الله رجالاتاً فاهمهم العلم وامرنا بالرجوع اليهم لتعرف
احكام ديننا ثم بعد كل هذه الأمور اخبرنا بأنه لا يقبل منا الا ما عينه لنا

من الدين وهو قوله تعالى :

« ان الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب » (١).
فان الاسلام هو التسليم لله ورسوله في كل الامور والخضوع والانقياد لامرهما ونهيها ، وان جماعة من اليهود وهم الذين اوتوا للكتاب كانوا في المدينة واطرافها وكانوا يحدثون عن بعثة النبي ويذكرون اوصافه ويملنظرون ظهوره وكانوا يظنون انهم يمكنهم التسلاعب والاحتيايل والمكر والختل كما هي عادتهم في كل مكان واوان ، فلما بعث للنبي ورأوا أنه لا يمكنهم ان يفعلوا شيئاً اظهروا الخـلاف وغالطوا وناقشوا وقالوا ان الموعد غير هذا (وما اختلف الذين اوتوا للكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب) (٢) اما غير اهل الكتاب من الذين آمنوا بالنبي (ص) فان ساروا على الطريق الذي ارشدهم اليه وهلم عليه وسلموا له في جميع الامور فان الله يقبل منهم ذلك ، واما اذا خالفوا امر النبي وشرعوا اموراً من آرائهم وما تشتهيه انفسهم فان هذا من اعظم المآثم والجرائم وخذ لك مثلاً واحداً أو قس عليه سائر الامور فان النبي (ص) قال لهم في مقامات عديدة (اني مخالف فيكم للتقليد كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانكم لن تضلوا اما ان تمسكنم بهما) :

فيلبغني للمرء ان يتدبر ويتأمل ويفكر ويتحقق ولا يكن من الغافلين وبعد ذلك يقول (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على اثارهم مقتدون) (٣)
فان هذا الاعتذار لو كان الأمي الذي كان في العصور السابقة يقنع به

(١) سورة آل عمران : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٩ .

(٣) سورة الزخرف ٢٣ .

نفسه يقوله منه مثل من كان مثله في الآية ، اما في العصر الحاضر الذي دخل للناس فيه المدارس وتعلموا العلوم حتى تخرج منهم المدرس والمهندس والطبيب والدكتورا الذي يمكنه ان يتوصل الى رتبة الوزارة أو غير ذلك من الرتب العالية فهل ترى ان الامي الذي امتد به الزمن فعاش الى هذا العصر هل تراه يعذر هذا المتعلم لو اعتذر بهذا العذر : أو تراه يجابهه بالرد عليه ويقول له انا ما كنت اعلم ولا أفهم ولا أفكر بان ابني كان ضالاً فانت ابها الدكتور كيف تقول ذلك ؟ وانك توصلت الى امور دقيقة عجز عنها جدك وابوك وهذا قول البسطاء للبلهاء السذج الذين لا علم لهم ولا معرفة ولندكر للدكتور كلمة قالها امير المؤمنين في تعريف الاسلام وعليه بالتدبر فيها لعله يتوصل منها الى شيء ينفعه قال (ع) :

لأنسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي... الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاداء هو العمل ثم قال ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رايه ان المؤمن يعرف ايمانه في عمله وان الكافر يعرف كفراله بالكاره ، ايها الناس دينكم دينكم فان السيئة فيه خير من الحسنة في غيره ان السيئة فيه تغفروان الحسنة في غيره لا تغفر :

تأمل في هذه الكلمات التي القاها عليك هاب مدينة للعلم فانه يقول ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رايه وهل يمكنك ان تأخذ دينك عن ربك إلا بواسطة من قال في حقه النبي انا مدينة للعلم وعلي هابها وقال علي علمني رسول الله الف هاب من للعلم يفتح لي من كل هاب الف هاب .

ايها الدكتور الاديب الفاهم لا تخدع نفسك فانه لا يقبل منك قولك (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقعدون) ،

وبالختام لا بأس بذكر شيء من فضل آية الشهادة :
قال في مجمع البيان ومما جاء في فضل هذه الآية ما رواه انس عن
النبي (ص) قال من قرأ شهد الله .. الآية ، عند منامه خلق الله منها
سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيامة .

وعن الزبير بن العوام قال : قلت لأدنون هذه العشية من رسول الله
وهي عشية عرفة حتى اسمع ما يقوله فحسبت ناقتي بين ناقة رسول الله وناقة
رجل كان الى جنبه فسمعته يقول : (شهد الله انه لا إله الا هو) - الآية -
فما زال يرددها حتى دفع .

وعن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش
فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام
من الليل يتهجدها بهذه الآية (شهد الله انه لا إله الا هو - الآية) -
ثم قال الأعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي
عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مراراً قلت لقد سمع فيها
شيئاً فصليت معه وودعته ثم قلت آية سمعتك ترددها فما بالك فيها قال
لا احديثك بها الى سنة فكتبت على باه واقمت سنة فلما مضت السنة قلت
يا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وائل عن عهد الله قال : قال
رسول الله يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبي هذا عهداً عندي
وانا أحق من وفي بالعهد ادخلوا عبي هذا الجنة .

وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلثائة وستون صنماً فلما نزلت
(شهد الله انه لا إله الا هو - الآية) خررن سجداً انلهي .

ثم بعد ما بين الله لعباده بواسطة نبيه ان الدين هو التسليم والانقياد
والخضوع والامتثال في كل ما يأمر به المولى بحيث يأخذه عن ربه ولا
يخاطه بشيء يأخذه عن رأيه بعدما بين لنا هذا بايضاح وجلاء ولم يبق فيه

شيء من الابهام والخفاء حتى يعتبر به من يريد الفتنة ويريد الفساد فمن كان بهذه الصفة فهو مؤمن ومسلم حقيقة ، ومن لم يكن بهذه الصفة فان الله أمر نبيه أن يقول للمخالفين له بأنه هو ومن اتبعه أي اتصف بهذه الصفات فهم المسلمون حقاً ، ثم يكرر عليهم السؤال ثانياً ويسألهم سؤال انكار وتوبيخ هل انهم اسلموا كاسلامه او انهم مصررون على البقاء فيما كانوا عليه فقال تعالى :

(فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اتوا للكتاب والأمين أسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) (١) :

أي بعدما بينت أيها النبي للناس حججك وأدلتك على توحيد الله وقيامه بالقسط وان القيام بالقسط معنى عام يشمل جميع المخلوقات من انواع الهشر والحيوان والشجر والنبات والجن والملائكة بان خلقتها جعلت على هيئة حكيمة ليس فيها نقص ولا ميل الى زيادة او نقصان ومن جملة ذلك الشرائع السماوية فانها مركبة من قوانين حكيمة ليس فيها حرج ولاشدة على العباد ، وانها يلزم فيها الدقة في التطبيق ويلزم فيها امثال أمر الله في الكثير والقليل فمن خالف قاعدة منها وعمل فيها برأيه فقد خرج من زمرة المؤمنين في هذه التي خالفها فبعد ما دل الدليل على قيام الله بهذا القسط العام وشهد الله والملائكة وأولوا العلم على ذلك اذا خالف مخالف واحتج معاند سواء أكان من أهل الكتاب أو من المؤمنين فقل لهم (اني اسلمت وجهي لله ومن اتبعن) .

فقد تبين مما تقدم ان الاسلام هو التسليم والانقياد والاذعان وهذه الآية توضح لنا هذا المعنى فان وجهه كل ذي وجه اذا كان في يد احد

(١) سورة آل عمران ٢٠

وتحت ارادته يكون صاحب الوجه طوع ارادة ذلك المالك لوجهه ولا
يمكنه التخلف عنه مقدار ذرة واحدة إذ انه لا يمكنه الانحراف عنه والميل
إلى جهة أخرى فلا يتصور في حقه المخالفة وهذا هو التسليم والانقياد
والخشوع واما القول باللسان مع عدم تسليم الوجه فلا يتحقق به التسليم
الحقيقي فالنبي (ص) مأمور من الله بان يقول لأهل الكتاب من يهود
ونصارى وغيرهم من الملل وللأمة يقول لهم اني ومن اتبعني قد أسلمنا
وجوهنا لله فلا نخالف شيئاً من أوامره فهل انتم أسلمتم كما سلمنا فان
أسلموا كما سلام النبي فينبغي لهم ان يسيروا على سيرته ويعملوا بأوامره في
زمانه وبعد زمانه الى زماننا هذا فان الأمر واضح والطريق مستقيم والكتاب
موجود على حاله ومؤولوا الكتاب ومفسروه والعالمون بحقائقه ودقائقه قد
بينوا لنا جميع ذلك ودونت أقوالهم ولم يبق عذر لطالب الحق وأهم
الأمر التي يجب متابعتها أمر الله فيها هو اتباع من جعل الله علم احكام
الشريعة عنده وأمر البشر بالأخذ منه فاذا ترك أحد من الأمة اخذ الأحكام
من النبي أو ممن نصبه النبي لهذه الغاية وأخذ أحكام دينه من شخص آخر
أو عمل برأيه فهذا الشخص تكون عباداته باطلة لا قيمة لها وهو مسؤول
امام الله حيث ترك النبي ووصيه اما اذا قلت ان النبي لم ينصب وصياً من
بعده وترك أمته تخبط خبط عشواء يكفر بعضها بعضاً فهذا قول لا يرتضيه
العقل ثم عليه ان ينظر في ادلة القائلين بنصب النبي خليفة للناس من بعده
فاذا ردها كلها بأدلة أقوى منها ورأى أقواله أرجح من ذلك القول بالأدلة
والحجج الكافية فليتمسك به وإلا فلا يجوز له العقل ان يقول به بلا دليل
ويترك القول الآخر المؤيد بالأدلة الكافية وبهارة أوضح واخصر يفهمها
كل قارئ وأمي ان تسليم للوجه ليس المقصود منه جلدة الوجه المجردة
وإنما يكون الرأس كله يهد من سلم له الوجه فيكون حاله حال من أخذ

برأس أحد قد شد بحبل فانه لا يتمكن ان يذهب يمينا وشمالا بل يتبع
قائده ويسير حيث صار :

أما اذا كان يمشي خلف شخص من غير حبل يمسك رأسه فهو
لا يتبع خطاه واذا رأى شيئا عن اليمين او الشمال فاعجبه ذلك الشيء
ترك صاحبه ومال يمينا أو شمالا او رجع القهقري الى الخلف هذا هو معنى
تسليم الوجه وقد أمرنا الله ان نسلم رؤوسنا وأنفسنا الى النبي بقوله تعالى :
(للنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وأمرنا النبي ان نسلم أنفسنا الى علي
ابن أبي طالب بقوله في خطبة غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم
وال من ولاء وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ألا هل
بلغت قالوا بلى ، فقال له عمر بن الخطاب في ذلك اليوم يخ لك يا بن
أبي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة :

ثم بعدما أمر الله نبيه ان يسأل كل قارىء وامى هل انه أسلم كهذا
الاسلام وهل سلم وجهه كهذا التسليم فمن فعل ذلك فهو من أمة النبي ومن
اتباعه في الدنيا والآخرة وقد وصفهم الله بقوله (فان أسلموا فقد اهتدوا)
ومن لم يفعل كفعل النبي واتباعه أي لم يسلم وجهه ورأسه ونفسه الى الله
ورسوله ومن نصبه الرسول خليفة من بعده فقد عبر الله عنهم بقوله
(وان تولوا فانما عليك اللبلاغ والله بصير بالعباد) أي من لم يسلم وجهه
لله فليس هو بمسلم ولا من امة محمد (ص) ولا من اتباعه وان الله عالم به
وبصير بنيه السيمة ونواياه الخبيثة الردية :

قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير الك على شيء
قدير » (١)

(١) سورة آل عمران الآية : ٢٦ .

وقوله تعالى : « توالج الليل في النهار وتوالج النهار في الليل وتخرج
الحلي من الميت وتخرج الميت من الحلي وترزق من تشاء بغير حساب » (١)
ان من شروط المؤمن وصفاته التي يلزم الانصاف بها هي أن يكون
معتقداً بان الله تعالى هو المالك الحقيقي لكل شيء في الارض والسماء والبر
والبحر وان الخلق كلهم عبيده يتصرف بهم كيف شاء وان ما في ايدي
الناس من الاموال انما هي عارية جعلها الله في ايديهم واشترط عليهم شروطاً
ورخصهم بالتصرف بها بكيفية مخصوصة وفي موارد مخصوصة وحتم عليهم
الاعطاء منها في موارد معينة ، وحرم عليهم اعطاؤها في موارد معينة فن
اعطى في مورد المنع والحرمه يلزم من اخذها ردها ومن منع العطاء في وقت
الوجوب فقد احتمل انما يعاقبه الله عليه في الآخرة وان الله يعطى من يشاء
متى شاء كيف شاء ويأخذ ممن يشاء متى شاء وانه يخلق من الخلق ما يشاء
من انواعها واصنافها ويميت من يشاء من الموجودين فاذا اعتقد المرء اعتقاداً
جازماً بان روحه بيد الله يسلبها منه في اي حين شاء لا يلبغي له ان يقدم
على ما حرم الله ولا يلبغي له ان ينكب على الدنيا وينغمس فيها واذا اعتقد
وجزم ان ما بيده من الاموال هي ملك لله وان الله جعلها وديعة عنده وأمره
ان يعطي منها شيئاً معيناً للفقراء الذين يحتاجون الى قوتهم وقوت عيالهم
لا يلبغي له مع هذه العقيدة أن يمتنع عن العطاء ويبخل به مع علمه ان الله
اذا شاء انزعه في حينه وكذا اذا علم ان الله المالك لما في يده من المال
الذي جعله وديعة عنده قد نهاه ان يصرف شيئاً منه في الوجوه المحرمة
التي عينها له النبي وخلفاؤه خالف ارادة الله وصرف شيئاً في المحرمات فان
الله سيعاقبه عليه :

وكذا يشترط في المؤمن ان يعتقد اعتقاداً جازماً بان العزة والذلة بيد

(١) سورة آل عمران الآية : ٢٧ .

الله يعز من يشاء وبذل من يشاء فلا ينبغي له ان يطلب مرضاة المخلوق بسخط الخالق ، ولا يخدم الظلمة اعداء الله واعداء رسوله واوليائه ويتقرب اليهم بمعصية الله ويظن انه يكون بذلك عزيزاً عند الناس فانه يصير ذليلاً عند الله ، ومن كان ذليلاً عند الله سيكون ذليلاً عند الناس ، بل ينبغي للمؤمن العارف المطلع على الأخبار ان يأخذ بارشادات الائمة الاطهار (ع) فقد قال أمير المؤمنين (ع) (وان اردت عزاً هلا عشيرة وهيبة هلا سلطان فاخرج من ذك معصية الله الى عزطاعته)

تنبيهه :

ان الله تعالى ذكر في أول الآيات ما يشتهيه الانسان في هذه الحياة وعبر عنه هائه زينة الحياة الدنيا قد ذكر انواعاً منها كالنساء والبنين والقفناطير المقنطرة من الذهب والفضة وغيرها .

وذكر بعد ذلك ان الله عنده حسن المآب وفي هذه الكلمة بيان ان هذه الأمور كلها ليس لها مآب حسن وان ذلك عند الله وهو غيرها ثم قال في آية بعدها :

(قل أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ..) الآية فقد بيانا الله ان في الآخرة اشياء هي خير من الدنيا وزينتها فالقفناطير المقنطرة من الذهب والفضة جعلها الله من زينة الدنيا لانها تزول ولا تبقى اما الشيء الذي يسميه الله ملكاً فينبغي ان يكون مما يعمد نفعه الى الآخرة ولم يختص بالدنيا كتلك الأمور :

ولذا قال جماعة ان المقصود من الملك في الآية الشريفة هو النبوة والامامة والحكمة والعلم فانها احرى بهذا الاسم لانها باقية وتلك زائلة وبناء

على ان الملك هي هذه الامور او الأعم من الزائلة والباقية يلزم حينئذ على المؤمن ان يعتقد بان النبوة والامامة انما هي ارادة الله واشاءته يختار من يريد للنبوة ويختار من يريد للامامة ويودع احكام الحلال والحرام وما يحتاجه الانام عند النبي (ص) والامام فلا يلبي مؤمن ان يقول ان الامامة انما هي باختيار الأمة فان الأمة لاتعرف المصالح والمفاسد في تعيين هذا وعزل ذلك وانما يعرف الله ذلك (يؤت الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء) فهل ترى ابها المؤمن للعاقل ان العزة التي يقصدها الله من قوله يعز من يشاء هي للعزة بكثرة المال والأولاد او كثرة النساء او القناطير من الذهب والفضة فانظر الى قصة قارون وما كانت عاقبته وهذا كله داخل في قوله تعالى (قائماً بالقسط) فان قيامه بالقسط هو اعطاء النبوة والامامة لمن يمكنه من القيام بها ويزيده بسطة في العلم والعقل وجميع المؤهلات لهذا المنصب العظيم الخطير :

اما الأمة اذا اجتمعت وافقت واختارت رجلاً منها على ان يكون اميراً لها ورئيساً يرشدهم لامور دنياهم فلا بأس بذلك ان كان قادراً على ذلك واما اذا اختارت الأمة رجلاً ليكون خليفة للنبي يرشدهم لامور الدين فهذا ليس لهم وانما هو مما يرجع إلى ارادة الله فان خالفوا الله وفعّلوا ذلك صار حكمهم كحكم من ذكرناه في آية الكرسي في قوله تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

يقاظ الى العرب خاصة والى المسلمين عامة

لقد ذكر المفسرون في سبب نزول آية الملك ان النبي (ص) لما

خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعاً احتج المهاجرون
 والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً فقال المهاجرون سلمان منا
 وقال الانصار سلمان منا فقال للنبي (ص) سلمان منا اهل البيت ،
 قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة ونعمان بن مقرن المرئي
 وسبعة من الانصار في اربعين ذراعاً فحفرنا إذ كنا يجب ذئب اخرج
 الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان
 ارق إلى رسول الله (ص) واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها
 فان العدل قريب واما ان يأمرنا فيه بأمره فانا لا نحتاج ان نجاوز خطه
 قال فرقى سلمان إلى رسول الله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله
 خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت
 علينا حتى ما يمتك فيها قليل ولا كثير فرنا فيها بأمرك فانا لا نحب ان
 نتجاوز خطك قال فهبط رسول الله (ص) مع سلمان الخندق والتسعة على
 شفة الخندق فاخذ رسول الله (ص) المعول من يد سلمان فضربها بهضرة
 صدعها وبرق منها برق اضواء ما بين لابتيتها حتى كان لكان مصباحاً في
 جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم
 ضربها رسول الله (ص) للثانية فكسرها وبرق منها برق اضواء ما بين لابتيتها
 حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبيرة
 فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها فبرق منها برق
 اضواءها ما بين لابتيتها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر
 رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقى :
 فقال سلمان يا بني انت امي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت منك
 قط فالتفت رسول الله إلى القوم وقال رأيت ما يقول سلمان قالوا نعم
 يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيت الضياء لي منها

قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي
ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق لي الذي رأيتهم اضاء لي منها
قصور حمير من ارض الروم كانها انياب الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي
ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق لي الذي رأيتهم اضاء لي منها
قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها
فاهشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد
الحصر فقال المنافقون الاتعجبون بيمينكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من
يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون
الخندق من الفرق ولا تستطيعون ان تبرزوا الى العدو فانزل الله ردا عليهم
في هذه القصة .

قوله (قل اللهم مالك الملك الخ) فان الملك في الآية وان اختلف
فيه هل انه الملك الدنيوي المنقطع كالمال والبنين أو الملك الذي ينجر إلى
ملك الآخرة كالنبوة والخلافة فاذا حملنا الآية على معناها العام الشامل للملك
النبوة وملك العلم وملك العقل وملك الصحة والاخلاق الحسنة والنفوذ
والقدرة ، وملك الحجة وملك الاموال وغير ذلك فان اليهود كانوا يقولون
ان النبوة كانت في آباءنا واسلافنا واما قريش فما كانوا اهل النبوة
والكتاب فكيف تليق النبوة بمحمد وقد انزل الله هذه الآية للشريفة وهي
بشارة للاسلام وانذار ووعيد لبني اسرائيل وان هذه البشارة للاسلام انما
هي بشارة بجميع هذه المعاني التي ينطبق عليها معنى الملك اي الملك الدنيوي
والدنيوي الذي يكون العمل فيه بطاعة الله وانما نزع الله الملك بقسميه من
بني اسرائيل لانهم عملوا فيه بمعاصي الله واختلفوا فيما بينهم فسلب الله
الملك منهم وآتاه للمسلمين فتغلبوا عليهم ووطئوا ارضهم وديارهم وذلك
حين قالوا عن عقيدة راسخة وايمان قوي (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من

تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) واهم كلمة واقوى عقيدة كانوا يتفوهون
 بها قولهم : (بيدك الخير انك على كل شيء قدير) .
 ثم بعد ذلك تفرقت كلماتهم ووقع الخلاف بينهم وعملوا بمعاصي الله
 حتى انا نرى في زماننا ان الخمرور تباع علانية في جميع البلاد الاسلامية
 وكذا الربا رائج في جميع البلاد والقوانين المخالفة للقرآن فلما وصلوا الى
 هذه الدرجة تسلط عليهم عدوهم وسلبوا منهم ارضهم وديارهم حتى ان
 اذل الامم واحقر الامم وهم اليهود نراهم اليوم يناوئون قسما من الاسلام
 والقسم الآخر متفق معهم وهذا من اكبر الكبائر كما تسمعه في الآية التي
 بعد هذه الآية فانظرها قريبا فاذا اراد المسلمون ان يعودوا الى قوتهم
 وشوكتهم ويرجع اليهم ملكهم ويرجع اليهم عزهم وتعود اليهم هيبتهم
 فليتمسكوا بالآية الشريفة قولا وعملا وليقولوا : (اللهم مالك الملك تؤتي
 الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك
 الخير انك على كل شيء قدير) .

أما الآية السابعة والعشرون وهو قوله : (يواج الليل في النهار ويواج
 للنهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويرزق من يشاء بغير
 حساب) فانما يتعلق بموضوع البحث قوله : (يخرج الحي من الميت ويخرج
 الميت من الحي) على القول بان الحي والميت هما المؤمن والكافر والظاهر
 ان هذا القول اقوى من غيره فانه وارد عن اهل البيت وهم اعلم بتفسير
 للقرآن من غيرهم وكذا يتعلق بموضوع بحثنا قوله تعالى : (ويرزق من
 يشاء بغير حساب) فان الرزق يعم الأموال الدنيوية والأخرية وهو العلم
 والحكمة فان الله رزق نبينا محمد (ص) جميع العلوم التي اعطاها لسائر
 الانبياء من آدم الى زمانه فهو اعلم الانبياء وافضلهم واشرفهم ومع هذه
 العلوم التي اعطاها الله امره ان يطلب منه للزيادة بقوله : (وقل ربي زدني

علما) ولا ريب ان الله لما امره بهذا الدعاء وهذا الطالب يريد ان يزيد
علما فهو يستجيب له كلما طالب منه والذبي لا يطلبه مرة واحدة بل في كل
يوم أو في كل ساعة يقول ربي زدني علما ، وهو القائل كما روت عنه عائشة
(اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقرني الى الله تعالى فلا بورك لي في
طلوع الشمس ذلك اليوم) اذا عرفت مقدار علم النبي (ص) (ولم تعرفه
ولن تعرفه) فاعلم ان هذه العلوم كلها اودعها عند علي بن أبي طالب (ع)
كما جاءت بذلك الروايات الصحيحة :

ويكفي في علم علي (ع) قوله علمني رسول الله الف باب : . الحديث
فتكون ابواب العلم باصطلاح هذا العصر مليون باب ، هذا عدد الأبواب
ولا ريب ان كل باب تفتح عن مدينة ثم ان امير المؤمنين اودع هذه العلوم
الى الخلفاء الأحد عشر من بعده كل امام يودعها عند الامام الذي يليه
حتى وصلت الى الامام الثاني عشر عجل الله فرجه :

واما فضل هذه الآية قال في مجمع البيان عند ذكر الآية روى جعفر
ابن محمد عن آياته عن النبي (ص) انه قال لما أراد الله ان ينزل فاتحة
الكتاب وآية الكرسي وشهد الله ، وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير
حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يارب تهبطنا
الى دار الذنوب والى من يعصيك ونحن معلقات بالظهور والعرش ، فقال
الله وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلاة مكتوبة الا اسكنته
حضيرة القدس على ما كان فيه ، والا نظرت اليه بعيني المكنونة في كل
يوم سبعين نظرة وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة
وإلا اعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنع من دخول الجنة الا ان
يموت : وقال معاذ بن جبل احتبست عن رسول الله يوماً لم أصل معه
الجمعة فقال يا معاذ ما يمنعك من صلاة الجمعة قلت يا رسول الله كان

ليوحنا اليهودي علي اوقية من تبر وكان علي بابي يرصدني فاشفقت ان يحبسني
دونك قال تحب يا معاذ ان يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال :
قل اللهم مالك الملك تؤت الملك من تشاء . . . الى قوله بغير حساب
يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي منها ما تشاء وتمنع منها ما تشاء اقض
عني ديني ، فان كان عليك ملء الأرض ذهب لاداه الله عنك :
قوله تعالى :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك
فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم فتاة ويحذركم الله نفسه والى الله
المصير) (١) : بعدما بين الله عز وجل في الآيات السابقة ان المرء لا يكون
مسلماً حتى يسلم وجهه لله وان تسليم الوجه لا يتحقق حتى يعتقد اعتقاداً
جازماً بأن كل ما في الوجود من ناطق وصامت هو ملك لله تعالى وان
الله هو المعطي والآخذ والمعز والمذل ، وكل ذلك بيده .

فالمسلم هو من توفرت فيه هذه الشروط واتصف بهذه الصفات ،
فالذي لم تكن فيه هذه الصفات لا يكون مسلماً وانما هو كافر والمسلم
يحتاج الى تنظيم أمور دينه والى تنظيم أمور دنياه .
وأما تنظيم أمور الدين فليستمدداً من الله بواسطة النبي المبعوث من
الله عز وجل ولا يتصور ولا يعقل بالنسبة الى أمور الدين المتعلقة بعبادة
الباري والتي تحرز له النجاة في الآخرة ان يختار الانسان ثم ينصبه ويقف
امامه ويعبده فهل يصوب عقلك هذا العمل فهؤلاء الفرق الذين يذكرون
الخلفاء الراشدين كاليزيدية والبهائية وأمثالهم ويختارون رجلاً منهم ويجعلونه
دليلاً لهم في عباداتهم وهو لا يعرف شيئاً من آيات القرآن ، ولا من
سنة النبي وهم يدعون انهم من المسلمين ومن امة محمد (ص) فما أدري

(١) سورة آل عمران ٢٩

كيف وافقت عقولهم على ذلك ولكن ما حالهم الا كحال أولئك الذين
كالوا ينحتون الأصنام ثم يعبدونها ، وهل يحكم عقلك بصحة ما ينسب
للمرسول الأعظم وهو أعقل أهل الأرض والسماء انه قال لامته عند اقتراب
أجله اختاروا لكم خليفة كيف يقول والخليفة يلزمه العلم بتفسير القرآن
وتأويله : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) وقد عرفت من
هم الراسخون في العلم فيما مر من تفسيرها .

وبناء على ان الملك في قوله تعالى : (مالك الملك) هو ملك الدنيا
والآخرة فلا يمكن للمسلم ان يستند على القوانين الدينية إلا المأخوذة من
النبي أو من عينه النبي . واما بالنسبة الى ملك الدنيا فقد عرفنا من تفسير
آية الملك ان المسلم هو المعتقد بان مالك الكل هو الله وانه هو الذي يؤتي
الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ، وانه هو المعز والمذل ، وان الخير كله
بيده فيكون المسلم هو المعتقد بان خير الدنيا والآخرة بيد الله واشاءته
وإرادته وان العزة والذلة بيد الله فلا ينهيه له ان يأمل من مخلوق خيراً
أو ملكاً أو مالا أو عزاً اذ ليس بيد احد شيئاً .

نعم إذا كان المأمول منه ولياً من اولياء الله يمكن للمسلم ان يطلب
منه الدعاء والطلب من الله ان يقضى حاجته ، اما إذا كان كافراً فالمسلم
الخواوي على شروط الاسلام لا يمكن ان يوليه أو يأمل منه النفع وهذا
هو الذي بينه لنا الله بصيغة النهي عن موالة الكافرين ، فلو ان واحداً
أو جماعة من المسلمين والوا للكافرين فهذه الموالة تكشف عن عدم رسوخ
الاسلام في قلوبهم وقد اخبر الله عنهم بقوله : (ومن يفعل ذلك فليس
من الله في شيء) عرفنا هذه الجملة ان الله بريء منهم وان الاسلام بريء
منهم وان المسلمين يريثون منهم وأنه هو بعيد عن الله وعن الاسلام وعن
المسلمين لا ربط له بهم ولا صلة بينه وبين الله ولا بين الاسلام والمسلمين
نعم قد استثنى الله صورة واحدة وهي إذا كان المسلم بين جماعة من الكافرين

وكان يخشى منهم على نفسه أو ماله أو اذى يوقعونه به فله ان يظهر لهم
الموالة بحسب الظاهر ويعاديتهم في الباطن :

ثم بعدما بين الله منزلة الموالي للكافر بهذه الجملة الشديدة التي سمعتها
حذره وهدده بجملة أخرى هي في الشدة كسابقتها فلا يتحمل مسلم احدى الجملتين
فضلا عن تحملها معاً والجملة الثانية هي قوله تعالى : (ويحذركم الله نفسه)
اي ان الله بعدما نهى عن موالة الكافرين وبين لكم انهم لا فائدة عندهم
وان فوائد الدنيا والآخرة بيد الله وبين لكم ان الموالي لهم هو خارج عن
جماعة المسلمين فهو يجري عليه أحكام الكافرين في كل الأمور وان الله
لا يعينه ولا يساعده ولا يعطيه الا ما يعطي سائر الكفار فهو في الجملة
الاولى قد خرج من جملة المسلمين ، وبالجملة الثانية نبهه الله ان ضرره على
المسلمين اكثر من ضرر الكفار لأنه يظهر الاسلام وينافق فقد حذره الله
من ان يبطش به في الدنيا ولا يؤخره إلى عذاب الآخرة كسائر الكفرة
اذ بوجوده ضرر على المسلمين ، فيلزم اعلام المسلمين به ليحذروا منه
فاذا علمهم به لا بد وان ينتقمون منه بسلب الاموال وطمس التنكيل به بانواع
العذاب ، ولا ينتهي الأمر بهذا العذاب الدنيوي الذي يوقعه به البشر بل
انذره الله بالعذاب الآخروي بجملة ثالثة وهي قوله : (وإلى الله المصير)
فيلزمك ان تقرأ وتتطلع في الجملة على ما اعده الله من العذاب في الآخرة
للكافرين ثم تنصف نفسك وترحمها :

قوله تعالى :

(قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات
والارض والله على كل قدير) (١) لما بين الله في الآيات المتقدمة شروط
الاسلام اللازمة وشرح لنا الصفات التي يلزم المسلم الاتصاف بها وبين ان

(١) سورة آل عمران ٣٠ .

الشرط الاخير هو مهابة الكافرين وعدم موالاتهم انما يدور اسلام المرء عليه وجوداً وهدماً فمن والا هم فهو ليس بمسلم ، والمسلم هو من لم يواهم : ذكر في هذه الآية ان عدم الموالات انما يلزم ان يكون في الظاهر والباطن وانكم اذا قاطعتموهم في الظاهر وواليتموهم في الباطن فان الله عالم بقلوبكم وصدوركم وظاهركم وباطنكم والأقرب والأنسب ان يكون هذا بالنسبة الى جميع الشروط فمن لم يعتقد بان الملك بيد الله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولم يعتقد أنه يعز من يشاء ويذل من يشاء ومن لم يعتقد بأن الخير كله بيد الله ومن لم يعتقد بان الله هو الذي انتزع الملك من بني اسرائيل وجعله في قريش في بني هاشم في بني عبد المطلب في رجال عينهم الله وميزهم والهمهم العلم والحكمة حيث ان النبي نوه عنهم وسماهم فان كل صنف من هؤلاء الاصناف اسلامه غير مقبول عند الله إذ انه لم يسلم وجهه لله كما اسلم للنبي ومن اتبعه فقولته تعالى : (قل ان تحفوا ما في صدوركم . . . الآية) انذار لكل من تسمى بالمسلم ففقد احد الشروط لان الله يريد اسلاماً حقيقياً بالمعنى الذي عرفه لنبه (ص) وسنه النبي بقوله اسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، فمن اراد متاهة الرسول فليحذوا حذوه وليتبع اثره فانه غير خفي على للصبير المتتبع (قد تبين الرشد من الغي) .
قوله تعالى :

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد) (١) : لما تبين من الآية للسابقة ان الله عز وجل يعلم ما تنطوي عليه الصدور من النيات كما يعلم ما هو المكشوف من الاعمال وانه لا فرق عنده بين الظاهر والمستور كما انه يعلم جميع ما في السماوات والارض ولم تنعرض الآية

(١) سورة آل عمران ٣١ :

لاكثر من هذا فان اهل القلوب المريضة والنيات الخبيثة والسرائر الفاسدة وهم الذين يفقدون بعض شروط الاسلام المهمة لاسيما الشرط الاخير وهو مقاطعة الكافرين وعدم موالاتهم انهم بعد سماعهم الآية لعلمهم يقولون او ان الله علم ما يخفى واطلع على نياتنا فهذا لا يضرنا ما دام المسلمون لا يعلمون شيئاً منها ، فنحن نعاشرهم كما يعاشرهم غيرنا ونحصل على ما يحصل عليه غيرنا وان اصحابنا للكافرين أو المنافقين يعلمون بنا بأننا لسنا مسلمين فليكن حالنا مكشوفاً عند الله مستوراً عند المسلمين وحيث ان الاسلام بشروطه وصفاته هو خير محض وان التظاهر به مع فقدان بعض الشروط بهذه النية السيئة هو سوء محض فقد بين الله سبحانه في هذه الآية ان ما عليه المرء في دار الدنيا من خير او سوء فسوف يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجسم له هناك وكل امرء يجازى بما كان عليه في الدنيا من خير أو سوء فان وجد خيراً يسر به وان وجد سوءاً بود في ذلك اليوم ان يكون بينه وبين ذلك سوء امدأ بعيداً ما بين الارض والسماء ، او كعبد ما بين المشرق والمغرب ولكن لا ينفعه هذا التمني شيئاً :

فهذه الآية فيها اتمام الحجية على كل من تظاهر بالاسلام وهو فاقد لبعض شروطه ، اما في هذا العصر وهو قرن الرابع عشر اذا لم تعرفه فنقول لك قرن العشرين فان اغلب المسلمين يوالون الكفار ويكونون عيوناً لهم على المسلمين فترى كل فرقة عيناً على الفرقة الأخرى نسأل الله تعالى ان يبدل ما نحن فيه من فقدان الشروط وان يجعلنا مسلمين كاملين الايمان وان يعزنا بعزه الله ارحم الراحمين :

ثم بعد ما بين الله لعباده ان اعمالهم الحسنة والسيئة ستكون حاضرة عندهم وسيجازون عليها وان عامل سوء يود في ذلك اليوم ان يكون بينه وبين عمل سوء امدأ بعيداً وهذا قال تعالى: (ويحذركم الله نفسه)

فان الله قد حذر بنفسه لانه قد بعث افضل الانبياء بغير الأديان واختار
له اشرف الشرايع فجاهد النبي في نصرة هذا الدين وصرف عمره في جد
وتعب حتى اسلم جماعة من امته طوعاً وكرهاً وبعد ذلك تحركت هذه الفرقة
المولية للكافرين وهي تريدان تكشف للكافرين مواقع الخلل من المسلمين
وتساءلهم على حرب المسلمين ليخرجوهم عن دينهم فانهم بعملهم هذا
يريدون محاربة الله ولذا حذرهم الله بنفسه حيث انه لا يغالبه احد وهو على
كل شيء قدير :

ثم بعد ذلك اعلمهم لو كانوا يعلمون وافهمهم بان هذا التحذير
المؤكد المكرر انما هو لرأفته بهم ورحمته لهم فانه لا يريد لهم إلا الخير وقد
بين لهم كل ما يجلب الخير فقال تعالى : (والله رؤوف بالعباد) ولو لم
يكن من فضل الله على عبده إلا هذه الكلمة المتكفلة بالوعد برحمة للعباد
لكان اللازم على العهد للعاقل ان يطيع الله ولا يعصيه ولكن الانسان جهول
قوله تعالى : -

« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذلوبكم والله
غفور رحيم » (١).

هذه الآية الشريفة تأخذ الانسان من جميع جوانبه ولا تترك له مجالاً
للجواب عما يذهب اليه من المذاهب والفرق الثلاث والسبعين الا طريقاً
واحداً الى الفرقة الحقة التي تتمسك بأقوال النبي (ص) في حياته وبعد
وفاته على ما أمر به فاستمع الى الآية وافهم معناها ولا تعرض عنها ولا
تجعل نفسك من الجاهلين الذين لا يفهمون الكلام العربي ان هذه الآية
تقول للناس جميعاً ان من احب الله (وكل يدعي حب الله) فاليهود يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه والنصارى يقولون نحن نؤله عيسى حباً لله لانه ابن

(١) سورة آل عمران ٣٢ ،

الله وعبدة الأصنام من العرب وغيرهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله
زلفى وذلك حباً لله ومن احب الله طلب رضاه ولا يحصل رضاه الا بعبادته
وقد أمر الله ليه ان يقول للناس عامة ان كنتم تحبون الله وتطلبون رضاه
فانه لا يرضى عنكم ولا يحبكم وان عبدتموه وان صليتم وصمتم وفعلمت كل
عبادة إلا ان تكون طاعتكم وعبادتكم عن طريق اتباع النبي وتعليمه المأخوذ
عن الله ، ولا تنفع العبادة اذا كانت عن رأيك كما ذكرت لك عن قريب
فالأية الشريفة تامر النبي : (قل ان كنتم تحبون الله فانبعون بحببكم الله)
أندري كيف تكون من اتباع النبي انه بين لك ذلك قبل عدة آيات بقوله :
(فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن) فان اسلمت وجهك
لله كنت من اتباع النبي وصرت مسلماً وان لم تتبعه فان الله لا يحبك ولا
يرضى عنك وان صليت وصمت وتصدقت وفعلمت ما فعلت الا باتباع النبي
تأخذ دينك عن الله لا عن رأيك وقد عرفت ان تسليم الوجه هو عبارة
عن الانقياد والخضوع والعمل طبق امره ونهيه وعدم المخالفة في اقل شيء
ولا يخفى على كل عارف ان النبي قد عين لنا من لرجع اليه بعد موته
بقوله (اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي) وفي رواية
(اني مخلف فيكم ما ان تمسكنم بهما لن تضلوا بعدي أبدا) وان هذه الجملة
قد رواها عن النبي جميع الفرق ، وقد تكررت من النبي في مجالس عديدة
فما أدري ان التارك لهذه الجملة وغير العامل بمضمونها هل هو من اتباع
للنبي او أنه مفارق له في هذا المقام .

تأمل جيداً وانصف نفسك ان المفسرين للقرآن اذا وصلوا الى هذه
الآية تراهم يشددون الأمر في وجوب متابعة النبي والعمل بما يأمرهم ولكنهم
لا يذكرون لنا من للذي يفسر لنا للقرآن تفسيراً حقيقياً ولا يذكرون من
هو اعلم اصحاب النبي واقضاهم هارشاد ودلالة من للنبي فهل ان للتكليف

سقط عنا بعد النبي (ص) او ان اصحابه صار كلهم علماء لا يحتاجون
احداً في حل المشاكل فلو فرض ذلك : فمن لأولادهم واحفادهم ؟
يقول ابن كثير في تفسيره (ج ١ ص ٣٥٧) هذه الآية للكرامة
حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فانه
كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي
في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله انه قال (من
عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) انتهى ،

وقال السيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) ج ٣ ص ١٧٤
عند ذكر الآية ان حب الله ليس دعوى باللسان ولا هيأماً بالوجدان الا
ان يصاحبه الاتباع لرسول الله والسير على هداة وتحقيق منهجه في الحياة
وان الايمان ليس كلمات تقال ولا مشاعر تجيش ، ولا شعائر تقام ولكنه
طاعة الله والرسول وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول . انتهى :

نوجه السؤال الى السيد قطب ونقول ان منهج الله الذي كان يحمله
الرسول في حياته من يحمله بعد وفاته بحيث يتمكن من تطبيقه حرفياً لا يفوته
منه شيء بأن يكون عالماً بتفسير القرآن كله والسنة النبوية فهل يوجد احد
يمكنه هذه الدعوى غير علي بن أبي طالب (ع) مدينة العلم ومسيد اهل
بيته الذين جعلهم عدلاً للقرآن فهل يكون غض للنظر عن هذا الامر المهم
موافقاً لمنهج الله او مخالفاً له :

قوله تعالى :

« قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين » (١)
هذه الآية يكون بها الامتحان الخارجي الذي يتبين بها المسلم من
الكافر فان الله امرهم بالآية التي قبلها باتباع الرسول ، والاتباع وان كان

(١) سورة آل عمران ٣٣ :

مهما شديداً دقيقاً يستدعي متابعة النبي (ص) في الافعال والاقوال ولكن
 يتمكن للذي يريد المخالفة ان يقول انا متابع له وكل شيء افعله اوسأفعله
 في بيتي ولكن في هذه الآية طلب الله من النبي ان يأمر بالاطاعة وامتنال
 الأمر فلا يتمكن من يريد الخلاف ان يعتذر بالتسوية ويقول سأفعل اوسوف
 افعل لان الامر بالاطاعة فعل كل شيء هو ففته فعلا كان او قولاً وهذا الأمر
 ممتد المفعول الى زمان انتقال النبي الى الله والى زماننا هذا فلو كانت
 الطاعة من جميع الامة محقة لما وقع الخلاف الذي رأيناه بعد رحلة النبي
 ولما وقع الظلم العظيم على أهل بيته الذي جعلهم عدلاً للقرآن اذ قال (ص)
 (سوف اسائل الامة عما فعلوا بأهل بيتي) يسائل كل فرقة عما فعلته مع
 عدل القرآن لأنه هو الذي قال : (ان القرآن والعترة لا يفرقان حتى يردا
 علي الحوض واني سائلكم عنهما اذا وردتم علي الحوض) فعلى هذا فانه
 سوف يسأل كل فرقة عنها اذا وردت عليه الحوض فمن تمسك بهما سوف
 ينجو من هول ذلك اليوم ومن لم يتمسك بهما فان النبي سيعرض بوجهه
 عنه ولا يسقيه من حوضه لان السافي على الحوض هو نفس علي بن أبي
 طالب (ع) يسقي بأمر النبي وهو يعرف من والاه وتمسك به ويعرف من
 لم يواله ولم يتمسك به والنبي (ص) ايضاً يعرفه والمؤمنون المسلمون الذين
 تمسكوا به يعرفون غير المتمسكين والملائكة تعرفهم وإضافة الى هذا سيجد
 عمله مكتوباً في صحيفته والله خير الشاهدين « فان تولوا فان الله لا يحب
 الكافرين) : -

وبعد هذا كله نسأل سيد قطب وابن كثير ان الذي ترك حديث
 الثقلين واهمله ولم يرتب أثراً لهذا الاهتمام الذي اهداه الرسول في نشر هذا
 الحديث وابلغ الأمة به فهل هذا الرجل عامل بمنهج الله الذي حملة الرسول
 الى الناس اجمع وهل انه متبع للشرع المحمدي والدين النبوي في جميع افعاله

واقولله ولا يمكن ان يقال انه لم يطلع عليه لانه من اهل العلم والاطلاع
كسيد قطب وابن كثير .

قال العلامة البلاغي رحمه الله في كتابه آلاء الرحمن ص ٢٧٥ عند
ذكر هذه الآية : « واخرج ابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في
مستدرکه وعلى شرط البخاري ومسلم وعن ابن حبان في ابواب السنة والعلم
ونحو ذلك باساليدهم عن أبي رافع عن رسول الله (ص) قال : « لا للفين
أحدكم متكئاً على اريكته يأتيه الأمر من امري مما امرت به اولهيت عنه
فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » .

قوله تعالى :

« ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين .
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » (١).

بعد ان بين الله لعباده ان اعمالهم التي يعملوها له وعباداتهم التي
يعبدوه بها انه لا يقبلها منهم إلا أن تكون بواسطة النبي وارشاداته وتعاليمه
وان كل عمل يعمل به المرء المحب لله وان تفادى في حبه اذا لم يكن متبعاً
لنبيه واخذ احكام دينه منه فلا فائدة في اعماله ولا يحبه الله ولا يرضى
عنه وفي هذه الآية قد بين الله لنا ان الانبياء والأوصياء للذين يكونون
واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ احكام الله الى الخلق ليسوا كسائر الناس
في كل شيء فهم لا يخطؤون ولا يذنبون ولا يسهون ولا يعصون الله طرفة
عين ولا يفعلون شيئاً لا يريد الله لان الله اصطفاهم وصفاهم من كل
كدر ومن كل سوء ومن كل شين ، صفاهم من كل عيب صفى جميع
الانبياء اولهم آدم (ع) وآخرهم محمد (ص) وهو من آل ابراهيم فلا
يشبههم احد من العالمين ولا يتمكن احد أن يكون مثلهم في الاعمال او في

(١) سورة آل عمران ٣٤ / ٣٥ .

الأخلاق اوفي الصفات التي يتمكن الانسان من اكتسابها والتخلق بها فكيف له بالنسبة إلى العلم الالهامي الذي لا يكون الا بإرادة الله وقدرته وان الله خلق البياض من اول خلقهم خالصين من كل كدر وعيب يكون في غيرهم خلقهم انواراً فجعلهم بهرشة محذقين :

فقد روى جميع الصحابة اخباراً كثيرة ان النبي (ص) قال خلقتي الله وعلي بن ابي طالب من نور قبل ان يخلق آدم بالفي عام فكنا لسبح الله ونهله في ساق العرش فلما خلق آدم قذفنا في صلبه .: الخ :

(ذخائر للعقبى) ص ١٠ قال عن وائل بن الأسقع قال : قال رسول الله (ص) ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واتخذ خليلاً واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ثم اصطفى من ولد اسماعيل زاراً ، ثم اصطفى من ولد زار مضراً ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشاً ثم اصطفى من قريش بني هاشم ، ثم اصطفى من بني هاشم بني عبدالمطلب ثم اصطفاني من عبد المطلب :

(ثم قال) اخرجه بهذا السياق ابو القاسم حمزة بن يوسف للسهمي واخرجه مسلم والترمذي وابو حاتم مختصراً ولما عرفنا الله في الآية السابقة انه لا يقبل شيئاً منا الا باتباع النبي لانه هو العارف باحكام الله فقط وهذا في زمن وجوده يتحقق وما بعد رحلته فلا يمكن ان نجبرنا احد عن حكم الله إلا من كان مثل النبي خالصاً من كل كدر مصفى من كل دنس قد اصطفاه الله واستخلصه من ابراهيم خليله ولا يوجد أحد بهذه الصفات إلا علي بن ابي طالب اذ ان اغلب اصحابه بل كلهم الا من شذ قد سجدوا للاصنام وعبدوا الاوثان إلا علي كرم الله وجهه هذا مضافاً الى علمه وكرمه وشجاعته وجمعه للصفات الحميدة فليس لاحد ان يجعل للواسطة بينه وبين الله من سائر الناس بعد ان اعتبر الله في المبلغ ان يكون من المصطفين

الخالصين وان يكون من ذرية ابراهيم الذين لم يتلمسوا بظلم ولم يصدر منهم
ذنب ، وقد بين الله ذلك لابراهيم وذلك لما قال له (اني جاعلك للناس
اماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدى الظالمين) فقد جعل الله الامامة
في ذريته للذين لم يظلموا احداً ولم يظلموا انفسهم وأي ظلم اعظم من
السجود للاصنام فلا يجوز لمن سجد للصنم ان يجعل اماماً وواسطة لتبليغ
الأحكام :

أما الذي يختاره بعض الناس ولم ينصبه الله ولا الرسول فهو فاقد
لجميع الشروط .

ثم ان بعض المفسرين الذين يكتبون ولا يدرون ما يكتبون وان نفوسهم
تأبى ان تكون الخلافة والامامة في آل محمد (ص) وآل ابراهيم وان اراد
الله ورسوله ذلك ومن جملة هؤلاء سيد قطب فانه يقول في كتابه (ظلال
القرآن) ج ٣ ص ١٨٠ نص عبارته :

(يبدأ هذا القصاص ببيان من اصطفاهم الله من عباده واختار لحمل
الرسالة الواحدة بالدين الواحد منذ بدء الخليقة ليكونوا طلائع الموكب
الايماني في شتى مراحلها المتصلة على مدار الاجيال واللقرون فيقرر أنهم ذرية
بعضها من بعض) :

ثم يقرر سيد قطب اصلاً لا يوافقه عليه اهل اللغة فيقول المرصن ابعاد
الخلافة عن آل محمد من ذرية ابراهيم يقول بعد كلامه المتقدم :- (وليس
من الضروري ان يكون ذرية للنسب وان كان نسب الجميع يلتقي في آدم
ونوح فهي اولاً رابطة الاصطفاء والاختيار الإلهي ونسب هذه العقيدة والموصول
(في ذلك الموكب الايماني الكريم) ثم يقول بعد سطرين ص ١٨١ ولقد ذكر
السياق آدم ونوحاً فردين وذكر آل ابراهيم وآل عمران اسرتين اشارة الى ان آدم
بشخصه ونوحاً بشخصه هما اللذان وقع عليهما الاصطفاء فأما ابراهيم وعمران

فقد وقع الاصطفاء لها ولذريتها كذلك على القاهدة التي تقررت في سورة البقرة
عن آل ابراهيم قاعدة ان وراثة النبوة والبركة في بيته ليست وراثة للدم انما
هي وراثة العقيدة ان المقصود من اخفاء ما في النفس هو ما يعزم عليه العبد
من المعاصي ولكن لم يظهره للناس وليس المقصود منه كل ما يخرج بالنفس
من الوسواس الشيطانية ثم نزول في حينها فان هذا مما لا يعاقب عليه كما
ورد في الاخبار ويؤيده حكم العقل حيث ان هذا غير اختياري للسان
ولا يمكنه دفعه عن نفسه فالاقرب والأولى في معنى الآية ان المقصود ممن
يخفى هو المنافق الذي يخالف ظاهره باطنه وهم الذين اظهروا ما في انفسهم
بعد النبي فانقلبوا على اعقابهم فان الله يحاسبهم على ما كانوا يكتُمونه في
وجود النبي وهم عازمون على اظهاره بعده فالآية واردة في مقام التهديد
والترهيب وللنخوف فانه تعالى بعد ما بين لنا جملة من احكام للصدقة والرها
والدين والاشهاد عليه واداء الشهادة عرف اهل القلوب المريضة الذين يظنون
ان الاعتراف باللسان والانكار في القلب كاف وبين لهم ان هذا لا يفيدهم
شيئا وان الله يحاسبهم على ما انطوت عليه قلوبهم من نياتهم السيئة المخالفة
لأوامر الله وكذا تكون الآية مقدمة لما يأتي من ان الايمان هي السمع والطاعة
وان الصماع وحده لا يحقق الايمان وعلى هذا فلا يمكن ان يكون قوله :
(لا يكلف الله نفسا الا وسعها) نسخا لهذه الآية فانه لم يحقق التكليف
بغير الوسع والطاقة حتى يأتي نسخته هذا بالنسبة الى ناوى العصيان وأما
بالنسبة الى ناوى للطاعة فالآية تكون ترغيبا ووعدا وبشارة بان الله عالم
بهذه النية الحسنة وانه يحاسبه عليها كما ورد في الاخبار بان ناوى الحسنة
اذا لم يعملها تكتب له واحدة والعامل يكتب له عشرة ؛
وهذا رأيه بعيد عن ظاهر الآية وان اشتغال الآية على كلمتي الآل
والذرية يكشف عن ان المراد ذرية للمسب ، نعم لولا وجود هاتين للكلمتين

لامكن الحمل على الاتحاد في العقيدة وذلك كقوله تعالى : (المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون
أيديهم لسوا الله فنسبهم ان المنافقين هم الفاسقون) الى آخر الآيات :

ثم لو سلمنا ما يقول من ان المقصود الاتحاد في العقيدة والايان وللعلم
والتقى والزهد الى آخر الصفات فهل هناك احد اشبه برسول الله (ص)
من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) لا يمكن لأحد يدعي ذلك إلا
مكابرة مجازفة ويؤكد مما قلناه قوله تعالى : (ذرية بعضها من بعض والله
سميع عليم) فان جعل بعضها من بعض ينطبق على النسب لا على العقيدة
ذكر في العيون في حديث الرضا مع المأمون قال المأمون هل فضل
الله العترة على سائر الناس فقال ابو الحسن (ع) ان الله ابان فضل العترة
على سائر الناس في محكم كتابه فقال له المأمون اين ذلك من كتاب الله
فقال له الرضا في قوله : (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم على
العالمين ذرية بعضها من بعض) الى آخر الحديث :

وروي عن الصادق (ع) قال : قال محمد بن الأشعث بن قيس
الكندي للحسين (ع) يا حسين بن فاطمة اية حرمة لك من رسول الله
ليست من غيرك ؟ فتلى الحسين (ع) هذه الآية : (ان الله اصطفى آدم
ونوحاً وآل ابراهيم على العالمين ذرية بعضها من بعض) ثم قال والله ان
محمدأ (ص) لمن آل ابراهيم وان العترة الهادية لمن آل محمد (ص) :

نور الثقلين ج ١ ص ٢٧٤ رقم الحديث ١٠٢ .

في أصول الكافي علي بن ابراهيم عن أبيه عن الحسن بن ابراهيم عن
يونس بن هشام بن الحكم في حديث بربه (هو رجل من النصارى) لما
جاء معه الى أبي عهد الله فلقى أبا الحسن موسى بن جعفر (ع) فحكى

له هشام الحكاية فلما فرغ قال ابو الحسن لبرية يا برية كيف علمك بكتابتك ؟
قال انا به عالم .

ثم قال كيف ثقمتك بتأويله ؟ قال ما أوثقتني بعلمي فيه ، قال فابتدأ
ابو الحسن (ع) يقرأ الانجيل فقال برية إياك كنت اطلب منذ خمسين
سنة او مثلك ، قال فأمن برية وحسن ايمانه وآمنت المرأة التي كانت معه
فدخل هشام وبرية والمرأة على أبي عبد الله (ع) فحكى له هشام الكلام
الذي جرى بين أبي الحسن موسى وبين برية ، فقال ابو عبد الله (ذرية
بعضها من بعض والله سميع عليم) فقال برية : إني لكم للتوراة والانجيل
وكتب الأنبياء ؟ قال هي عندنا وراثه من عندهم نقرأها كما قرأوها ونقولها
كما قالوا ان الله لا يجعل حجة في ارضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري .
قال الفخر الرازي عند ذكر هذه الآية في تفسيره الكبير ج ٨ ص ٢٢ :
المسألة الثانية اصطفى في اللغة : اختار ، فعنى اصطفاهم أي جعلهم
صفوة خلقه تمثيلا بما يشاهد من الشيء الذي بصفى وينقى من الكدورة ،
ويقال على ثلاثة اوجه صفوه - وصفوه - وصفوه . ونظير هذه الآية قوله
لموسى (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي) وقال في ابراهيم واسحاق
وبعقوب (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) اذا عرفت هذا فنقول
في الآية قولان :

الأول : المعنى : ان الله اصطفى دين آدم ودين نوح فيكون الاصطفاء
راجعا الى دينهم وشرعهم وملتهم ويكون هذا المعنى على تقدير حذف المضاف :
الثاني : - ان يكون المعنى ان الله اصطفاهم أي صفاهم من الصفات
الذميمة وزينهم بالخصال الحميدة وهذا القول أولى لوجهين احدهما أنا
لا نحتاج فيه الى الاضمار والثاني انه موافق لقوله تعالى :
(الله أعلم حيث يجعل رسالته) :

وذكر الخليمي في كتاب المنهاج ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
لا يد وان يكونوا مخالفين لهم في القوى الجسمانية والقوى الروحانية ،
أما القوى الجسمانية : فهي اما مدركة واما محركة ، اما المدركة فهي اما
الحواس الظاهرة واما الحواس الباطنة اما الحواس الظاهرة فهي خمسة .
أحدها القوة الباصرة ولقد كان الرسول مخصوصاً بكامل هذه للصفة
ويدل عليه وجهان :

الأول قوله صلى الله عليه وآله « زويت لي الأرض فاربت مشارقتها
ومغاربتها » :

والثاني قوله (صلى الله عليه وآله) « أقيموا صفوفكم وتراصوا
فاني أراكم من وراء ظهري » ونظير هذه القوة ما حصل لابراهيم وهو
قوله تعالى : (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) ذكروا
في تفسيره انه تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت من الأعلى
والأسفل .

قال الخليمي رحمه الله : وهذا غير مستبعد لان البصراء يتفاوتون
فروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام فلا يبعد
ان يكون بصر النبي أقوى من بصرها .

وثانيها القوة السامعة : وكان (ص) أقوى للناس في هذه القوة
ويدل عليه وجهان أحدهما قوله (ص) اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها
موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى فسمع اطيح السماء ، والثاني انه
سمع دويماً وذكر انه هوي صخرة قذفت في جهنم فلم تبلغ قعرها الى الآن
قال الخليمي ولا سبيل للفلاسفة الى استبعاد هذا فالهم زعموا ان فيثاغورث
راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك ونظير هذه القوة لسليمان (ع) في
قصة النمل (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) فالله تعالى اسمع

سليمان كلام للنمل وأوقفه على معناه وهذا داخل أيضاً في باب تقوية الفهم
وكان ذلك حاصلًا لمحمد (ص) حين تكلم مع الذئب وسمع البعير .
وثالثها تقوية قوة الشم كما في حق يعقوب فان يوسف لما أمر بحمل
قميصه إليه والقائه على وجهه فلمسا فصلت العير قال يعقوب اني لأجد
ريح يوسف فأحس بها من مسيرة أيام .

ورابعها تقوية قوة الذوق كما في حق رسول الله (ص) حتى قال
ان هذا الذراع يخبئني انه مسموم .

وخامسها تقوية القوة اللامسة كما في حق الخليل (ع) حيث جعل الله
تعالى النار برداً وسلاماً عليه .

فكيف يستبعد هذا ويشاهد مثله في السمندر والنعامة : واما الخواص
الباطنة فمنها قوة الحفظ قال الله تعالى : (سنقرئك فلا تنسى) ومنها قوة
الذكاء قال علي (ع) علمني رسول الله (ص) الف باب من العلم واستنبطت
من كل باب الف باب فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي
صلى الله عليه وآله ؟ .

واما القوى المحركة فمثل عروج النبي الى المعراج وعروج عيسى حياً
الى السماء ورفع ادريس والياس على ما وردت به الاخبار : وقال الله تعالى :
(قال السذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك) (١) .

واما القوى للروحانية العقلية : فلا بد وان تكون في غاية الكمال ونهاية
الصفاء واعلم ان تمام الكلام في هذا الباب ان النفس القدسية النبوية مخالفة
بماهيته لسائر النفوس ومن اوازم تلك النفس الكمال في الذكاء والفضيلة
والحرية والاستعلاء والترفع عن الجسمانيات والشهوات فاذا كالت الروح في

(١) سورة النمل ٤٠

غاية الصفاء والشرف وكان الهدن في غاية النقاء والطهارة كانت هذه للقوى
الحركة والمدركة في غاية الكمال ، لانها جارية مجرى أنوار فائضة من جوهر
الروح واصلة الى الهدن ومتى كان الفاعل والقابل في غاية الكمال كانت
الآثار في غاية القوة والشرف وللصفاء اذا عرفت هذا فقولته تعالى : (ان
الله اصطفى آدم ونوحاً) معناه ان الله اصطفى آدم أما من سكان العالم
السفلي على قول من يقول الملك افضل من للبشر أو من سكان العالم العلوي
على قول من يقول البشر أشرف المخلوقات .

ثم وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من أولاد آدم (ع) هم
شيث واولاده الى إدريس ثم الى نوح (ثم) الى ابراهيم ثم حصل من
ابراهيم شعبتان اسماعيل واسحق فجعل اسماعيل مهبطاً لظهور الروح القدس
لمحمد (ص) وجعل اسحق مهبطاً لشعبتين يعقوب وعيسو ، فوضع النبوة
في نسل يعقوب ووضع الملك في نسل عيسو واستمر ذلك الى زمان محمد
صلى الله عليه وآله فلما ظهر محمد (ص) نقل نور النبوة ولور الملك إلى
محمد وبقيا أعني للدين والملك لاتباعه الى يوم القيامة ومن تأمل في هذا
الباب وصل الى أسرار عجيبة . انتهى كلام الفخر الرازي .

أقول أيها المسلم الذي يروم الوصول الى رضا الله قد عرفت من كلام
هذا العالم الكبير ان النبي (ص) لا يهد وان يكون اكمل أهل زمانه من
جميع الجهات وعرفت ان الدين والملك قد حصره الله في محمد ولم يعطه
لأحد غيره وان النبي قد جعله في أمرين من بعده وهما الثقل الأكبر والثقل
الأصغر وهما القرآن والعترة اهل بيت النبي وان للقرآن لا يقدر أحد أن
يفسره ويبين تأويله غير أهل البيت علي وبنيه (عليهم السلام) كما ذكرلك
الفخر الرازي من تعلم علي ملبون بهاب من العلم فهل يسوغ لك عقلك أن
تأخذ أحكام دينك من غير علي وبنيه وهل عند أحد من الناس من العلم

عشر معشار ما عنده ، فلينصف العاقل نفسه ولا يتخذها فالها اعز الألفس عليه : قال القمخر الرازي بعد كلامه المتقدم ص ٢٤ المسألة الثالثة : من للناس من قال المراد بآل ابراهيم المؤمنون كما في قوله : (ادخلوا آل فرعون) والصحيح ان المراد بهم الأولاد وهم المراد بقوله تعالى : (اني جاءك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) لعرف من هذا ان الامامة في ذرية ابراهيم الذين لم يصدر منهم ظلم الى الناس ولا الى أنفسهم فن لم يكن مؤمناً حين عرف نفسه كالامام علي (ع) لا يمكن أن يكون اماماً :

(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابننا منا وابناءكم ولساءنا ولساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نهتله فنجهل لعنة الله على الكاذبين) (١) ،

ان قصة المباهلة متفق على مضمونها بين المفسرين : وحاصل القصة هي ما روي ان النصراري لما دعوا الى المباهلة قالوا للنبي حتى ننظر فلما تخالوا أي خلا بعضهم الى بعض قالوا للعاقب ما ترى وكان صاحب للرأي فيهم فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا ، فان أبيتم ألا آلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله (ص) وقد غدا محتضناً الحسين أخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفهم صلوات الله عليهم أجمعين ، والنبي يقول إذا أذا دعوت فأموتوا : فقال أسقفهم : يا معشر النصراري اني لأرى وجوهاً لو سألو الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله . فلا تهاملوا فأبوا المباهلة . فصالحوا على للفني حلة وثلاثين درعاً في كل عام : فقال للنبي (ص) والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنزير ولاضطرم الوادي عليهم ناراً

(١) سورة آل عمران ٦١

ولاستأصل الله نجران وأمله حتى الطير على الشجر :

هذا ملخص قصة المباهلة وقد أكثر فيها المفسرون واطنبوا وذكروا فضلاً كثيراً لأهل بيت نبيهم وفخروا بهم على أعدائهم ويحق للمسلم وإن يعتقد بلهجة محمد (ص) أن يفخر بأهل بيته ، أما الامامية الذين يشترطون العصمة في الخلافة وهم القائلون بإمامة علي بعد النبي فلا فصل : وإن غيره إنما يجوز أن يكون خليفة إذا كان مثله معصوماً من الخلل وإن يكون حاوياً لكل علم بحيث لا يحتاج إلى غيره في شيء من العلوم أبدأ فالهم يستدلون بأفضليته على غيره بهذه الآية من وجهين :

أحدهما : أن موضوع المباهلة إنما هو لتمييز الحق من الميطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوعاً بصحة عقيدته وهو أفضل الناس عند الله بعد النبي (ص) :

الثاني : أنه جعله مثل نفسه بقوله : وانفسنا وأنفسكم « لأنه أراد بقوله أبنائنا الحسن والحسين فلا خلاف وبقوله ونسائنا فاطمة بلا خلاف وبقوله وانفسنا نفسه ونفس علي (ع) فلا خلاف وإذا جعله مثل نفسه وجب إذ لا يداليه أحد في الفضل ولا يقارنه وكذا تدل الآية على أفضلية الزهراء على سائر النساء إذ المقصود من قوله نسائنا هي فاطمة الزهراء فلا خلاف لأنه لم يحضر المباهلة غيرها : وإن المباهلة هي لتمييز الحق من الباطل ولا يكون ذلك إلا بمن هي أفضل النساء ويؤيد هذا بما جاء في الخبر أن النبي قال : فاطمة بضعة مني بريئ ما رابها « وقال النبي (ص) : إن الله يهضب لهضب فاطمة ويرضى لرضاها « وقد صح عن حذيفة أنه قال : سمعت النبي يقول :

أتاني ملك فبشرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت أسر النبي (ص) إلى فاطمة شيئاً فضحكت فسألتهما

فقلت : قال لي : (أنظرهين ان تكوني سيدة نساء هذه الأمة ونساء المؤمنين فضحكت والخبار عن النبي (ص) في فضلها كثيرة وكذا الآية تدل على أفضلية الحسين واني أنقل لك نص عبارة الفخر الرازي في تفسيره الكبير لتعرف ان العالم المنصف لا يبخس أحداً حقه قال في ج ٨ صحيفة ٨٦ :

« المسألة الرابعة » هذه الآية دالة على ان الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله (ص) وعد أن يدعو أهناه فدعا الحسن والحسين فوجب أن يكونا اهليه ، ومما يؤكد هذا قوله تعالى : في سورة الأنعام « ومن ذريته داود وسليمان إلى قوله وزكريا ويحيى وعيسى ، ومعلوم ان عيسى انما انتسب الى ابراهيم بالأم لا بالأب فثبت ان ابن البنت قد يسمى لهناً ثم قال للفخر الرازي :

المسألة الخامسة كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان معلم الاثنى عشرية وكان يزعم ان علياً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد (ص) قال والذي يدل عليه قوله تعالى : « وأنفسنا وأنفسكم » وليس المراد بقوله وأنفسنا نفس محمد لأن الانسان لا يدعو لنفسه بل المراد به غيره :

واجمعوا ان ذلك للغير كان علي بن أبي طالب (رض) فدلت الآية على ان نفس علي (ع) هي نفس محمد ولا يمكن ان يكون المراد منه ان هذه النفس هي عين تلك النفس فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه ترك العمل بهذا للعموم في حق النبوة وفي حق الفضل لقيام الدلائل على ان محمداً كان نبياً وما كان علي كذلك . ولا تعقاد الاجماع على ان محمداً كان أفضل من علي (ع) فيبقى فيها وراءه معمولاً به ثم الاجماع دل على ان محمداً كان أفضل من سائر الأنبياء فيلزم ان يكون

علي أفضل من سائر الأنبياء فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية ثم قال :
ويؤيد الاستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق والمخالف وهو
قوله (ع) من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحاً في طاعته وإبراهيم في
خلقه وموسى في هيئته وعيسى في صفوته فليتنظر الى علي بن أبي طالب (ع)
فالحديث دل على أنه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم وذلك يدل على
ان علياً (رض) أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد وإما سائر الشيعة فقد
كانوا قديماً وحديثاً يستدلون بهذه الآية على ان علياً (رض) افضل من
سائر الصحابة وذلك لأن الآية لما دلت على ان نفس علي مثل نفس
محمد (ص) إلا فيما خصه الدليل وكان نفس محمد أفضل من الصحابة
فوجب ان يكون نفس علي أفضل أيضاً من سائر الصحابة : هذا تقرير
كلام الشيعة (انتهى) كلام الرازي :

وقال الزنجشيري في الكشاف ج ١ صفحة ١٩٣ بعد ما نقل للقصة كما
نقلناها هنا ثم قال « وعن عائشة ان رسول الله خرج وعليه مرط ، مرجل
من شعر أسود فجاء الحسن (ع) فادخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة
فادخلها ثم علي ثم قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت »
انتهى :

وقال ابن كثير في تفسيره ج ١ صحيفة ٢٧٠ : وقال أبو بكر ابن
مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا احمد بن داود المكي حدثنا بشر بن
مهران حدثنا محمد بن دينار عن داود ابن أبي هند عن الشعبي عن جابر
قال : « قدم على النبي للعاقب والطيب فدعاهما الى الملاعنة فواعدها علي
ان يلاعناه للعداة قال فهدا رسول الله (ص) فاخذ بيد علي وفاطمة والحسن
والحسين ثم ارسل اليهما فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج قال : « فقال
رسول الله (ص) والذي بعثني بالحق لو قالوا « لا » لأمطر عليهم الوادي

نارا قال جابر : وفيهم نزلت « ندعو أبنائنا وابنائكم ونساءنا ونسائكم
وانفسنا وانفسكم » قال جابر « انفسنا وانفسكم رسول الله وعلي ابن أبي
طالب وابنائنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة وهكذا رواه الحاكم في مستدرکه
عن علي بن عيسى عن احمد بن محمد الأزهرى عن علي بن حجر عن
علي بن مسهر عن داود بن أبي هند (به) بمعناه ثم قال « صحيح علي
شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا قال :

وقد رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي
مرسلة وهذا أصح وقد روي عن ابن عباس والبراع نحو ذلك انتهى ما ذكره
ابن كثير :

ولا يخفى ان كل من فسر القرآن عند وصوله الى هذه الآية يذكر
هذه القصة ومن الواضح ان المسلم المؤمن بالنبي (ص) اذا سمع مدح أهل
بيت نبيه يفرح بذلك ويسر ويذكره للناس افتخاراً به وان هذه القصة
فيها من المدح العظيم :

اولا ما قاله استقف النصرارى لأصحابه فانه قال لا تباهلوا فاني أرى وجوهاً
لو سألوا الله ان يزيلوا جهلاً لازاله :

وثانياً قول النبي (ص) لو باهلتهم لأحترق عليهم للوادي ناراً ، ثم
ان النبي (ص) قد تحاجج مع جماعات عديدة فهل سمعتم أنه احضر بنته
في مورد من هذه الأحجاجات إلا في هذا المورد حيث إنه مورد مهم
يتوقف عليه تأييد الدين وإني لأعجب من بعض الكتاب أرى له لساناً
قوالاً وقلماً سيالاً واطلاعاً واسعاً لا يمكن ان يفوته حديث روي عن النبي (ص)
وقد ورد عن النبي (ص) في حق علي من احبه فقد احبني ومن ابغضه فقد
ابغضني... وهكذا ورد في حق فاطمة والحسن والحسين فلا عذر من يدعي الاسلام
وهو لا يحب هؤلاء واني نظرت الى ما ذكره هذا الكتاب في تفسيره واذا به قد ذكر

كلمات قليلة ولم يتعرض فيه للقصة او للمعجزة واليك نص عبارته بعد ذكره
 لآية المباهلة قال وقد دعا الرسول (ص) من كانوا يناظرونه في هذه القضية
 الى هذا الاجتماع الحاشد ليهتدل الجميع الى الله ان ينزل لعنته على الكاذب
 من الفريقين فخافوا العاقبة وأبوا المباهلة وتبين الحق واضحاً. انتهى : مقاله
 هذا للكاتب بعدما اطال الكلام في مدح المسيح وأمه واطنب في الثناء على
 مريم وهن أهل لذلك ولكن هذا الكاتب لم ير نفسه أهلاً لمدح أهل بيت
 رسول الله (ص) ولا أهل للثناء على بنت محمد المصطفى واذا اردت ان
 تلظر كلامه بعينك في كتاب ظلال القرآن ج ٢ صحيفة ٢٠٣ طبعه ثالثة
 وانظر العبارة بنفسك لعلك تجد له عذراً في عدم ذكر فضيلة لأهل بيت
 النبي وقد ذكروا من جملة الاسئلة التي سأل المأمون عنها الرضا (ع) قال
 المأمون ما الدليل على خلافة جدك علي بن أبي طالب قال الامام الرضا (ع)
 الدليل على ذلك آية انفسنا اي : لو كان هناك شخص اقرب الى نفس النبي
 من حيث الروحانية والنورانية والصفاء والاصطفاء من علي بن أبي طالب
 لعبر النبي عنه بالنفس ولأخذه معه واهل به إذ المباهلة ينبغي ان تكون
 بأفضل الناس بعد الرسول بحيث لم ينقص عن الرسول (ص) إلا درجة
 النبوة ويساويه في بقیة الصفات الحميدة هذه العبارة تفسيره للكلمة التي
 قالها الرضا في جواب المأمون :

وهي قوله : « آية انفسنا » وقد فهم المأمون ما قصده الرضا من
 كلامه وعرف معناه فأجابه بجواب متين واحتج عليه بما يمكن الاحتجاج
 به من علماء البشر الغير المصطفين الذين لم يحيطوا بدقائق معاني الكلام احاطة
 لامة فقال المأمون : « لولا نساتنا اي ان وجود كلمة نساتنا مقابل انفسنا
 يدل على كون المراد من انفسنا للرجال فيشمل كل رجل سواء في ذلك
 المتكلم وغيره وهو جواب متين لكنه لم ينتبه الى ما يعلمه الراسخون في العلم

فقال له الرضا (ع) : « لولا أبنائنا » اي لو كان المقصود من انفسنا مطلق الرجال الشامل للبعيد المباين للنفس لكان شاملا للحسين فلا حاجة الى قوله واهنائنا فسكت المأمون ولم يعترض لأنه من اهل الفهم والإدراك وفي تفسير العياشي طبع قم ج ١ صحيفة ١٧٥ عن حريز عن أبي الله قال « ان امير المؤمنين سئل عن فضائله فذكر بعضها ثم قالوا له زدنا فقال : « ان رسول الله (ص) أتاه حبران من أحبار النصراني من أهل نجران فتكلمتا في أمر عيسى فانزل الله هذه الآية « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم » للخ . فدخل رسول الله (ص) فاخذ بيد علي والحسن والحسين وخطمته ثم خرج ورفع كفه الى السماء وفرج بين أصابعه ودعاهم الى المباهلة : قال : « وقال أبو جعفر (ع) وكذلك المباهلة يشبك يده في يده ويرفعهما الى السماء فلما رأى الحبران قال احدهما لصاحبه والله لئن كان نبياً لنهلكن وان كان غير نبي كفانا قومه فكفا وانصرفا .

قوله تعالى : « ان هذا هو القصاص الحق وما من إله إلا الله » وان

الله هو العزيز الحكيم * فان تولو * فان الله عليم بالمفسدين « (١) أي هذا الذي اوحيناه اليك عن كيفية خلقه عيسى وما اشتمل عليه من الاداة هو الحق وليس غيره حق وان مادعته النصراني من انه هو الله او ابن الله او ثالث ثلاثة فكلمه باطل لان الله وحده لا شريك له وليس هناك إله إلا الله وانه هو العزيز الذي يفعل ما يريد بلا استعانة بأحد بل بقدرته وقوته وهو الحكيم الذي تكون افعاله كلها مطابقة للحكمة والمصاحبة فلا يعرف احد الحكمة غيره :

تم الكتاب بحمده تعالى وصلى الله على محمد

وآله الطاهرين

(١) سورة آل عمران : ٦٢ :

فهرس مواضيع الكتاب

	ص
تفسير فائحة الكتاب .	٨
اجماع الصحابة ومن بعدهم على ان الهملة جزء منها :	٩
فضل قرائتها .	١٠
تفسير آياتها :	١٠
معنى الصراط المستقيم :	١٢
كلام بعض العلماء في تعداد نعم الله :	١٣
في بيان المفضوب عليهم والضالين :	١٤
بيان ادنى ما يكون للعبد به كافراً :	١٦
ومن شجون الحديث :	١٦
قسمة الفائحة بين الله وبين عبده .	١٧
الحث على العمل بها بدقة وتدبر :	١٨
سوره البقرة :	
معنى الحروف المقطعة .	١٩
القرآن هدى للمتقين .	١٩
الحث على التقوى وبيان فوائدها الكثيرة .	٢٠
تفسير للتقوى :	٢٢
مراتب التقوى .	٥٠
الآية التي تصف المتقين ،	٥٠
تعداد صفات المتقين :	٢٣
آية ١١٩ :	٢٥
آية ١٢٠ :	٢٥

حث المسلمين على التمسك بالقرآن الكريم

	ص
آية ١٥١ :	٢٦
قوله تعالى تذكروني اذكرم آية ١٥٢ .	٢٧
في معنى ذكر الله لعبده وذكر العهد لربه :	٢٩
ارشاد :	٣٠
قوله واشكروني ولا تكفرون :	٣٢
٣٣ ايقاض في حقيقة الشكر .	٣٢
محصل البحث :	٣٤
آية ١٥٢ :	٣٦
آية ١٥٤ :	٣٧
تفسير المراغي :	٤٠
آية ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ :	٤٢
تفسير سيد قطب .	٤٨
بالصبر والصلاة يتغلب على الكافرين .	٥٢
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات . الخ :	٥٥
ارواح المؤمنين بعد الموت :	٥٧
للذين اذا اصابتهم مصيبة قانوا الا الله وانا اليه راجعون .	٦٠
كلام ابن كثير :	٦٢
الحديث الصحيح من كلام الله تعالى :	٦٣
من كلام علي بن الحسين .	٦٥
الميزان في تفسير القرآن :	٦٦

	ص
نشئة البرزخ :	٧٢
آية ٦٣ من سورة النحل :	٧٥
المأكل المحللة والمأكل المحرمة :	٧٦
الشيطان : انما يأمركم بالسوء والفحشاء آية ١٦٩ البقرة :	٧٧
آية ١٧٣ البقرة .	٧٨
آية ١٧٧ البقرة :	٨٠
خطبة النبي وهي آخر خطبة :	٨٢
معنى الايمان بالقرآن :	٨٣
الايمان ببعثة النبيين :	٨٥
وجوب ابناء الزكاة :	٨٧
قوله تعالى : - والصابرين بالأساء والضراء ،	٨٨
محصل البحث :	٨٩
تلمية :	٩٠
آية ١٧٨ يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ه	٩٠
آية ١٨٠ كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت :	٩٣
آية ١٨١ فن بدله بعد ما سمعه .	٩٤
آية ١٨٢ فن خاف من موص جنفاً .	٩٥
آية ١٨٣ يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام :	٩٥
اللطف الاول :	٩٦
اللطف الثاني ،	٩٦
اللطف الثالث :	٩٧
= الرابع : والالطف الخامس ه	٩٨

	ص
اللفظ السادس والسابع :	٩٩
في بطلان الصوم في السفر وامر عمر الرجل ان يعيد صومه :	١٠٠
سؤال اليهودي للنبي عن ثواب من صام رمضان :	١٠١
آية ١٨٦ في استجابة الدعاء :	١٠٢
اشارة امير المؤمنين الى المتعهد على غير فقه كحمار للطاحونة :	١٠٤
تقسيم العباد الى ميامين ومناكيد وملاعين :	١٠٥
يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة : آية ٢٠٧ بقرة :	١٠٦
في معرفة معنى السلم متى تدخل فيه :	١٠٧
المنقول من تفسير المراغي :	١١١
آية ٢٠٩ فان زلتم من بعد ما جاءتكم البينات :	١١٣
تفسير ابن كثير :	١١٥
كلام صاحب الميزان :	١١٦
كلام صاحب الكشاف :	١١٨
آية ٢٥٤ يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم :	١١٨
آية ٢٥٧ لا اكراه في الدين :	١١٩
كلام للفخر الرازي .	١٢٠
كلام المراغي :	١٢١
كلام السيوطي الدر المنثور :	١٢٢
كلام سيد قطب :	١٢٢
مناقشه سيد قطب :	١٢٦
الرد على سيد قطب :	١٢٩
مانقله مؤرخوا العامة من حديث الثقلين .	١٣٢

تفسير المراغي ،	١٣٣
تفسير الطبري :	١٣٤
آية ٢٦١ مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة :	١٣٧
آية ٢٦٢ .	١٣٨
تحقيق في كيفية الانفاق :	١٣٩
آية ٢٦٤ .	١٤٠
آية ٢٦٥	١٤١
آية ٢٦٧	١٤٣
آية ٢٦٨	١٤٤
تحقيق بعض الاعلام في كيفية وسوسة الشيطان	١٤٤
آية ٢٦٩ يؤتى الحكمة من يشاء	١٤٨
تحقيق في معنى الحكمة	١٤٩
تحقيق في تشخيص الحكيم	١٥٠
كلام سيد قطب في الحكمة	١٥٢
كلام الطبري	١٥٣
كلام ابن كثير في الحكمة	١٥٤
كلام السيوطي في الحكمة	١٥٦
تلبيه في مدح الحكمة	١٥٧
تعداد معاني الحكمة وذكر الاقوال فيها	١٥٨
تلبيه لذوى اللب	١٦٠
تكلمة لابن منها	١٦٢
ما ذكره علماء العامة من فضل أمير المؤمنين	١٦٣

	ص
وصية الانبياء والائمة في اكتساب الحكمة	١٦٤
كلام القندوزي الحنفي في تعداد الاثمة	١٦٧
اشعار نعتل في تعداد الاثمة	١٦٩
دخول جنسندل بن جناده بن جبـير اليهودى على النبي وطلب اسماء الاثمة	١٧٠
قول النبي لا قول الا بعمل ولا قول ولا عمل الا بهيمة الخ	١٧٢
آية ٢٧١ ان تبدوا الصدقات الخ	١٧٤
آية ٢٧٢ ليس عليك هداهم	١٧٥
آية ٢٧٣ للفقراء الذين احصروا الخ	١٧٧
آية ٢٧٤ للذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الخ	١٧٨
الروايات الواردة في فضل الصدقة والانفاق	١٧٩
في ذكر اقسام الصدقات والثواب عليها	١٨٠
آية ٢٧٥ الذين يأكلون الربا	١٨١
سؤال عن سبب الاختلاف	١٨٢
آية ٢٧٦ يحق الله الربا الخ	١٨٤
آية ٢٧٧ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات	١٨٦
الميمه للغافل والمتغافل	١٨٩
آية ٢٨٠ وان كان ذو عسرة	١٩١
آية ٢٨١ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله	١٩٢
آية ٢٨٣	١٩٣
آية ٢٨٥ آمن الرسول بما انزل اليه من ربه	١٩٥
ومن شعجون الحديث ما ذكره العروسي	١٩٧

	ص
نداء للمسلمين	٢٠٠
خاتمة في تعيين الطريق الذي يتحقق به السمع والطاعة	٢٠١
في تخصيص علي في معرفة علم الظاهر والباطن	٢٠٢
سورة آل عمران	
آية ٧ هو الذي انزل عليك الكتاب الخ	٢٠٣
تعريف المحكم والمتشابه	٢٠٤
ماروى عن امير المؤمنين في المحكم والمتشابه	٢٠٥
ماذكره في البحار عن امير المؤمنين في اصناف آيات القرآن	٢٠٦
نداء لذوى اللب	٢٠٨
كلام المسعودي في كتابه اثبات الوصية	٢٠٩
كلام الشيخ محمد مرعى في قول النبي علي اخي	٢١٢
نداء لطالب الرشد	٢١٣
نداء لطالب الرشد	٢١٤
نداء لطالب الرشد	٢١٦
ماقاله امير المؤمنين في ان الكفر على خمسة وجوه	٢١٨
تحقيق دقيق في كلمتين	٢١٩
كلام العروسي في تفسير نور الثقلين	٢٢٥
بقى شيء يتعلق بما نحن فيه	٢٢٦
نداء لصاحب العقل السليم	٢٢٩
ايقاظ	٢٣٠
سؤال موجه لأهل العلم	٢٣٢
نداء للشباب	٢٣٣

	ص
إعتراف أبي حنيفة بعلم الامام الصادق :	٢٣٤
اعتراف ابن قتيبة والشيلنجي بعلم الامام الصادق	٢٣٥
ماروي عن الامام الصادق من الشعر في هذا المقام	٢٣٦
ماروي عن تفسير الثعالبي	٢٣٦
دلالة الراسخين على أنفسهم	٢٣٧
ينبغي للعاقل أن يفرغ قلبه ويصغي بسمعه	٢٣٨
مارواه الشيخ البهائي والمجاسي عن سليم بن قيس	٢٣٩
تقسيم أمير المؤمنين للرواة على اربعة اقسام	٢٣٩
إذا تأمل العاقل في كلمات هذه الرواية	٢٤١
قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير	٢٤٢
آية ١٣ من سورة آل عمران زين للناس حب الشهوات	٢٤٤
آية ١٥ قل أولئكم بخير من ذلكم	٢٤٦
ما اعده الله للمتقين الأول جنات تجري من تحتها الانهار الثاني	٢٤٧
ازواج مطهرة	
قصة ديلمية علمية	٢٤٨
مارواه القطب الراوندي من اسلام الديراني	٢٥٣
الامر الثالث للذين اعده الله للمتقين :	٢٥٦
كلام العلامة البلاغي في تفسيره :	٢٥٧
آية ١٥ للذين يقولون ربنا اننا آمننا :	٢٥٨
في تعيين الوسيط بين الله والعدل في تهليغ الاحكام :	٢٥٩
وصف الملقين بخمس صفات :	٢٦٠
كلام للنبي مع أهل بيته :	٢٦٢

	ص
كلمة الشيخ محمد عبده في تفسير كلام امير المؤمنين :	٢٦٣
من الشعر المنسوب لامير المؤمنين .	٢٦٥
مقدار صبر فاطمة الزهراء .	٢٦٦
الصفة الثانية من صفات المتقي الصدق ،	٢٦٧
للصفة الثالثة من صفاة المتقين هي قوله والقائتين .	٢٧٦
نداء للمسلم ان يعرف للقائتين .	٢٧٨
الصفة الرابعة من صفات المتقين قوله والمتقين :	٢٧٩
في مدح الانفاق :	٢٨١
في تصدق امير المؤمنين :	٢٨٢
في سخاء الامام الحسن :	٢٨٣
في سخاء الامام الحسين :	٢٨٣
في سخاء الامام علي بن الحسين .	٢٨٤
في سخاء الامام الباقر والامام الصادق .	٢٨٥
في سخاء الامام السابع موسى بن جعفر :	٢٨٦
في سخاء الامام الثامن والامام التاسع :	٢٨٧
في سخاء الامام العاشر والحادي عشر والثاني عشر :	٢٨٨
الصفة الخامسة من صفات المتقين قوله والمستغفرين بالاسحار :	٢٨٩
تلييه للحكومات الاسلامية :	٢٩١
ماورد في الاخبار من فوائد الاستغفار ،	٢٩٢
في تفسير باب حطه :	٢٩٥
قول ابن حجر في الصواعق وعلي المتقي في كنز العمال :	٢٩٧
آية ١٨ اشهد لله انه لا اله الا هو .	٢٩٩
نداء للاديب .	٣٠١
في معنى الاسلام آية ١٩ .	٣٠٢

	ص
نسبة امير المؤمنين الاسلام مالم ينسبه احد قهله :	٣٠٣
في فضل آية الشهادة .	٣٠٤
آية ٢٠ فان حاجرك فقل اسلمت وجهي :	٣٠٥
آية ٢٦ قل اللهم مالك الملك :	٣٠٧
تفسيه .	٣٠٩
ايقظ الى للعربي خاصة والى المسلمين عامة :	٣١٠
الآية ٢٧ يولج الليل في النهار :	٣١٣
آية ٢٩ لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء :	٣١٥
آية ٣٠ قل ان تخفوا ما في صدوركم .	٣١٧
آية ٣١ يوم تجد كل نفس ما عملت	٣١٨
آية ٣٢ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون	٣٢٠
تأمل جيداً وألصف نفسك	٣٢١
كلام سيد قطب	٣٢٢
آية ٣٣ قل اطيعوا الله والرسول	٣٢٢
سؤال موجه الى سيد قطب وابن كثير	٣٢٣
آية ٣٥ إن الله اصطفى آدم ونوح	٣٢٤
ما ذكره في ذخائر القعبي	٣٢٥
الرد على سيد قطب	٣٢٦
كلام العروسي في تفسيره قصة الرجل النصراني المسمى بربه	٣٢٨
كلام الحلبي في كتاب المنهاج	٣٣٠
نداء للمسلم الذي يروم الوصول الى رضا الله	٣٣٢
آية ٦١ فمن حاجك فيه	٣٣٣
كلام الفخر الرازي في آية المباهاة	٣٣٥
كلام الزنخشري وابن كثير	٣٣٦

جدول الخطأ والصواب

ص	سطر	الخطأ	الصواب
١١	٥	الخوف	للخوف
١٤	١٨	يستفيدوا	يستفيدوا به
١٤	٢٣	من ثلاثا	ثلاثا
١٨	٨	ولياك	ودنياك
٢٤	٦	لا تخطر	لا يخطر
٢٧	١٣	يتلوا مع الالف	يتلو بلا الف
٣٠	٢٢	اما ذاك بهم	اما ذاك الذي بهم
٣٤	١٦	نعمة	نعمة
٣٤	٢١	الطريق الموصل	فينحصر الطريق الموصل
٥٧	٢٢	يجب	يجب
٨٠	٧	وهو كاف	فهو كاف
٨٣	٢	ما	مما
٨٨	٤	والحاكم	والحكم
١٠٤	٧	عبدنا	عبادنا
١٠٥	١	الجمار	الجمار
١٠٦	٥	يلتحق	يلتحقوا
١٠٧	٦	المؤمن	المؤمنين
=	١٨	فان رسول الله تركنا	والا فقد تركنا رسول الله
١٠٨	١٠	يجب	بحسب
١١٠	١٢	يذكر	يذكروا
=	١٦	نحو	نحوا
١١٥	٣-١	الآيات التي هنا جاءت في غير موقعا من خطأ الطائفة	

الصواب	الخطأ	سطر	ص
ان يشفع له	إن يشفع	٣	١١٩
من الرشد والغبى	من الرشد	١٠	١٢٠
لا يأخذها الحصر	يأخذها الحصر	٢٢	١٢٥
قرنهم الله	قر بهم الله	١٣	١٢٦
قرنهم الرسول	قر بهم الرسول	١٨	١٢٦
مباشرة	مباشرة	١٦	١٢٨
نطاب منه	نطاب من	١	١٣١
القرآن لا يكون عند	القرآن عند	٢٠	١٤٨
التعاب	التعنب	٧	١٤٩
بخير وليست عنده	بخير عنده	١١	=
افضل	فضل	١٧	١٥٧
ما يستحسنه العبد	ما يستحسن العهد توقيفيه	٣	١٨٩
خاتمة	حاتمة	١٢	٢٠١
الراسخون	الرسخون	١٧	٢٠٣
انتركون	اتذكرون	١	٢٠٩
المرسوخ	الموسوخ	١٤	٢٢١
الدنيوية	الدنيوية	١٠	٢٢٨
واغترقوا	واعترقوا	٢٣	٢٣٢
لن يفترقا	لا يفترقا	١٦	٢٣٣
ابغض	بغضة	١١	٢٣٧
مفضل	فضل	١٣	٢٣٧
ممن	من	١	٢٣٨
ورفض	وفض	١٨	٢٤٠
ولللسان زينة في	ولللسان في	٦	٢٤٥

ص	سطر	الخطأ	الصواب
٢٤٨	١	فالفرق	فالفرق
٢٤٨	١٦	بريد	بريداً
٢٤٩	٦	واطراف	واطرف
٢٥٤	١٨	نياعا	عطاشا
٢٥٦	١٨	من الذين	منه الذين
٢٥٨	٢٢	فيهم	منهم
٢٦١	١٥	انه قال	انه اى
٢٦٤	١١	لهت	كبت
٢٦٨	٥	اكبر	الاكبر
٢٦٩	٤	لم	لن
٢٧٠	٩	فقواه تعالى ليس	فقواه ليس
٢٨٥	٩	يقول	يعول
٢٨٦	٣	شكر وولى	سقطت هنا كلمة ياغلام رده
=	٦	فانه	فان
٢٨٩	٢٠	وقف	وقت
٢٩٩	١	من باب	من الباب
٣٠١	٧	من نبيه	من بنيه
=	٢١	انواع العلم	انواع الظلم
٣١٢	٣	الكلام	الكلاب
٣٢٢	١	صار	صاروا
٣٢٧	١٥	هي	هو
٣٢٨	٧	ما	ما
-	٨	جعل بعضها	جعل الذرية بعضها
٣٣٤	١٥	اذ	ان





